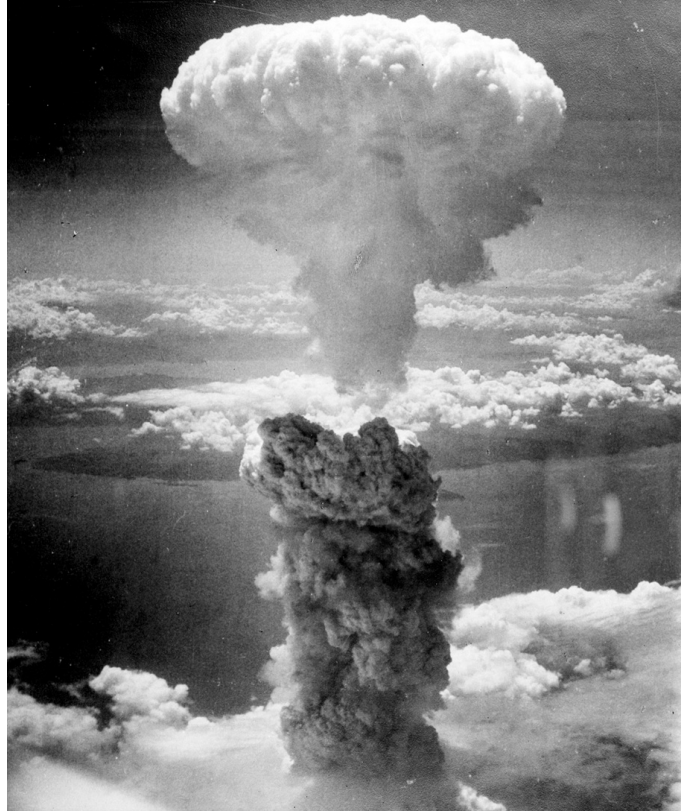


يوميات هيروشيما

6 أغسطس – 30 سبتمبر 1945



دكتور متشهيكو هاتشيا

تعريب وتقديم

دكتور رءوف عباس حامد

الكتاب: 广岛日记

المؤلف: 蜂谷道彦

الناشر: 世界知识出版社, 1958

مترجم عن الترجمة الإنجليزية:

Title: Hiroshima Diary: The Journal of a Japanese Physician, August 6-September 30, 1945

Author: Michihiko Hachiya



جميع الحقوق محفوظة لورثة المترجم. ولا يحق لأى طرف أن يعيد نشر هذا العمل أو أى جزء منه بأى وسائل سمعية أو بصرية أو إلكترونية أو مطبوعة أو أى وسيلة نشر معروفة حالياً أو تستحدث مستقبلاً باللغة العربية أو مترجماً إلى اللغات الأجنبية إلا بعد الحصول على موافقة كتابية. للاتصال: info@RaoufAbbas.org

المحتويات

2	المحتويات
4	تقديم
6	الطريق إلى هيروشيما
6	قيام الفاشية في اليابان
8	التوسع الياباني في شرق آسيا
10	التورط في الحرب وسقوط الفاشية
11	قصة القنبلة الذرية
12	مصادر يمكن الرجوع إليها
14	يوميات هيروشيما
15	6 أغسطس 1945
19	7 أغسطس 1945
25	8 أغسطس 1945
27	9 أغسطس 1945
30	10 أغسطس 1945
32	11 أغسطس 1945
35	12 أغسطس 1945
39	13 أغسطس 1945
41	14 أغسطس 1945
45	15 أغسطس 1945
47	16 أغسطس 1945
48	17 أغسطس 1945
49	18 أغسطس 1945
51	19 أغسطس 1945
52	20 أغسطس 1945
52	21 أغسطس 1945
54	22 أغسطس 1945
56	23 أغسطس 1945
57	24 أغسطس 1945
58	25 أغسطس 1945
60	26 أغسطس 1945
62	27 أغسطس 1945
64	28 أغسطس 1945
66	29 أغسطس 1945
67	30 أغسطس 1945
69	31 أغسطس 1945
70	أول سبتمبر 1945
71	2 سبتمبر 1945
72	3 سبتمبر 1945
73	4 سبتمبر 1945
74	5 سبتمبر 1945
75	6 سبتمبر 1945
75	7 سبتمبر 1945
76	8 سبتمبر 1945
76	9 سبتمبر 1945
78	10 سبتمبر 1945
79	11 سبتمبر 1945
80	12 سبتمبر 1945

80	13 سبتمبر 1945
81	14 سبتمبر 1945
82	15 سبتمبر 1945
83	16 سبتمبر 1945
84	17 سبتمبر 1945
85	18 سبتمبر 1945
85	19 سبتمبر 1945
86	20 سبتمبر 1945
87	21 سبتمبر 1945
87	22 سبتمبر 1945
87	23 سبتمبر 1945
88	24 سبتمبر 1945
88	25 سبتمبر 1945
89	26 سبتمبر 1945
89	27 سبتمبر 1945
89	28 سبتمبر 1945
89	29 سبتمبر 1945
90	30 سبتمبر 1945
91	ملحق: شهادات بعض الضحايا
91	فوتايا كيتا ياما
94	هاكوزو اياموتو
97	توشى فوجينو

تقديم

كانت مأساة هيروشيما إيذاناً ببداية عصر جديد تلعب فيه الأسلحة الذرية دوراً هاماً في حسم الصراع بين القوى الكبرى ، وبداية لتسابق من نوع جديد يهدف إلى إمتلاك أسرار هذا السلاح الرهيب وتطويره لتوفير الردع النووي من جانب كلا المعسكرين اللذان برزا وجهاً لوجه في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وهما: المعسكر الاشتراكي بزعامة الإتحاد السوفياتي من جهة، والمعسكر الإمبريالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

وهذا الكتاب الذى يسعدنى تقديمه إلى قراء العربية يمثل وثيقة تاريخية إنسانية تصور أبعاد المسأسة والآثار التى ترتبت عليها، وهى عبارة عن يوميات حرص على تدوينها شاهد عيان عاصر الحادث منذ بدايته صباح السادس من أغسطس 1945 من موقع المسئولية كمدير لمستشفى مصلحة المواصلات بالمدينة حتى آخر سبتمبر من نفس العام حين تسلت إدارة المستشفى لجنة طبية أمريكية.

وصاحب اليوميات هو الدكتور متشهيكو هاتشيا، وقد نشرت اليوميات أول ما نشرت باللغة اليابانية بمجلة طبية كانت تصدرها الإدارة الطبية بوزارة المواصلات اليابانية تحمل أسم "تى شن ايجا كو" ثم جمعت فى كتاب نشر باليابانية وطبع عدة طبعات، كما قام الدكتور وارنر ولز عضو اللجنة الطبية الأمريكية التى تسلمت إدارة المستشفى من الأطباء اليابانيين والأستاذ بجامعة نورث كارولينا الذى كان يجيد اليابانية بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية، وكان قد نجح فى كسب ثقة المؤلف وصادقته فحصل على موافقته على الترجمة وأطلعته على كل جزء منها حتى جاءت صورة مطابقة لما نشره المؤلف باللغة اليابانية.

وقد طبع الكتاب بالإنجليزية بعنوان "يوميات هيروشيما" فى عام 1955 على نفقة جامعة نورث كارولينا، ثم صدرت منه بعد ذلك خمس طبعات باللغة ذاتها، وهذه الترجمة التى أقدمها إلى قراء العربية تعتمد على الترجمة الإنجليزية وقد ترجم الكتاب إلى 17 لغة أخرى قبل أن نقوم بتعريبه.

وترجع صلتى بالقضية إلى عام 1972 حين دعيت إلى اليابان كزميل زائر بمعهد اقتصاديات الدول النامية بطوكيو ، وجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية لمدة عام ونصف العام، فذهبت إلى هناك بنفس مثقلة بهموم هزيمة 1967 التى منينا بها فى مواجهة مع ربيبة الإمبريالية العالمية: إسرائيل. وكان من الطبيعى أن أيمم وجهى شطر هيروشيما ونجاساكي لأشهد آثار بصمات الإمبريالية هناك. وعلم برغبتى بعض الرفاق من أساتذة دراسات الشرق الأوسط بجامعة هيروشيما فوجهوا الدعوة إلى لزيارة المدينة. وهناك لم أشهد من آثار ذلك الحادث التاريخي الجلل سوى "متحف السلام" الذى يقع بالقرب من محطة سكة حديد هيروشيما وعلى غير بعد من نهر أوتا، كما شهدت أطلال المبنى الذى أبقى عليه من مباني المدينة القديمة وهو مبنى متحف العلوم والصناعة الذى يطل على النهر ويحمل بصمات الدمار الذى حاق بالمدينة.

وهزت وجدانى الآثار التى رأيتها بمتحف السلام، ووقع فى يدي كتاب "يوميات هير وشيما" فربطت بحس دراس التاريخ- بين شهادة المؤلف و آثار المأساة الماثلة أمامى، وعقدت العزم على نقل هذه الوثيقة الإنسانية التاريخية إلى قراء العربية، فزرت هيروشيما ثلاث مرات خلال وجودى باليابان، طوقت خلالها بأرجاء المدينة لأستطلع معالم المسرح الذى درات عليه حوادث الكتاب. وإن كانت هيروشيما التى رأيتها عندئذ مدينة جديدة بنيت على أنقاض ما خلفته القنبلة الذرية من دمار، غير أنها أعانتني على تصور جو الحوادث، بقدر ما أعطتني زيارة مركز مرضى الإشعاع الذرى الذى يضم أنصاف الأحياء أو قل -إن شئت- أنصاف الموتى من ضحايا المأساة إنطباعاً عن الأثر الذى تركه الحادث فى الناس.

أما عن الكتاب الذى أصعبه بين يدي قراء العرب فقد دونه مؤلفه الدكتور هاتشيا على شكل يوميات كان يكتبها يوماً بيوم أحياناً، أو يكتب حوادث بضعة أيام فى وقت واحد أحياناً أخرى إذا حالت مسئولياته الجسام كمدير لمستشفى المواصلات دون التماس فضل من الوقت للكتابة. ويؤكد المؤلف أنه كان أميناً فى نقل الروايات التى سمعها فلم يزد عليها حرفاً، وفى التعبير عما شاهده دون مبالغة. واهتم بصفة خاصة برصد المشكلات الطبية التى واجهته والعاملين معه من الأطباء والمرضات بعد الحادث، فأفرد سطوراً عديدة من يومياته لأعراض مرض الإشعاع الذرى التى كانت مجهولة له ولمساعدته فى ذلك الحين، فهو يقدم من هذه الزوايا مادة هامة للمهتمين بهذا الموضوع. ولكنه يهتم من ناحية أخرى بالتعبير بصدق بالغ عن التمزق النفسى الذى عاناه الشعب اليابانى بعد الهزيمة، ويلقى أضواء من النقد المرير على نظام الحكم الفاشى الذى ورط اليابان فى الحرب، ويعبر عن أمل الشعب اليابانى فى ذلك الوقت- فى مستقبل أفضل، وهو من هذه الزوايا يقدم مادة بالغة القيمة للمؤرخ والسياسى على حد سواء.

ولم أشأ أن أقدم نص الكتاب دون أن أمهد ذهن القارئ العربى للموضوع فقعدت فصلاً بعنوان "الطريق إلى هيروشيما" بينت فيه الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى أفرزت النظام الفاشى فى اليابان، والأطماع الإمبريالية التى ورطت اليابان فى الحرب العالمية الثانية، والآثار التى ترتبت على الهزيمة، ومبررات إستخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقنبلة الذرية فى الحرب ضد اليابان بالذرت رغم إنهيار المقاومة العسكرية اليابانية فيما عرف بمعركة الباسيفيكي، حتى تتضح معالم الصورة وتجلو أمام القارئ جوانب هذه المأساة التاريخية.

ولما كان الكتاب قد حفل بالمصطلحات التي تتصل بالعادات والتقاليد اليابانية، فقد حرصت على شرحها بهوامش الكتاب في مواضعها في حدود ما توفر لي من معرفة بالتراث الياباني من خلال الدراسة والمعاشة.

وأضفت إلى النص الأصلي للكتاب ملاحق تضمنتها شهادات بعض شهود العيان الذين عاصروا الحادث ترجمتها عن كتاب بالإنجليزية أصدرته في عام 1972 لجنة تقصى الحقائق في هيروشيما ونجاساكي المنبثقة عن مجلس السلام الياباني وإستكمالاً للفائدة.

وقد حفل الكتاب بالمصطلحات العلمية والطبية، وإهتم مؤلفه بمعالجة أمور تتعلق بالدورة الدموية مما لا يتصل بمجال دراسة المؤرخ، ولكني وجدت من الزميل الدكتور عز الدين حرب أستاذ الكيمياء بكلية التربية بقطر وكلية العلوم بجامعة الأزهر كل عون، كما إستفدت من علم صديقي الدكتور فتحى سعود أستاذ علم الحيوان بكلية التربية بقطر وكلية العلوم بجامعة عين شمس الشئ الكثير، فكم دارت بيننا أحديث طويلة حول الدورة الدموية وتركيب الدم ودور الأعضاء المكونة للدم في جسم الانسان وغيرها من النقاط التي أجاب عن أسئلتى حولها بصبر جميل وعلم عزيز، فأعاننى ذلك على نقل ما كتبه المؤلف بأمانة ودقة، فإلى هذين الزميلين الكريمين أتوجه بالشكر والتقدير عرفاناً بالفضل.

ولايسعى إلا أن أتقدم بالشكر والإمتنان لجامعة هيروشيما التي إستضافتى مرتين خلال رحلاتى الإستطلاعية التي قمت بها لزيارة الأماكن التي أوردتها الدكتور هاتشيا في هذا الكتاب، وأخص بالشكر قسم التاريخ بتلك الجامعة وأساتذة دراسات الشرق الأوسط الذين لم يدخروا جهداً في تيسير مهمتى والإجابة عن الأسئلة التي طرحتها عليهم برحابة صدر. كما أتوجه بالشكر إلى معهد اقتصاديات الدول النامية بطوكيو الذى يسر لي سبيل الزيارة الثالثة للمدينة.

وإذا كنت قد وفقت في إخراج هذا الكتاب في ثوب قشيب، فمرد ذلك إلى جميع من تفضلوا بتقديم العون لي، أما إذا كانت ثمة مأخذ أو هنات فلا يؤخذ بجريرتها سوى.

الدوحة في 30 مايو 1977

د. رءوف عباس حامد

الطريق إلى هيروشيما

بدأ تحول اليابان إلى دولة حديثة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وما كاد القرن ينصرم حتى برزت اليابان كدولة صناعية إمتدت أطماعها إلى البلدان الآسيوية القريبة منها، فاجتاحت كوريا وإستعمرتها وحققت نصراً عسكرياً على روسيا القيصرية في عام 1904 كان له دوى كبير، ثم تطلعت إلى الصين فبدأت تدق أبوابها منذ نهاية العقد الأول من القرن العشرين وإمتد نفوذها إلى منشوريا ومنغوليا. غير أن اليابانيين ووجهوا بمقاومة عنيفة من جانب حكومة الصين الوطنية وإضطرت قادة القوات اليابانية هناك إلى التصرف بصورة إيجابية -على مسئوليتهم الخاصة- في مواجهة المقاومة الصينية، ونجحوا في تثبيت أقدام بلادهم في منشوريا بإحتلالها في عام 1931، فضربوا بذلك المثل أمام الشعب الياباني الذي رأى في هؤلاء العسكريين أمله المنشود في إصلاح ما أفسدته حكومات الأحزاب التي تعاقبت على الحكم منذ نهاية الحرب العالمية الأولى في ظل الدستور الليبرالي القائم.

قيام الفاشية في اليابان

فقد تأثر الاقتصاد الياباني تأثراً بالغاً بلكساد العالمي الكبير، في وقت كان السكان يتزايدون فيه بمعدل مليون نسمة كل عام، وعجزت الحكومة عن توفير المواد التمييزية الضرورية للسكان وإيجاد حل لمشكلة البطالة التي تفاقمت منذ عام 1930 فكان ينضم ما يقدر بأربعمئة ألف نسمة سنوياً إلى جيش العمال العاطلين، أما الفلاحون فكانوا يقعون في رقة الديون التي أنقلت كواهلهم، وأصبح ربع الأرض لا يكفي لسد حاجة عائلاتهم وسداد ديونهم، وأفلس صغار التجار، وأخذ رأس المال يتركز في أيدي عائلات محدودة تحكمت في اقتصاديات البلاد، وإحتكرت القطاع المالي والصناعي، ووقفت وراء حكومات الأحزاب التي تبادلت مقاعد السلطة، وإختلفت أسماؤها ولكنها إتفتت في تعبيرها عن مصالح البرجوازية اليابانية وأصحاب المصالح الزراعية الواسعة.

وعجزت الحكومة عن إيجاد حل لمشكلة الكساد الاقتصادي، فبدأت صادرات اليابان في التناقص منذ عام 1929 مما زاد من حدة المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت السلطة، وإرتفعت الأصوات بانتقاد الفساد الذي إستشرى في عهد الحكومات الحزبية منذ العشرينات، ونعت على هذه الحكومات تراخيها في مواجهة المقاومة الصينية للوجود الياباني في منشوريا ومنغوليا. وأصبح المسرح السياسي مهيباً لأولئك الذين كانوا يشكلون في صلاحية نظام الحكم الحزبي القائم على أسس الليبرالية الغربية، والقائلين بحاجة اليابان إلى قيادة وطنية تعيد الأمور إلى نصابها.

وازدادت خطورة المعارضة في عام 1931، ولكن الشعارات التي رفعتها لم تكن غريبة على الساحة السياسية في اليابان، فجزورها تمتد إلى عصر مايجي (1867 - 1912) الذي وضعت خلاله أسس اليابان الحديثة. وتركزت هذه الشعارات على الولاء المطلق للإمبراطور، والإعتقاد بأن الشعب الياباني يتميز على سائر شعوب آسيا، فالإيمان تعد -في نظرهم- أعظم بلاد العالم قاطبة لأن الآلهة صنعتها قبل صنعها لبقية بلدان العالم، فهي بمثابة الابن البكر للآلهة، وهي أرض لها قداسها واحترامها، ومن ثم يجب على أبنائها أن يعملوا على جعلها أعظم بلاد الدنيا، ولما كان أباطرة اليابان ينحدرون من نسل الآلهة فالولاء لهم واجب مقدس يفرض على كل ياباني التضحية بالنفس من أجل الوطن والإمبراطور.

وقامت العديد من الجمعيات بالترويج لهذه الأفكار المستمدة من التراث الياباني التقليدي، ولكن عددها حتى العشرينات كان محدوداً، وفي أواخر العشرينات إنتشرت في جميع أرجاء البلاد، وإتسع نشاطها في الريف -بصفة خاصة- حيث تلقى مثل هذه الأفكار رواجاً بين جماهير الفلاحين، وقدر عددها عند نهاية العشرينات بما يربو على ستمائة جمعية، غير أنها كانت محدودة الأثر في المجال السياسي، فلم تؤثر بشكل فعال على صنع القرار والمؤسسات الحكومية والدستورية في البلاد، حتى كان حادث منشوريا في عام 1931 الذي كانت تقف وراءه إحدى هذه الجمعيات المتطرفة، فرجحت كفة هذه الإتجاهات الشوفينية على ما عداها.

وحين إتسعت قاعدة أصحاب هذه الإتجاهات سلموا زمام قيادتهم إلى العسكريين الذين كانوا يضيّقون ذرعا بالديمقراطية الليبرالية، ويميلون إلى سياسة التوسع العسكري. وكان ضباط الجيش والبحرية -وخاصة صغارهم- يتعاطفون مع هذه الجمعيات، وإنضم بعضهم إلى عضويتها، وإعتنقوا مبادئها، ورأوا في نظام الحكم الليبرالي -الذي عاشته اليابان في أعقاب الحرب العالمية الأولى وتركزت فيه السلطة في يد البرجوازية وأصحاب المصالح الزراعية الواسعة- السبيل إلى إنبهار البلاد وضياح هيبته بين شعوب آسيا، وأيدت جماهير الفلاحين المسحوقة هذا الإتجاه. ولما كان الفلاحون عصب الجيش، وينحدر صغار الضباط من أصول ريفية، فقد بدأ ضباط الجيش منذ عام 1931 يلعبون دور قادة الجماهير الريفية الذين يدافعون عن مصالح الفلاحين في مواجهة البرجوازية وخاصة الرأسمالية الكبيرة. فاعتبر العسكريون "الطليعة الوطنية الحقيقية" التي تستطيع تصحيح المسيرة السياسية للبلاد باسم الإمبراطور سليل الآلهة، وتحقيق سيادة الشعب الياباني على شعوب آسيا، وبناء كيان "اليابان العظمى".

ويتمثل هذا الإتجاه الوطني المتطرف بوضوح في شخصية الجنرال أراكي ساداؤ الذي إنحدر من أصل متواضع، واشتغل قبل إنخراطه في الجيش عاملاً بأحد معامل صلصة الصويا، وترقى في الجيش حتى وصل إلى مراتب الضباط، وأصبح وزيراً للحربية فيما بين 1931 - 1934 ولم يكن مظهره الرقيق المتواضع ينبئ عن أفكاره العسكرية الصارمة وإيمانه

الشديد بالتضحية بكل شئ من أجل إعلاء شأن الإمبراطور، والتفاني في خدمة الأسرة الإمبراطورية سلبلة الآلهة. وبذلك أصبح أراكي المتحدث الرسمي بلسان هذا الإتجاه السياسي الجديد في اليابان، الذي مهد الطريق لقيام الحكم الفاشي، وجلب للبلاد عداء شعوب آسيا والمصالح الإمبريالية الطامعة في تلك البلاد بإنتهاجه سياسة التوسع على حساب شعوب آسيا. ووضع أراكي الإطار السياسي لهذا الإتجاه فأرجعه إلى العقيدة اليابانية التقليدية التي تدعو إلى سلوك طريق الإمبراطور (Kado)، والإلتزام الوطني (Kokutai) الذي يعنى عندهم وحدة جميع القوى الشعبية على التراب الوطني وتحت سماء بلاد الآلهة على طريق الإمبراطور، تلك الوحدة التي تمتد في أريهم— منذ بدء الخليقة حتى الأبدية. وقد فسر ذلك على أن اليابان تلتزم برسالة عالمية هدفها إرساء دعائم السلام في العالم، وهذا الإلتزام يجعل اليابان مرتبطة بمسئولية خاصة تجاه شعوب شرق آسيا، فعليها أن تنفذ هذه الشعوب من الحكومات الضعيفة التي تعجز عن تحقيق الرفاهية لشعوبها، والحكام الذين أتاحوا للغرب فرصة استغلال شعوبهم، ولا يتم ذلك إلا بمد سلطة إمبراطور اليابان على هذه الشعوب من أجل خيرها والنهوض بها.

وتولت مهمة الترويج لهذه الأيديولوجية منظمات خاصة مثل "جمعية ترقية الشعور الوطني Yuzonsha"، وبعض المفكرين الذين بشروا بها مثل كيتا أككي وأوكاوا شومي اللذان تركزت كتاباتهما حول ضرورة قيام حكم مطلق بزعامة الإمبراطور يعمل على تدعيم القوة العسكرية للبلاد، وطالب بعض المفكرين الآخرين بعودة البلاد إلى الاقتصاد الزراعي ونيد الصناعة. وبالإضافة إلى هؤلاء كان يقف إلى يمين هذا الإتجاه الأرستقراطية اليابانية ذات الأصول الإقطاعية القديمة، وكبار ضباط الجيش، وأقطاب البيروقراطية، وأصحاب رؤوس الأموال الذين فضلوا التمسك بدستور عصر مايجي لأنه يحقق في رأيهم— المضي على طريق الإمبراطور، ويركز السلطة في يد طبقة معينة تتوفر لها النيابة الطبيعية عن الأمة اليابانية وتتمتع بمركز رب الأسرة في البيت الياباني، وبقاء السلطة في يدهم يضمن إستمرار التقاليد اليابانية العريقة ويحقق الإستقرار للبلاد، ويجنبها نشوب القلاقل والثورات. ولكن مقاليد الأمور إنتقلت إلى الفريق الأول من صغار الضباط أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة أصحاب الإتجاهات الفاشية الذين أخذوا ينشرون مبادئهم من خلال المناهج التعليمية بهدف تنشئة جيل جديد يؤمن بهذه المبادئ ويحرص على تطبيقها.

وقد بدأ الفاشيون زحفهم التدريجي إلى السلطة في مطلع عام 1932 عن طريق العنف فأغتالوا وزير المالية في آخر حكومة حزبية، بذلك سقطت الحكومة، وسلم الإمبراطور زمام الحكم إلى الأميرال سايتو ماتوكو الذي كان ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية ويتمتع باحترام الجيش بقدر ما يتمتع بثقة كبار رجال البلاط وكبار أصحاب رؤوس الأموال، فشكّل حكومة إنتلاف وطني حاولت أن تشق لنفسها طريقاً وسطاً بين دعاة الاعتدال وأنصار التطرف وسار خليفته الأميرال أوكادا كي سوكي على نفس الدرب ولكن الحكومات التي أعقبته كانت أكثر تمثيلاً للإتجاه الفاشي فوزعت معظم الحقائق الوزارية فيها على العسكريين من أصحاب هذا الإتجاه.

ولكن الإنتخابات العامة التي أجريت في فبراير 1936 جاءت مخيبة لأمال هؤلاء، فأسفرت عن فوز الليبراليين المعتدلين، وبعد أربعة أيام من إعلان نتيجة الإنتخابات قام صغار الضباط من أنصار الفاشية بانقلاب في 26 فبراير في محاولة فاشلة للإستيلاء على السلطة إغتيل خلالها بعض أقطاب النظام، ورغم فشل الإنقلاب روعي في تشكيل الحكومة الجديدة (9 مارس) جانب الجيش الذي إزداد ثقله في الحياة السياسية، فاستشير وزير الحربية في إختيار الوزراء من بين الشخصيات العسكرية والمدنية المعروفة بالاعتدال، وغير حزب الأحرار موقفه من العسكريين فأخذ يظهر التأييد لهم، كما حدث تطور هام جديد تمثل في تحمس البيوت الرأسمالية الكبيرة وعلى رأسها بيت متسوي للإتجاهات الفاشية المتطرفة، وخاصة الدعوة التي أطلقها أصحاب هذه الإتجاهات للتوسع على القارة الآسيوية، لما قد تسفر عنه هذه السياسة من خدمة مصالح الرأسمالية اليابانية. ونتج عن ذلك إتجاه الحكومة إلى تركيز السلطة في يدها، وتجاهلت المجلس النيابي (الدايت) الذي تقلص نفوذه وخفت صوته، فوافق على الإعتمادات الضخمة التي خصصتها الحكومة في الميزانية للإنفاق على الأغراض العسكرية وخاصة البحرية. وإزداد تدخل الجيش في الحكم عندما سقطت الحكومة في يناير 1937، فرفض الموافقة على شخص وزير الحربية الذي عين في الوزارة الجديدة، فإستبدل به الأمير كونيومي فومي مادو الذي يمت بصلة القرابة إلى البيت الإمبراطوري، فإرتضى به الجيش بإعتباره يرمز إلى سلطة البيت الإمبراطوري الذي يقود الأمة إلى الوحدة الوطنية.

وإستمر الفاشيون في تهيئة المسرح السياسي لتقبل حكمهم وتحقيق أمله المنشود في إقامة دكتاتورية عسكرية، فمارسوا الإرهاب ضد خصومهم السياسيين، وساعدت الإغتيالات السياسة على تلاشى المعارضة التي كانت تقف حجر عثرة في طريقهم إلى السلطة، ودعمت الإنتصارات العسكرية التي حققها الجيش في الصين موقفهم، وكسبت لهم تأييداً جماهيرياً واسعاً، وإضطرت الأحزاب السياسية أن توقف نشاطها تحت ضغط العسكريين في عام 1940.

ولكن الفاشية اليابانية كانت تختلف في البنية عن نظيرتها في أوروبا، فعلى الرغم من نجاحها في تصفية الأحزاب السياسية الليبرالية عجزت عن إقامة تنظيم سياسي يرث تلك الأحزاب، كما إفتقدت الشخصية القوية التي تلعب دور الدكتاتور، لأن إفراد شخص واحد بالسلطة يتنافى مع الأيديولوجية التي قام عليها النظام والتي تعتبر الحكم حقاً خالصاً للإمبراطور، وتعتبر الحكومة أداة الإمبراطور في إدارة دفة البلاد. وعلى حين كانت المناصب الوزارية قسمة بين البيروقراطية والجيش، ظلت الرأسمالية الإحتكارية تسيطر على اقتصاديات البلاد في صورة مجموعات إحتكارية تعمل لحسابها الخاص دون تنسيق، وكانت أبرز هذه المجموعات متسوي وزايبا تسو غير أنها إتفقت في الدفاع عن مصالحها ضد إتجاهات تدخل الدولة في الاقتصاد، ولم تحاول الحكومات المتعاقبة التي شكلها البيروقراطيون والعسكريون فيما بين عامي

1937 - 1941 أن تفرض سياسة التدخل الاقتصادى أو الأخذ بالتخطيط الاقتصادى، رغم تمتع تلك الحكومات بسلطة مطلقة، فأدرات أمور البلاد من خلال المراسيم الإمبراطورية والقرارات الوزارية التي كانت تصدرها، وحولت المجلس النيابى إلى هيئة إستشارية منزوعة السلطات، وتوسعت فى تعيين أعضائه والخروج على قاعدة الإنتخاب. وكانت رئاسة الحكومة خلال تلك الفترة فى يد البيروقراطية، وإن لعب العسكريون دوراً بارزاً فى تسمية رئيس الحكومة.

واحتل هذا التوازن الدقيق بين البيروقراطية ورجال الجيش حين تورطت اليابان فى الحرب العالمية الثانية، فاحتل العسكريون مكان الصدارة فى الحكم، وشكل الجنرال طوجو هيديكى الوزارة فى أكتوبر 1941 وإستمر فى السلطة حتى أكتوبر 1944 وجمع فى يده ثلاث حقائب وزارية هى: الحربية، والداخلية، والإنتاج الحربى، بالإضافة إلى رئاسة الوزارة والأركان العامة. وحتمت ظروف الحرب فرض القيود على النشاط الاقتصادى، وتحويل معظم القطاعات الصناعية لخدمة المجهود الحربى، وأشرفت الدولة إشرافاً مباشراً على إدارة الإنتاج خلال الحرب عن طريق وزارة الإنتاج الحربى. ولم ترفع الإحتكارات الرأسمالية إصبع المعارضة فى وجه هذه الإجراءات، لأن الحرب التي خاضتها اليابان كانت دفاعاً عن الوجود اليابانى فى شرق آسيا ومصالح هذه الإحتكارات الرأسمالية فى تلك البلاد.

التوسع اليابانى فى شرق آسيا

فجر الغزو اليابانى لمثوريا فى عام 1931 الصراع بين الصين واليابان فعلى الرغم من محاولة اليابان إحياء حكم آخر الأسرات الإمبراطورية فى الصين فى الدولة الجديدة التي قامت على أسنة الحراب اليابانية باسم دولة منتشوكو بدعوى قيام حركة إنفصالية صينية فى الإقليم، عجزت اليابان عن إقناع حكومة الصين الوطنية والدول الأوربية صاحبة المصالح فى الصين بالوضع الجديد، وإنسحبت من عصبة الأمم رداً على قرار عدم الإعتراف بالنظام الجديد فى مثوريا الذى إتخذته العصبة (مارس 1933) واستمرت المقاومة الصينية حتى عام 1937، ولكن تحولاً كبيراً حدث فى موقف اليابان منذ ذلك التاريخ الذى يحدد بداية تزايد نفوذ العسكريين فى السلطة، وحرصهم على إتباع سياسة التوسع العسكرى لكسب مزيد من الأرض على الساحة السياسية فى البلاد، فبدأت حرب دامية غير معلنة بين الصين واليابان بما عرف باسم حادث جسر ماركو بولو (يوليو 1937)، ما لبثت أن إلتحمت بالصراع العالمى الكبير فى عام 1941 بعد حادث بيرل هابر.

وبرر النظام الفاشى اليابانى سياسة التوسع فى الصين وجنوب شرقى آسيا بالحاجة إلى توفير الأمن للبلاد، فالصين تنازع اليابان زعامة شعوب آسيا، والشيوعية المعادية للنظام الإمبراطورى تنتشر لواءها فى سيبيريا، والولايات المتحدة الأمريكية تبنى أسطولاً قوياً فى المحيط الهادى ولا تخفى إهتمامها بالمنطقة فبتدى تحفظها على تقسيم الصين على الطريقة اليابانية. والسبيل الوحيد لتحقيق الأمن للبلاد إنما يكون بالسيطرة التامة على الصين وبلاد جنوب شرقى آسيا، لتوحيد المنطقة كلها تحت زعامة اليابان فى مواجهة الزحف الغربى، ومن ثم كان إحتفاظ اليابان بقوة عسكرية كبيرة ضرورة تفرضها إعتبارات الأمن القومى.

وبعد حادث جسر ماركو بولو الذى تحرشت فيه قوة يابانية بالحامية الصينية هناك فى 7 يوليو 1937، إحتل اليابانيون إقليمى "بى بنج" و "نين تسن"، ثم توغلت قواتهم فى منغوليا فإحتلت "كالجان" لتقطع بذلك خطوط المواصلات الرئيسية بين الصين وروسيا السوفيتية، وزحفت قوة يابانية كبيرة إلى "شنسى" و "شانسى" لتوجيه ضربة قاضية إلى القوات الشيوعية الصينية هناك، غير أن الغزاة قبلوا بمقاومة عنيفة من جانب الشيوعيين الذين شنوا ضدهم حرب عصابات أنهكت قواهم، وعندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد اليابان عند نهاية عام 1941 كانت خطوط اليابان فى هذا الإقليم متجمدة عند الحد الذى بلغته فى عام 1938.

وسيطر اليابانيون كذلك على وادى اليانجتسى، ثم قدموا شروطهم لحكومة الصين الوطنية (الكومنتانج) التي تضمنت الإعتراف بسيطرة اليابان على المواقع الإستراتيجية الهامة، والإعتراف بمنتشوكو، وتكوين جبهة اقتصادية تضم اليابان والصين ومنتشوكو، فرفض شيانج كاي شيك هذه الشروط جميعاً.

وحين بنس اليابانيون من إملاء شروطهم على حكومة الصين الوطنية، تجاهلوا وحاولوا إقامة حكومات صينية فى الأقاليم الخاضعة لهم على نسق حكومة منتشوكو، فأعلنوا قيام "جمهورية الصين" فى بكين (ديسمبر 1937)، ولكنها ووجهت بحرب ضروس شنتها العصابات التي نظمها الشيوعيون فى الشمال، فشكل اليابانيون حكومة أخرى فى نانكينج برئاسة "وانج تشنج وى" أحد رفاق صن يات صن وعضو الكومنتانج المنشق، وإنضم إلى الحكومة عدد من أعضاء الكومنتانج المنشقين. وأعلنت هذه الحكومة أنها الممثل الوحيد للشعب الصينى، وأنها ترى أن من مصلحة الصين أن تتعاون مع اليابان، وعقدت معاهدة فى نوفمبر 1940 مع اليابان للدفاع المشترك ضد الشيوعية والتعاون فى مجال التنمية الاقتصادية، وإعترفت ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا ورومانيا وغيرها من دول أوربا الفاشية بحكومة وانج فى يوليو 1941.

وضمت المنطقة الواقعة تحت الإحتلال اليابانى أقاليم غنية بالموارد الطبيعة تمتد من وادى اليانجتسى فيما بين شنغهاى وهانكو جنوباً حتى بى بنج وتشاهار شمالاً، وإمتدت إليها سلطة حكومة وانج وخضع لها نحو 200 مليون نسمة من السكان. وبدأت اليابان إستغلال المنطقة اقتصادياً، فتكونت شركات للتجارة والصناعة والتعدين إمتلك اليابانيون نصف أسهمها، وروجت الدعاية لتهذنة السكان وتصفية شعور العداء نحو اليابانيين.

ورغم فقد الصين لنصف أراضيها وأغنى أقاليمها بالموارد الطبيعية، فإن الوطنيين والكمونتانج أعادوا تنظيم صفوفهم في المناطق الداخلية، وأقاموا عاصمة مؤقتة في تشنج كنج، ونقلوا إلى هذه المنطقة الإقطاعية المتخلفة المصانع والمدارس والجامعات إستعداداً لحرب طويلة الأمد ضد الغزاة. وقاد الحزب الشيوعي الصيني المقاومة في الشمال الغربي، فاستطاع أن يرد اليابانيين على أعقابهم في أول هزيمة منوا بها حين طردهم من شانسي إلى سهل الصين الشمالي، ونظم الحزب الشيوعي إدارة الأقاليم الواقعة تحت يده. وما كاد يحل عام 1941 حتى كانت المنطقة المحررة التابعة للحزب الشيوعي تضم حوالي 50 مليون نسمة ولكن الكومنتانج بدأ يتشكك في نوايا الشيوعيين رغم تحالفه معهم، وفي مدى صلاحية إستراتيجية النفس الطويل وحرب العصابات التي لجأوا إليها، كما رفض الشيوعيون أن يسلموا الكومنتانج زمام أمورهم السياسية والعسكرية، وأثمرت بذور الشك هذه إنشغال كل من الطرفين عن مقاومة اليابانيين وإصطدامهما - أحياناً - ببعضهما البعض.

وحاولت بريطانيا أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بعمل مشترك في الصين لإيقاف التدخل الياباني، ولكن الأخيرة كانت مشغولة بمعالجة آثار الكساد العالمي، تخشى التورط العسكري في المنطقة، وتفضل الركون إلى الأساليب الدبلوماسية، وفشلت عصبة الأمم في إصدار قرار بفرض عقوبات على اليابان بسبب تميع موقف الولايات المتحدة وإيطاليا.

وأدى فشل الجهود الدولية لوضع حد للتدخل الياباني في الصين إلى تشجيع اليابان على إلتماس حليف على القارة الأوروبية، فوقعت مع ألمانيا معاهدة دفاع مشترك "ضد الخطر المنزاي للشيوعية" في نوفمبر 1936، ثم مالبت أن وقعت نفس المعاهدة مع إيطاليا، وبذلك ضمنت عدم تدخل الإتحاد السوفياتي ضد الوجود الياباني في الصين، وازدادت القوات اليابانية ضراوة في مواجهة المقاومة الصينية التي لم تلن قناتها. ولجأت اليابان إلى إنتهاج سياسة جديدة إعتباراً من نوفمبر 1938 أطلقت عليها إسم "النظام الجديد لشرق آسيا" مؤداها إقامة تنسيق بين اليابان ومنتشوكو والصين المحتلة في الأمور الاقتصادية. وفي إطار هذه السياسة شنت اليابان حرباً ضد المصالح الأجنبية غير اليابانية في الصين، فحاصرت مناطق الإمتيازات الفرنسية والإنجليزية في "تين تسن" وأخذت تفتش علانية الأوربيين الداخلين إلى هذه المناطق أو الخارجين منها لتبرهن للصينيين على حقيقة الدعاية اليابانية التي تقول بأن عصر السيطرة الأوروبية قد ولى، وأن اليابان حررت شعوب آسيا من السيطرة الغربية. ولم تسلم من هذه الإجراءات المناطق التابعة لألمانيا حليفة اليابان، وكذلك مناطق الإمتيازات التابعة للولايات المتحدة الأمريكية مما أضر بالمصالح الرأسمالية الأمريكية ودفع الولايات المتحدة إلى إعلان إلغاء معاهدة التبادل التجاري مع اليابان.

وعندما شب أوار الحرب العالمية الثانية في أواخر صيف 1939 أعلنت اليابان حرصها على عدم التورط في ذلك "الصراع الأوربي" وأنها ستبذل قصارى جهدها لحل المسألة الصينية. غير أن تلك الحرب الأوربية أثرت على الوضع السياسي في آسيا، فرغم وقوف الولايات المتحدة الأمريكية على الحياد من الناحية الرسمية - كانت تمد الدول الديمقراطية في أوربا بالأموال والسلاح، وسقطت هولندا وبلجيكا وفرنسا في يد الألمان في شهرى مايو ويونيو 1940، وبدأت بعد ذلك معركة بريطانيا. وأدت هذه التطورات إلى إطلاق يد اليابان في آسيا، فقد تغاضى الإنجليز عن الإمدادات اليابانية التي كانت تنقل إلى الصين الوطنية عبر هونج كونج وبورما، كما حصات اليابان على حق إستخدام مطارات الهند الصينية الخاضعة لحكومة فيشى الفرنسية في مهاجمة جنوب غرب الصين، وأرسلت بعثة تجارية يابانية إلى جزر الهند الشرقية الهولندية في محاولة فاشلة للحصول على المزيد من إمدادات البترول، وبذلك حاولت اليابان إستغلال الظروف الصعبة التي كانت تواجهها دول أوربا الغربية في تدعيم مركزها الإستراتيجي، وتوجيه ضربة قاضية إلى المصالح الاقتصادية لتلك الدول عن طريق مستعمراتها الغنية بالبترول والمطاط واليوكسيت والحديد في جنوب شرقي آسيا.

وكان العسكريون اليابانيون يضغطون على حكومتهم منذ مارس 1939 لعقد معاهدة تحالف كامل مع ألمانيا، وأبدت ألمانيا إستعدادها للتجاوز عما لحق بمصالحها الاقتصادية في الصين من أضرار على يد اليابان من أجل عقد هذا التحالف الذي يدعم مركزها في أوربا، غير أن معاهدة التحالف لم توقع نهائياً إلا في سبتمبر 1940 وإنضمت إليها إيطاليا باعتبارها شريكة ألمانيا في الحرب. وأصبح واضحاً أن الحلف الياباني - الألماني - الإيطالي يستهدف الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، فقد علقت ألمانيا الأمل على هذا التحالف للحد من تدفق الإمدادات الأمريكية على بريطانيا. أما اليابان فأعتبرت الحلف بمثابة إنداز موجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية إذا ما فكرت في التدخل ضد التحركات التي كان الجيش الياباني يزمع القيام بها.

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن وحدها الشغل الشاغل لليابان، لأن الإتحاد السوفياتي قد يتدخل في شمال الصين إذا نقلت اليابان نشاطها العسكري إلى جنوب شرقي آسيا، وخاصة أن الأخيرة فقدت الأمل في بقاء الإتحاد السوفياتي على الحياد على تلك الجبهة منذ وقع صدام بين جيش كوانتونج الياباني والجيش السوفياتي على حدود منغوليا في أغسطس 1939 خسر فيه اليابانيون 18 ألف جندي بين قتيل وجريح، وتجددت بذلك الإشتباكات بين الطرفين، فأصبح من المحتمل أن يوسع السوفيات نشاطهم على الجبهة الصينية إذا شغل اليابانيون بالتوسع في جنوب شرقي آسيا. وبدأت الدبلوماسية اليابانية نشاطها من أجل ضمان حيدة الإتحاد السوفياتي خلال توسع اليابان في جنوب شرقي آسيا، فدرات مفاوضات بين الطرفين حول المناطق المتنازع عليها على الحدود الصينية الشمالية، نجح خلالها ماتسوكو ساينوجي وزير الخارجية الياباني في عقد معاهدة عدم إعتداء مع موسكو في 3 أبريل 1941، بذلك ضمنت اليابان سلامة مؤخرتها، وتفرغت

للبحث عن سبيل لشل حركة الولايات المتحدة أثناء قيامها بتنفيذ سياستها التوسعية فى جنوب شرقى آسيا وتصفية المقاومة الصينية.

وكانت سياسة الولايات المتحدة فى المحيط الهادى ترمى إلى مقاومة الأطماع اليابانية، ففرضت حكومة الرئيس روزفلت عقوبات اقتصادية على اليابان حظرت بمقتضاها تصدير البنزين والحديد الخردة والصلب إليها إعتباراً من يوليو 1940. وتدهورت نتيجة لذلك العلاقات اليابانية - الأمريكية، وفشلت المفاوضات غير الرسمية التى دارت بين الطرفين لرفع القيود التى فرضها الأمريكيون على تجارة بين البلدين، ولكن الشروط التى قدمتها الولايات المتحدة كانت تعنى الحد من التوسع اليابانى فى شرقى آسيا، وكل ما أثمرته هذه المفاوضات إتاحة الفرصة أمام الطرفين للإستعداد للحرب.

وحين بدأت ألمانيا غزو الإتحاد السوفياتى فى 22 يونيو 1941 دون أن يكون لدى حليفها اليابان علم مسبق بتدابير الغزو، ترك هذا الحدث أثراً فعالاً على الموقت اليابانى، فعقد المجلس الإمبراطورى اجتماعاً فى 2 يوليو تقرر فيه إختيار مدى فاعلية معاهدة عدم الإعتداء مع السوفيات عن طريق التوسع فى الهند الصينية، والاشتراك فى الحرب الأوربية للإستفادة من نتائج هزيمة السوفيات أمام ألمانيا التى بدت -عندئذ- وشيكة الوقوع. فطالبت اليابان حكومة فيشى الفرنسية بمنحها قواعد جديدة فى الهند الصينية وحين تلكأت الأخيرة قامت بإحتلال المستعمرة الفرنسية، وأعدت الخطط العسكرية للإستيلاء على الملايو وجزر الهند الشرقية والفلبين، وكانت البحرية اليابانية وقد بدأت منذ مطلع عام 1941 تدريباتها على ضرب بيرل هاربر القاعدة البحرية الكبرى فى المحيط الهادى.

غير أن أمريكا لم تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذه التطورات، فوجه الرئيس روزفلت ضربة إلى المصالح المالية اليابانية حين أصدر مرسوماً بتجميد الأموال اليابانية فى بنوك أمريكا كرد على غزو اليابان للهند الصينية. وحاول رئيس الحكومة اليابانية أن يجتمع بالرئيس روزفلت لتلافى وقوع الحرب بين البلدين، ولكن الحكومة الأمريكية لم توافق على اللقاء المقترح إلا إذا أوقفت الجيوش اليابانية تقدمها فى الهند الصينية، وأصدرت اليابان إعلاناً واضحاً عن نواياها فى المنطقة، فشلت بذلك محاولات تأجيل الصدام بين البلدين، وانتقل مركز الثقل داخل الحكومة اليابانية إلى جانب العسكريين فشكّل طوجو هيديكى وزير الحربية حكومة عسكرية فى 18 أكتوبر ووافق المجلس الإمبراطورى فى 5 نوفمبر على تقديم مقترحات جديدة إلى الولايات المتحدة لتسوية الموضوعات المتنازع عليها، على أن تقبل الأخيرة هذه المقترحات فى موعد أقصاه 25 نوفمبر وفى حالة رفض الولايات المتحدة لهذه المقترحات يتم الهجوم على بيرل هاربر ومانبلا وسنغافورة. وعندما رفضت أمريكا الإذعان لهذه المقترحات شن اليابانيون هجومهم المشهور على بيرل هاربر فى 7 ديسمبر، فأعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا الحرب على اليابان فى اليوم التالى، مما دعا ألمانيا وإيطاليا إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية فى 11 ديسمبر 1941.

ويذهب بعض المؤرخين الأمريكيين إلى أن حادث بيرل هاربر كان من تدبير حكومة الرئيس روزفلت التى سعت إلى إقناع الشعب الأمريكى بالدخول فى الحرب إلى جانب دول غرب أوروبا الديمقراطية ضد دول المحور، فترأخت فى إتخاذ الإحتياطات اللازمة لإتقاء الضربة اليابانية الأولى، رغم تمكن المخابرات الأمريكية من حل الشفرة اليابانية، وعلمها المسبق بمخططات اليابان العسكرية. ولايقدم أصحاب هذا الرأى دليلاً مقنعاً على صحة وجهة نظرهم، فلو كان الحادث من تدبير الحكومة الأمريكية حقاً لجاأت خسائره محدودة، ولما ترتب عليه شل حركة الأسطول الأمريكى تماماً فى المحيط الهادى حتى تمكنت اليابان من جنى ثمار تلك الضربة المفاجئة، فإستولت على هونج كونج وفورموزا والملايو والفلبين وجزر الهند الشرقية، ولم تبدأ أمريكا هجومها المضاد ضد التوسع اليابانى فى جنوب شرقى آسيا إلا فى نوفمبر 1943.

التورط فى الحرب وسقوط الفاشية

وقابلت الولايات المتحدة إكتساح اليابان لجنوب شرقى آسيا بخطة عسكرية إلتزمت حدود الدفاع حتى تتفرغ مع حلفائها لمواجهة هتلر وتعيد بناء قواتها فى المحيط الهادى وتنسيق خططها مع الحلفاء فى مجال الإستراتيجية والإنتاج الاقتصادى. ثم إنتقلت بعد ذلك من موقف الدفاع إلى الهجوم، فشنت غارات جوية من حاملات الطائرات الأمريكية على الأسطول اليابانى (7، 8 مايو 1942) نجحت خلالها فى إحباط محاولة اليابانيين قطع خطوط الإمدادات الأمريكية لإستراليا عبر جنوب المحيط الهادى، وحققت أول إنتصار على الأسطول اليابانى فى المعركة ميدوى Midway التى أغرقت خلالها قاذفات القنابل الأمريكية 21 سفينة حربية يابانية (4، 7 يونيو 1942)، وبذلك حالت دون إحتمال وقوع جزر هاواى فى يد اليابانيين.

وبدأ مد الإنتصارات التى حققها اليابانون فى الإنحسار إعتباراً من عام 1943 حين شن الأمريكيون هجوماً شاملاً على المستعمرات اليابانية فى محيط الهادى فيما عرف باسم "معركة الباسيفيكي" التى إمتدت حتى منتصف عام 1945، وتمكن الحلفاء خلالها من دحر القوات اليابانية فى مجموعة الجزر المتناثرة فى المحيط الهادى، وإنتزاع بورما وسنغافورة والفلبين وغنيا الجديدة وأوكيناوا من أيديهم، وأنهكت الغارات الجوية والغواصات الأمريكية الأسطول اليابانى، فأغرقت ما يقدر بسبعمائة سفينة يابانية حتى نهاية عام 1944 الذى بدأ الأمريكان عند منتصفه غاراتهم الجوية على المناطق الخاضعة لليابان فى شمال الصين ومنشوريا. وأخذت قاذفات القنابل الأمريكية منذ مطلع عام 1945 تقصف المراكز الصناعية اليابانية الهامة فى الجزر اليابانية ذاتها مثل طوكيو وناجويا وأوساكا وكوبى وغيرها، كما دمرت العديد من المطارات فى جزيرة كيوشو. وإنضم الإنجليز إلى حلفائهم الأمريكيين فى عمليات القصف الجوى للمدن اليابانية إعتباراً

من يوليو 1945، فقدت الطلعات الجوية على المدن اليابانية بأكثر من ألفين طلعة في اليوم الواحد، وفقدت اليابان في الشهور الأخيرة من نفس العام ما يقدر بثلاثة آلاف طائرة و 1600 سفينة بين حربية وتجارية. وما كاد يحل أول أغسطس 1945 حتى كانت اليابان قد فقدت القدرة على القتال في الجو والبحر.

وحين توالى الهزائم على اليابان قرر المجلس الإمبراطورى فى يوليو 1944 تنحية الجنرال طوجو هيديكى من السلطة وتشكيل حكومة عسكرية جديدة لمواجهة الموقف، ولكن هذه الحكومة عجزت عن تغيير دفة النكسات العسكرية التى لحقت بالبلاد، وتلتها حكومتان عسكريتان أخريان لم تحرزا أى تقدم فى هذا المجال، فشدد الحلفاء هجماتهم المكثفة على اليابان. وكانت خسارة اليابان للحرب أمراً مسلماً به، فجرت إتصالات بين الحكومة اليابانية والروس فى 13 يوليو 1945 تنشد من السوفيات التوسط لدى الأمريكان والإنجليز لعقد معاهدة سلام وإنهاء حالة الحرب، غير أن السوفيات إتزموا الصمت، فقد تعهد ستالين فى مؤتمر يالنا (فبراير) بالهجوم على منشوريا وكوريا فى أغسطس لإستنزاف الطاقة العسكرية لليابانيين ومنعهم من الإستفادة بقواتهم هناك فى تدعيم الدفاع عن اليابان ذاتها، ولذلك تلكاً السوفيات فى الرد على اليابانيين حتى 8 أغسطس بعد تعرض هيروشيما للقصف الذرى بيومين إثنين رغم أن إستخدام هذا السلاح الجديد تم دون علمهم، فلم يطلعهم حلفاؤهم الأمريكيون على ما يفيد إمتلاكهم لهذا السلاح. وجاء الرد السوفياتى على طلب اليابان فى صورة بلاغ من الحكومة السوفياتية أعلنت فيه دخولها الحرب ضد اليابان إعتباراً من اليوم التالى للبلاغ، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وبعد هذا البلاغ السوفياتى بساعات قصفت مدينة نجاساكي وقاعدتها البحرية بقنبلة ذرية أمريكية ثانية، وشن السوفيات هجوماً كبيراً على القوات اليابانية فى كوريا ومنشوريا، فتحمطت آمال العسكريين اليابانيين فى عقد سلام مشرف، وإضطروا إلى القبول بشروط الحلفاء والتسليم لهم نهائياً فى 14 أغسطس، ووقعت معاهدة التسليم غير المشروط فوق ظهر السفينة الحربية الأمريكية ميسورى التى ألتقت مراسيها فى خليج طوكيو (2 سبتمبر 1945).

ولم يكن قرار التسليم غير المشروط ناتجا عن تعرض مدينتين من أكبر مدن اليابان وقاعدتين من أعظم قواعدها البحرية للقصف الذرى، أو عن دخول السوفيات الحرب ضد اليابان وإجتياحهم كوريا ومنشوريا، ولكنه كان نتيجة تصدع النظام العسكرى الفاشى منذ نهاية عام 1944 بعدما خسرت اليابان معركة الباسفيكى وفقد النظام مبررات وجوده، وكان قرار التسليم للحلفاء يتوقف على إنهاء الحكم العسكرى، وقد أقدم الإمبراطور على إتخاذ هذه الخطوة فأعلن بنفسه قرار التسليم بلا قيد ولا شرط فمارس بذلك سلطته لأول مرة فى ظل نظام طالما إتخذ الولاء للإمبراطور سبيلاً لتدعيم سلطته، وأدار سياسة البلاد نيابة عن الإمبراطور الذى لم يكن يتمتع بسلطة حقيقية، وكان المجلس الإمبراطورى الذى يخطط للسياسة العليا للبلاد ويضم أقطاب البيروقراطية وكبار العسكريين ورؤساء الحكومات السابقين يصدر قراراته وفق هوى الطغمة العسكرية الحاكمة، وينزل قوات الحلفاء إلى اليابان ألقى القبض على أقطاب النظام العسكرى الحاكم، وقدموا للمحاكمة بإعتبارهم مجرمى حرب وشكلت فى 22 أبريل 1946 حكومة برئاسة شيديهارا كيجيرو آخر من بقى على قيد الحياة من الشخصيات اللبرالية التى لعبت دوراً بارزاً فى الحياة السياسية قبل إنجراف اليابان فى تيار الفاشية، ووقع على كاهل حكومته عبء إصلاح ما أفسدته الحرب وإعادة بناء اليابان وفق أسس جديدة خطط لها الأمريكيون ونفذها الساسة اللبراليون.

قصة القنبلة الذرية

وإذا كان الكتاب الذى بين أيدينا الآن يعالج حصاد سياسة التوسع على حساب شعوب جنوب شرقى آسيا والصراع الإمبريالى فى المنطقة الذى إنتهى بهزيمة ساحقة ودشن سلاحاً رهيباً جديداً إستخدام لأول مرة هو القنبلة الذرية يجدر بنا أن نقف على أطراف قصة هذا السلاح ودوافع إستخدامه.

بدأ اكتشاف الذرة فى معامل معهد القيصر ولهم فى برلين عام 1938 نتيجة دراسات قام بها العلماء الألمان لمتابعة تجارب فى هذا المجال كان قد سبقهم إليها عالم إيطالى هو انريكو فيرمى فى عام 1934، ووصلت أنباء هذا الإكتشاف الجديد إلى أمريكا مع بعض العلماء الألمان الذين فروا من الإضطهاد النازى فى ألمانيا، وأبلغ أنيشتين العالم الأمريكى الشهير هذا النبأ إلى الرئيس روزفلت فى 11 أكتوبر 1939، فلم يعر الأمر إهتماماً، ولكنه ما لبث أن إقتنع بضرورة أخذ المسألة مأخذ الجد حين علم بالقوة الهائلة التى تنجم عن الطاقة الذرية وأن إستخدامها كسلاح فى الحرب قد يقلب موازين القوى فى العالم، فحرص على توفير السبل التى تحقق لأمريكا التوصل إلى إمتلاك هذا السلاح قبل ألمانيا.

وشكلت على الفور لجنة من العلماء والعسكريين كانت تتبع الرئيس الأمريكى مباشرة أحيط نشاطها بالسرية التامة، وحملت إسم "مشروع مانهاتن". وخصص الرئيس الأمريكى جانباً من المصروفات السرية الخاصة بالبيت الأبيض للإنفاق على هذا المشروع الذى اشترك فيه أنريكو فيرمى العالم الإيطالى سالف الذكر فأقيمت ثلاث معمل لأبحاث الذرة فى ثلاث مناطق منعزلة بولايات نيكومكسيكو وتنسى، وواشنطن.

وفى الثانى من ديسمبر عام 1942 توصلت اللجنة إلى نتائج مؤكدة حول إمكانية إستخدام هذه الطاقة الجديدة فى صنع قنبلة ذرية، وبدأ الخبراء العسكريون وضع تصميمات القنبلة بالتعاون مع العلماء، ووضعوا خطة لإنتاج نوعين من هذه القنبلة أعطى أولهما إسماً رمزياً هو "الولد الصغير" أما الآخر فأطلق عليه "الرجل السمين" وفى نفس الوقت أعيد النظر فى تصميم الطائرة القاذفة (ب29) بحيث تصبح مهيأة لحمل هذا السلاح وإستخدامه، وإختير فريقان من مهرة الطيارين المقاتلين للتدريب على هذه الطائرات فى ظروف طبيعة مختلفة.

وتم إنتاج القنبلة في مطلع عام 1945، ووقع الاختيار على جزيرة تن يان لتصحيح قاعدة لإطلاق أول عملية قصف نووى فى التاريخ، وتقع هذه الجزيرة على بعد مائة ميل إلى الشمال من جزيرة جوام، وعلى بعد نحو 1500 ميل إلى الجنوب من جزيرة هنشو كبرى جزر اليابان التى تقع هيروشيما فى جنوبها الغربى. وأرسلت المجموعتان اللتان تدربتا على عملية القصف الذرى إلى جزيرة تن ياب مع سريين من طائرات (ب 29) وقنبلتان ذريتان فى 21 يونيو 1945، وأثناء وجودها بتلك القاعدة تمت تجربة أول تفجير نووى فى التاريخ بصحراء نيومكسيكو فى 16 يوليو، وإطمأنت القيادة الأمريكية إلى فاعلية السلاح الجديد، وبدأ منذ ذلك التاريخ العد التنازلى لإستخدام القنبلة "الولد الصغير" فى قصف مدينة هيروشيما، والقنبلة "الرجل السمين" فى قصف مدينة نجاساكي.

وأقلع السرب الأول الذى يحمل "الولد الصغير" فى صبيحة السادس من أغسطس متجهاً صوب هيروشيما، وكان يتكون من ثلاث طائرات (ب 29) تحمل إحداها القنبلة، أما الثانية فتحمل بعض العلماء الذين إشتراكوا فى المشروع لتسجيل النتائج العلمية للقصف، وحملت الطائرة الثالثة آلات التصوير وبعض الفنيين، وفى الساعة الثامنة والرابع و 17 ثانية أُلقت الطائرة الأولى القنبلة فوق هيروشيما المدينة التى كان يسكنها عندئذ نحو نصف مليون نسمة، وهبطت القنبلة بمظلتين ليتاح لها قرصة الانفجار فى الجو، وكان وزنها يبلغ خمسة أطنان وألقت على المدينة من ارتفاع 1870 قدماً، وبلغت قوة انفجارها ما يعادل 13500 طنًا من مادة الـ (TNT) شديدة الانفجار.

وفى صباح التاسع من أغسطس أقلع السرب الثانى من قاعدة تن يان يحمل القنبلة "الرجل السمين" والعلماء والأجهزة الفنية والآلات التصوير قاصداً نجاساكي التى تقع غرب جزيرة كيوشيو، وكان يسكنها مايربو على ربع مليون نسمة، وألقت القنبلة على المدينة فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً فانفجرت على ارتفاع 1540 قدماً لتلحق بالمدينة دماراً شاملاً.

لقد مر بنا أن اليابان خسرت معركة المحيط الهادى تماماً مع نهاية عام 1944، وحاولت أن توسط الإتحاد السوفياتى فى عقد صلح مع الحلفاء فى 13 يوليو 1945، أى قبل قصف هيروشيما بنحو ثلاثة أسابيع، وأن تصدح الحكم العسكرى جعل الإمبراطور يفكر جدياً فى التسليم، هذا بالإضافة إلى أن الأمريكين كانوا يملكون مفتاح الشفرة اليابانية ويعرفون حقيقة الأوضاع فى اليابان، فلماذا إذن أقدموا على إستخدام السلاح النووى الرهيب ضدها ؟

لقد كانت الحرب توشك على الإنتهاء ويشرف العالم بإنتهائها على عصر جديد، وأصبح من الواضح أن إنجلترا وفرنسا فقدتا زعامتهما التقليدية للعالم الديمقراطى الغربى لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التى أنقذت الغرب من الإندحار أمام الفاشية، فكان من المتوقع أن ترث الولايات المتحدة المكانة التى تمتعت بها إنجلترا وفرنسا من قبل، كما ترث قدرا من المصالح الإمبريالية فيما وراء البحار يتكافأ مع حجم الدور الذى لعبته فى تدعيم مركز الديمقراطيات الغربية فى مواجهة الفاشية، كما أصبح واضحا كذلك أن الإتحاد السوفياتى قد إكتسب قوة وفعالية على مسرح السياسة الدولية نتيجة الصراع مع الفاشية، وأنه سوف يصبح القطب المقابل للولايات المتحدة الأمريكية بإعتباره -عندئذ- القوة الاشتراكية الكبرى الوحيدة فى العالم التى تتزعم البلدان الاشتراكية الأخرى والتى تختلف مبادئها ومصاحها مع الإمبريالية، فكان ثمة إحتمال حدوث مواجهة بين الطرفين المتناقضين فى عصر ما بعد الحرب، لذلك حرصت الولايات المتحدة الأمريكية أن تلتفت نظر الإتحاد السوفياتى بصورة عملية إلى ما لديها من قوة رادعة تجعله لا يفكر فى تحدى أمريكا المتحدثة بلسان المصالح الإمبريالية فى عالم ما بعد الحرب، فكان قصف هيروشيما ونجاساكي خطابا موجها إلى حليف اليوم الذى قد يصبح عدو الغد. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت بحاجة إلى ميدان حى لتجربة السلاح الجديد، لمعرفة مدى فعاليته، والتأثيرات التى تنتج عن الإشعاع الذرى فى البنية والإنسان، فكان إستخدام المدن اليابانية حقل تجارب للتفجير النووى يحقق لأمركا هذه الغاية، كما يوفر عنصر الردع الذى يترك أثرا نفسيا بالغاً على شعب تحدى الولايات المتحدة، وحطم هيبتها ذات يوم، وتربى على تقبل سياسة القوة وتشبع بالروح العنصرية المستمدة من تراثه التقليدى.

ومهما كان الأمر، فإن إستخدام القنبلة الذرية فى ضربة هيروشيما ونجاساكي فتح الباب على مصراعيه لعصر جديد، تسابقت فيه القوى الكبرى على إمتلاك الأسلحة النووية وتطويرها حتى أن قوة قنبلة هيروشيما على ما سببته من دمار تشبه عود الثقاب بالنسبة للأتون المتهب، إذا ما قورنت بالتطور الذى أصبحت عليه الأسلحة الذرية الآن، ولعبت الذرة دورا كبيرا فى الدبلوماسية الدولية وفر جانب الردع، وشجع العملاقان الذريان على إنتهاج سياسة الوفاق. كما إنضمت لعضوية النادى الذرى فى السنوات الأخيرة فرنسا والصين والهند وإسرائيل وباكستان، وتتطلع بعض الدول النامية الأخرى مثل إيران إلى الإنضمام إليه.

مصادر يمكن الرجوع إليها

- 1- Alperovitz, Gar: Atomic Diplomacy, Hiroshima and Potsdam New York 1965
- 2- Amrine, Michael: The Great Decision, The Secret History of the Atomic Bomb, new York 1969
- 3- Herbrt Feis: The Road to Pearl Harbor, USA 1950

- 4- James David: The Rise and fall of the Japanese Empire, London 1951.
- 5- Maruyama Masao: Thought and Behavior in Modern Japanese Politics. ed by Ivan Morris, USA 1963
- 6- Richard Storry: The Double Patriots, A study in Japanese Nationalism, USA 1957.
- 7- Seiji G Hishida: Japan Among the Great Powers, USA 1940
- 8- Stonier, Tom: Nuclear Disaster, New York 1963
- 9- Togo, Shigenori: The Cause of Japan, New York 1956
- 10- William Craig: The Fall of Japan, USA 1967.
- 11- Yale C Maxim: Control of Japanese Foreign Policy, A Study of Civil – Military Rivalry 1936 – 1945, USA 1957.

يوميات هيروشيما

لما كان الدكتور هتاشيا قد أبدأ يومياته دون أن يتطرق إلى ذهنه فكرة نشرها، فلم يعن بوصف المستشفى الذي كان مسرحاً لتلك اليوميات أو إعطاء فكرة عن العاملين به الذين يمثلون الشخصيات الرئيسية في تلك اليوميات. أما المستشفى فهو مستشفى المواصلات بهيروشيما الذي كان يقوم على علاج موظفي وزارة المواصلات بمنطقة هيروشيما، وهم يشملون موظفي البريد والبرق والتليفونات. ولما كانت هيروشيما تضم نصف مليون نسمة، وتعد عاصمة لمحافظة هيروشيما التي بلغ عدد سكانها عندئذ مليونان، فإن هذا المستشفى كان يتمتع بأهمية ملحوظة وكان عدد العاملين به يبلغ نحو عشرين عضواً بين طبيب وممرض وبلغ عدد أسرته عندئذ 125 سربيراً، ولكن هذه الطاقة لاتعطي تحديداً دقيقاً لحجم الخدمة التي تؤديها المستشفى فإن عدد المرضى الخارجيين الذين كان يقوم على خدمتهم كبير جداً لايقارن بعدد أولئك الذين تستدعي ظروف مرضهم إستبقاؤهم بعض الوقت بالمستشفى.

وكان هذا المستشفى ملحفاً بالمنى الرئيسي لمصلحة المواصلات وكلا المبنيان كان شامخاً مشيداً بالخرسانة المسلحة، وبعد حادث قصف هيروشيما تحول مبنى المصلحة إلى مبنى ملحق بالمستشفى، وكان كلاهما يقع على بعد 1500 متر من مركز تفجير القنبلة الذرية شمال شرق حدود المنطقة العسكرية الكبرى التي كان يطلق عليها اسم "تكنات هيروشيما العسكرية" والتي تحطمت تماماً نتيجة القصف، أما منزل الدكتور هاتشيا (صاحب اليوميات) فقد كان يقع على بعد بضع مئات من الأمتار بالقرب من المستشفى.

وحتى حادث القصف بالقنبلة الذرية لم تكن هيروشيما قد تعرضت للقنابل خلال الحرب، ولكن السلطات العسكرية رأت أن تعد العدة لإحتمال تعرض المدينة لغارات جوية قمامت بهدم آلاف المنازل حتى تقيم مكانها طرقاً متسعة تساعد على مرور سيارات الإطفاء في حالة الطوارئ وتم إجلاء الألاف من سكان هذه المنازل. وتمشياً مع هذه الإجراءات أخلى الدكتور هاتشيا المستشفى من مرضى القسم الداخلي وحولهم إلى مرضى خارجيين حتى إذا تعرضت المدينة لقصف جوى كان المستشفى خالياً تماماً ومستعداً للطوارئ.

وفيما يلي قائمة بأسماء العاملين بالمستشفى بالإضافة إلى بعض الشخصيات التي تبدو من حين لآخر بهذه اليوميات:

- الدكتور أكي ياما، رئيس قسم الولادة وأمراض النساء.
- الدكتور تشودو، طبيب بقسم الأسنان.
- الدكتور فوجي، رئيس قسم الأسنان.
- الدكتور هاتشيا، مدير المستشفى وصاحب هذه اليوميات.
- الدكتور هانا أوكا، رئيس القسم الداخلي.
- الدكتور هارادا، صيدلي.
- الأنسة هينادا، ممرضة بالمستشفى.
- الدكتور هينوتشي، رئيس الصيدالة.
- السيد إيجوتشي، سائق بمصلحة المواصلات.
- السيد إيماتشي، موظف إداري بالمستشفى كان يقوم في نفس الوقت بعمل كبير الطهاة.
- السيد إيسونو، أصبح رئيساً لمصلحة التليفونات بهيروشيما بعد مقتل السيد يوشيدا.
- الأنسة كادو، الممرضة الخاصة للدكتور هاتشيا.
- الدكتور كاتسوبي، رئيس قسم الجراحة.
- الدكتور كيتاجيما، رئيس الإدارة الصحية بمدينة هيروشيما.
- السيد كيتا أو، موظف إداري بالمستشفى.
- الدكتور كوياما، مساعد رئيس قسم العيون بالمستشفى.

- السيد ميزو جوتشى، كاتب سابق بالمستشفى قام خلال الأحداث بالإشراف على الحى وبدور المدير الإدارى للمستشفى وموظف العلاقات العامة والرجل الذى يتصدى لكل الملمات.
- الدكتور مورى سوجى، طبيب بالقسم الداخلى.
- السيد أوكاموتو، رئيس قسم غرب هيروشيما بمصلحة المواصلات.
- الدكتور أوكورا، طبيب أسنان.
- السيدة سائيكى، وهى مصنفة كفراشة (تمرجية) بالمستشفى ولكن هذا التعريف لاينصف السيدة سائيكى لأن هذه السيدة التى حرمت من أبنائها الثلاثة وزوجها الذين ماتوا جميعاً فى الحرب ذات الشخصية القومية الممتلئة بالحزن، التى تكافح شطف العيش والفقر، كانت تقوم بمهمة الصديق والمستشار للجميع، وتضفى من أمومتها الكثير على العاملين بالمستشفى والمرضى والزوار، فكان الجميع يطلقون عليها اسم " الجدة العزيرة".
- السيد ساساكى، جار الدكتور هاتشيا وصديقه.
- الدكتو ساسادا، رئيس قسم الأطفال بالمستشفى.
- السيد سيراء، رئيس مكتب العمل بالمستشفى.
- السيد شيوتا، موظف بمكتب العمل.
- الأنسة سوسو كيدا، رئيسة الممرضات.
- الأنسة تاكاؤو، مموضة الجراحة الخاصة بالدكتور كاتسوى.
- الدكتور تاماجاوا، أستاذ التحاليل بكلية الطب بهيروشيما.
- السيد يوشيو، رئيس الشئون العامة بالمستشفى.
- السيدة يانيكو، زوجة الدكتور هاتشيا.
- الأنسة ياما، رئيسة الممرضات بقسم الجراحة.
- السيد ياما زاكى، موظف بمكتب العمل الذى تولى الإشراف على محرقة الجثث
- السيدة يوشيدا، زوجة الرئيس السابق لمصلحة التليفونات بهيروشيما.

6 أغسطس 1945

كان الوقت مبكراً، لازال الصباح دافئاً، وإنعكس ضوء الشمس على أوراق الشجر، وبدت السماء صافية فعكست الظلال على حديقة منزلى بينما كنت أحملق شارداً فى السماء عبر الأبواب الواسعة فى إتجاه الجنوب.

كنت لا أرتدى سوى الفانلة والسروال القصير، مستلقياً على الأرض بغرفة المعيشة منهك القوى حيث عدت من المستشفى بعد أن سهرت ليلة كاملة قمت خلالها بالعمل كمراقب للغارات الجوية بمستشفى.

وفجأة لمع بريق ضوء أمام عيني، ثم تكرر نفس المنظر، ولا أكاد أتذكر ماحدث على وجه الدقة، كل ما أذكره أن الفانوس الحجرى الذى كان موجودا فى الحديقة أصبح مضيئاً، ولم أدر ما إذا كان هذا الضوء نتيجة إشتعال مغنسيوم أم نتيجة شرارات صدرت عن الترام الذى يمر بجوار منزلنا.

إخفت ظلال الحديقة وتحول الجو الذى كان منذ قليل صحوا مشمسا إلى مظلم معتم، ورأيت خلال الغبار الذى ملأ المكان الدعامة الخشبية التى قام عليها أحد أركان منزلى تميل بصورة تهدد بإنهيار السقف.

بدأت التحرك بذهول محاولا الهرب ولكن الأنقاض عاقت سبيلى، وتمكنت بعد جهد جهيد من أن أصل إلى الشرفة وأهبط الدرج إلى الحديقة، وأخذ الوهن يدب فى جسدى فوقفت حتى أستجمع قواى لأكتشف بدهشة بالغة أننى عار تماماً. ماأقبح هذا! أين سروالى وفانلتى؟ وماذا حدث؟

كان جنبي الأيمن مثخنا بالجراح ينزف دما وثمة شظية كبيرة تبرز من جرح مهمتك في فخدتي، وشئ دافئ أحس به في فمي أما خدودي فقد تمزقت وتحسست وجهي بحذر لاكتشف أن شفتي السفلى قد شجت شجا واسعاً، وعلى رقبتي كانت هناك شظايا متناثرة من الزجاج أخذت أزيحها بصعوبة بالغة وأفحصها بذهول والدماء تخضب يدي.

تري أين زوجتي ؟

فجأة أخذت أصبح بإنزعاج شديد مناديا عليها "يايكيو أين أنت؟"

واستمر الدم ينزف بغزارة، تري هل قطع شرياني السماوي؟ وهل سيظل دمي ينزف حتى أموت؟ ووجدت نفسي أصبح بخوف وفزع: "أنها قنبلة وزنها خمسمائة طن، يائيكيو أين أنت؟ لقد سقطت قنبلة وزنها خمسمائة طن". وبرزت يائيكيو مكفهرة الوجه خائفة ممزقة الثياب والدم ينزف من جروحها، برزت من تحت حطام المنزل تتحسس كوعها، حين رأيتهما هدأ روعي وحاولت أن أهدى من روعها، فقلت: "سيصبح كل شئ على مايرام، كل ماعلينا أن نفعله الآن أن نخرج من هنا بأسرع مايمكن". فأومات برأسها وأشرت لها أن تتبني. وكان الطريق الأقصر إلى الشارع يمر عبر باب منزلنا الخلفي ولذلك إضطرننا أن نمر عبر المنزل، نجرى ونتعثر ونسقط ثم نجرى مرة أخرى حتى بلغنا الطريق. وأثناء فرارنا أحسست أنني أدوس شيئاً ممدداً في الشارع وحين نظرت إلى موضع قدمي إكتشفت أنني دست على رأس إنسان فصحت بجنون: "عفوا ياسيدي عفوا!" ولكنني لم أتلق إجابة، كان الرجل ميتاً، وكانت الجثة لضابط شاب سحق جسده تحت بوابة حديدية ضخمة.

وقفنا في الشارع فزعين خائفين حتى شاهدنا المنزل المقابل لبيتنا يتداعي دفعة واحدة وتتناثر أنقاضه عند أقدامنا، وبدأ بيتنا يتهاوى بدوره وخلال دقيقة واحدة إنهار أيضاً تاركا سحابة من التراب وأخذت بقية المنازل تتفوض وتتساقط ثم اشتعلت النيران وزاد من لهيبها إشتداد الرياح التي بدأت تهب بقوة.

وأخيراً تبارد إلى أذهاننا ألا نظل في الطريق هكذا وأن نواصل السير حتى المستشفى، فقد فقدنا منزلنا وأصبحنا نعانى من الجراح، ونحتاج إلى العلاج، وفوق كل ذلك فإن واجبي يحتم على أن أكون بين الذين يعملون معي في المستشفى، ولكن هذا خاطر قطعه إحساس بما أنا فيه. تري كيف أستطيع أن أودي واجبي وأنا مصاب إلى هذا الحد !

وبدأنا السير نحو المستشفى، ولكنني توقفت بعد أن قطعت نحو عشرين أو ثلاثين خطوة، فقد بدأت أنفاسي تتقطع، وأخذت دقات قلبي تخفت، وعجزت قدمي عن حملي، وتملكني إحساس شديد بالعطش، فرجوت يائيكيو أن تبحث لي عن ماء ، ولكنها لم تجد ماء حولنا، وإسترجعت قواي بعد قليل وبدأنا نسير من جديد.

كنت لا أزال عاريا تماما، ولكنني لم أشعر على الرغم من ذلك بالخجل وأزعجني أن أكتشف أن التواضع قد ذابلي، فعند منعطف من الطريق، وجدنا جنديا يقف في الشارع مذهولا لا يدري ماذا يفعل، وكانت معه منشفة كبيرة فوق كتفه ، فطلبت منه أن يعطيني إياها لأستر بها عورتني، فناولني الجندي المنشفة دون أن ينطق ببنت شفة، وبعد ذلك بقيل فقدت هذه المنشفة فخلعت زوجتي يائيكيو مريلة المطبخ ولفتها حول فخدتي.

كنا نتجه نحو المستشفى ببطء شديد حتى تبيست قدمي وعجزتا تماما عن حملي، وققدت القوة والرغبة في متابعة السير ، فطلبت من زوجتي التي كانت إصاباتها أيضاً بالغة أن تذهب إلى المستشفى وحدها فرفضت، ولكن لم يكن أمامنا خيار آخر، فذهبت وحدها عساها تجد هناك من يستطيع حملي إلى المستشفى. نظرت يائيكيو إلى وجهي ثم أخذت تجرى نحو المستشفى دون أن تنبس بكلمة واحدة، نظرت إلى أثناء جريها مرة واحدة ولوحت بيدها ولكنها إخفت تماما وسط الظلام ، فقد كان الجو مظلماً عندئذ، وبعد أن ذهبت زوجتي شملني إحساس شديد بالوحدة.

ويبدو أنني فقدت الوعي بعد ذلك لأن كل ما أذكره أنه بينما كنت أرقد في الطريق إكتشفت أن جرح فخدتي عاد ينزف بغزارة وضغطت بيدي على مكان الجرح فتوقف النزيف وأحسست ببعض التحسن.

تري هل أستطيع المضي في طريقي ؟

وحاولت السير، كان ذلك بالنسبة لي بمثابة كابوس مزعج تختلط فيه مناظر جراحي مع الظلام مع الطريق، كان تحركي بطيئاً أما ذهني فكان يعمل بسرعة فائقة.

بعد وقت وصلت إلى ساحة واسعة كانت المنازل قد أزيلت منها لفتح طريق لسيارات الإطفاء، وخلال الضوء الخافت إستطعت أن أتبين ملامح مبنى مصلحة المواصلات حيث تقع المستشفى بجواره، فأرتفعت معنوياتي بعدما تأكدت أنه من السهل العثور على، حتى إذا قدر لي أن أموت فلا بد ان يعثروا على جثتي.

وتوقفت لأتال قسطاً من الراحة، وأخذت الأشياء من حولي تتضح رويدا رويدا، كانت أشباح الناس تبدو لناظري: بعضهم يسبرون كالأشباح، وبعضهم الآخر يتأوهون من الألم وقد رفعوا أذرعهم بعيداً عن أجسامهم. وقد تدلت سواعدهم وتأرجحت أكفهم فيدوا مثل خيال المقاته، فإجترت في تعليل سلوكهم هذا حتى تبينت فجأة أن أجسادهم محترقة وأنهم يرفعون أذرعهم ليتجنبوا آلام إحتكاك الجروح مع بعضها البعض، وبدت أمامي سيدة عارية تماماً تحمل طفلا عارياً ،

فغضضت البصر وقالت لنفسى: " ربما كانا فى الحمام العام عندما وقع الحادث ". ولكننى رأيت بعد ذلك رجلا عارياً، كما أننى كنت عارياً، فأيقنت أن ثمة شئ غير عادى أدى إلى فقد الناس لثيابهم. وإلى جانبى كانت هناك سيدة عجوز ترقد وقد إنطبع على وجهها تعبير الألم دون أن يصدر عنها أى صوت. كان الجميع يشتركون فى شئ واحد هو الصمت المطبق.

وكل قادر على الحركة كان يتجه نحو المستشفى، فإنضمت إلى هذه المسيرة الحزينة عندما إستعدت بعض قوى حتى بلغت أخيراً بوابة مصلحة المواصلات.

أحاطت بى الوجوه المألوفة، فقد كان هناك السيد أيجوتشى، والسيد يوشى هيرو وصديقى القديم السيد سيرا رئيس مكتب العمل، الذين هبوا لنجدتى وقد إختفت سمات البشر من وجوههم تاركة مكانها لتعابير الحزن والإنزعاج عندما رأونى مصاباً ولكنى كنت سعيداً برؤيتهم وبمشاركتهم المسئوليات الملقاة على عاتقهم.

لم نضيع وقتاً فى تبادل التحيات فمددونى على محفة وحملونى إلى داخل مبنى مصلحة المواصلات، وتجاهلوا إدعائى القدرة على المشى، وبدأت أعلم أن المستشفى قد إمتلا بالمصابين مما دفعهم إلى إستخدام مبنى المصلحة كمستشفى للطوارئ، وإكتظت الحجرات والممرات بالمصابين الذين تعرفت على بعضهم فقد كانوا من جيرانى، وبدا لى أن جميع سكان الحى موجودون فى هذا المكان.

دفعنى أصدقائى عبر إحدى النوافذ إلى حجرة الفراش التى كانت قد تحولت إلى نقطة إسعاف وكانت الحجرة تعج بالفوضى، فقد سقط ملاط حوائطها، وتحطم أثاثها وملأت الأنفاس أراضيتها، وتشققت حوائطها، وبدت نافذتها المصنوعة من الحديد الثقيل تتأرجح وكأنها على وشك السقوط، فعجبت كيف يصبح هذا المكان ملائماً لمداوة جراح المصابين.

وكان من المدهش أن يكون أول من تقع عليه عيني ممرضى الخاصة الأنسة كادوا والسيد ميزو جوتشى والسيدة سائيكى العجوز، وأخذت الأنسة كادو تفحص جروحى دون أن تنطق بكلمة واحدة، لم يتكلم أحد، وطلبت منهم قميصاً وبيجامة فأحضر وهما لى دون كلام، لماذا يلتزم كل الناس بالصمت؟

فرعت الأنسة كادو من فحص جراحي وفجأة أحسست بالنار تشتعل فى صدرى فقد بدأت تضع صبغة اليود على الجراح فلم يكن هناك دواء آخر بإستطاعته أن يوقف النزيف، ولذلك كان على أن أتحمل آلام صبغة اليود، وحاولت أن أتغلبت على الألم بالنظر عبر النافذة.

كان المستشفى يقع مقابل المبنى ويبدو لى طابقة الثالث وسقفه بوضوح وبينما كنت أنظر إلى مبنى المستشفى لمحت شيئاً أنسانى آلام جروحى، فقد كان الدخان يتصاعد من الطاقة المجدودة بالسقف، لقد كان المستشفى يحترق فصحت: "النار... النار... النار... المستشفى يحترق". ونظر أصدقائى عبرالنافذة ليجدوا أن ملاحظتى صحيحة، فقد كان المستشفى يحترق بالفعل، ودقت أجراس الإنذار، وأخذ الناس يتصايحون هنا وهناك، وكان صوت السيد سيرا، موظف مكتب العمل يعلو فوق الجميع، ويبدو أن صوته هو أول الأصوات التى سمعتها فى ذلك اليوم، وتلاشى حاجز الصمت وتحول مجتمعنا الصغير إلى خلية للشياطين.

تذكرت أن الدكتور ساسادا رئيس قسم الأطفال عادنى وواسانى ولكنى لم أستطيع الإستماع إليه بوضوح فقد كانت أذنى صماء، سمعت صوت الدكتور هينونى ثم صوت الدكتور كوياما، كان كلاهما يصدران الأوامر بإخلاء المستشفى وبدت أصواتهم فى أذنى مثل صحيات قوية تستحث من يتقاعسون عن العمل.

أضاعت السنة اللهب المتصاعدة من المستشفى السماء، وأصبح مبنى المصلحة ذاته مهدداً بالحريق، فأصدر السيد سيرا أوامره بإخلاء المبنى، ونقلوا محفتى إلى طرف الحديقة حيث وضعوها تحت شجرة كرز قديمة، وصفوا بقية المرضى فى الحديقة حتى إكتظت المنطقة وأصبح لا يوجد فيها مكان إلا لمن إستمتهم بالخطورة. لم يتكلم أحد وكل ما كان يسمع وسط هذا الصمت المطبق هو أنين الكثير من الناس الذين أخذوا يتأوهون من الأم ويجزعون من الخوف ينتظرون ما قد يحدث من الخطب.

إمتلات السماء بالدخان الأسود وبالشظايا المشتعلة، وإرتفعت أسنة اللهب وتحول الجو إلى جحيم نتيجة هبوب الرياح التى كانت من القوة بحيث أطاحت بصفائح الصاج التى كانت تغطى بعض الأسطح، فكانت النيران تزمجر وتدور فى كل إتجاه، وتطايرت قطع الخشب المشتعل وأخذت تتساقط من حولنا، وبينما كنت أحاول أن أبتعد عن النيران سقطت جذوة ملتهبة على ركبتي وكان ذلك كل ما إستطعت عمله لتفادى الموت حرقاً.

وبدا مبنى المصلحة يحترق، وأخذت النوافذ تتحول إلى مربعات من اللهب الواحدة تلو الأخرى حتى غطت النيران المبنى كله وأخذ يعلو صوت طفقة الحريق وتحول المنظر إلى جحيم كامل.

تساقطت النوافذ من حولنا لتقذف بالتراب والرماد فى أعينا وأنوفنا، وجفت حلقنا بسبب الدخان الذى الذى ملاً رتئنا، لم يعد بإستطاعتنا التحكم فى السعال وكان من الممكن نقلنا من المكان لولا أن بعض التكنات الخشبية العسكرية بجوارنا بدأت فى الإشتعال وتحولت إلى أتون ملتهب.

أصبحت الحرارة تفوق قدرتنا على الإحتمال ولم يكن أمامنا مفر من مغادرة الحديقة، فجا أولئك الذين إستطاعوا الفرار ، وإحترق من عجزوا عن الفرار. ولولا أصدقائي الأعزاء لكنت هالكا لا محالة، ولكنهم أنقذوني مرة أخرى وحملوا محفتي إلى البوابة الرئيسية على الجانب الآخر من مبنى المصلحة حيث تجمعت مجموعة من الناس وجدت من بينهم زوجتي ثم لحق بنا دكتور ساسادا والأنسة كادو.

شبت النيران في كل مكان حولنا نتيجة هبوب عاصفة زادت النار لهيبا وجعلتها تنتقل من مبنى إلى آخر، وما هي لحظة حتى كانت النيران تحيط بالمكان من كل جانب، وتحولت الأرض المقابلة لمبنى مصلحة المواصلات إلى واحة وسط صحراء من النيران، وعندما أخذت أنسة اللهب تقترب منا إزدادت حرارة المكان، وإذا لم يكن بيننا من يقوم بتغطية أجسادنا بالماء لما بقى منا أحد على قيد الحياة.

بدأت أفقد الوعي بسبب الحرارة الفظيعة، وكاد قلبي يتوقف، وإختلطت المناظر من حولي، فأخذت أتمتم بصوت خافت من شدة الألم: "لقد شوى جسدى".

وتناهت إلى مسامعي أصوات تبدو وكأنها قادمة من بعيد ففتحت عيني لأجد الدكتور ساسادا يجس نبضى ترى ماذا حدث؟ حقتنى الأنسة كادوا وبدأت أستعيد قواى تدريجا، يبدو أننى كنت فى حالة إغماء.

وأخذ المطر يتساقط وكانت قطراته كبيرة بشكل ملحوظ وظن البعض أنها عاصفة مرعدة هبت لتطفئ النيران، ولكن ذلك المطر كان متقلبا فلم يستمر طويلا حتى أمسكت السماء عن الجود به.

تحول الطابق الأول بمبنى المصلحة إلى كتلة من اللهب وبدأت أسنة النار تتجه نحو واحتنا الصغيرة بجوار البوابة، فأدرت أنه لا حيلة لنا لتفادى هذه النيران.

وسقط بجوارنا إطار حديدى خلعه النيران من موضعه بالبناء وإتجهت كرة نارية نحوى وإستقرت بجوارى فأمسكت النار بثيابى ومرة أخرى أغرقنى أصدقائى بالماء ولبثت بعض الوقت لأدرى مايدور حولى.

وكل ما أذكره أننى رأيت الدكتور هينونى الذى حركنى من مكانى فاشتعل جسدى بالألم نتيجة هذه الحركة.

وما أذكره أيضا منظر مساحة واسعة حولى، يبدو أن النيران قد خمدت وأننى لازلت أعيش، لقد نجح أصدقائى فى أنقاذى مرة أخرى، وأفقت لأسمع صوت السيدة ساتيكى العجوز الذى لايمكن أن تخطئه الأذن تقول "إتجهج بإدكتور سيصبح كل شى على مايرام لقد حرق الجانب الشمالى من المدينة بأكمله ولذلك لن نخشى أن تتهددنا النيران مرة أخرى".

وكانت الطريقة التى تواسينى بها السيدة العجوز تجعلنى أحس وكأنى إبنها وكانت فعلا على حق فقد إحترق الجانب الشمالى من المدينة بأكمله وكانت السماء لا تزال داكنة، ولكنى لا أستطيع أن أتبين ما إذا كان الوقت مساء أو ظهرا أو اليوم قد إنقضى، فقد فقد الزمن معناها بالنسبة لى، وكل ما مر بى من ظروف يتزاحم أمام رأسى بشكل رتيب رتابة الأبدية.

كان الدخان لا زال يتصاعد على الطابق الثانى من المستشفى ولكن النار خمدت فلم يكن ثمة شى قابل للحريق لم تأت عليه النيران، ولكنى علمت فيما بعد أنه قد تم إنقاذ محتويات الدور الأرضى من الدمار بفضل جهود الدكتور كوياما والدكتور هينونى.

أما الشوارع فكانت خالية إلا من الموتى، وبدا بعضهم وقد جمد الموت حركته وهو فى موضع الفرار، بينما البعض الآخر يفترشون الأرض وكأن ماردا قذف بهم من علو شاهق.

أما هيروشيما فلم تعد مدينة، لقد تحولت إلى ساحة واسعة محترقة وإستوى كل شى على الأرض شرقاً وغرباً، بدت الجبال التى تطل على المدينة أكثر قرباً من ذى قبل وأخذت تلال "أوشيتا" وغابات "نيجتسو" تبدو واضحة من خلال الدخان تشبه موقع الأنف والعيون من الوجه، وأصبحت هيروشيما صغيرة المساحة بعد أن إختفت منازلها.

تغير إتجاه الريح وإمتلأت السماء بسحب الدخان وفجأة سمعت شخصا يصيح: "طائرات.. طائرات العدو!".

هل كان من الممكن أن يحدث هذا حقا؟ هل تركت القنبلة التى قذفت بها المدينة شيئا لمثل هذه الغارة الجوية الجديدة؟ وقطع أفكارى صوت أليف لى، كانت إحدى الممرضات تنادى الدكتور كاتسوبى، وصاحت السيدة ساتيكى: "إنه الدكتور كاتسوبى، إنه بعينه". وبدت البهجة فى نبرات صوتها وهى تستطرد قائلة: جاء الدكتور كاتسوبى".

كان الدكتور كاتسوبى هو كبير الجراحين بالمستشفى ولكن يبدو أنه لم يدر بوجودنا، فقد كان المصابون يتزاحمون عليه ، ونسينا كل شى عن طائرات العدو، فقد كانت سعادتنا بالغة حين رأينا الدكتور كاتسوبى سليما معافى بيننا.

حملنى أصدقائى إلى المستشفى، وكانت المسافة بين موضعى وبين المستشفى لآتزيد على مائة متر، ولكنها كانت كافية لتجعل قلبي يكاد يتوقف وتزيد إحساسى بالألم ثم تصيبى بالإغماء، إننى أذكر المنضدة الصلبة التى كنت أنام عليها والألم

الشديد الذي أحسست به عندما خاط الدكتور كاتسوبي شفتى السفلى، ولكنى لا أذكر شيئاً عن الجروح التي جاوز عددها الأربعين والتي قام الدكتور كاتسوبي بخياطتها تلك الليلة، ثم نقلوني إلى غرفة مجاورة وأذكر أنني أحسست بالراحة وبالرغبة في النوم، وكانت الشمس تغرب مخلفة وراءها سماء داكنة حمرة، فقد كانت السنة للهب الحمر تتصاعد من أحياء المدينة المحترقة إلى عنان السماء وأخذت أنظر إلى السماء حتى غلبني النوم.

7 أغسطس 1945

يبدو أنني نمت نوماً عميقاً لأنه عندما فتحت عيوني كانت الشمس ساطعة تماماً والجو حاراً، فلم تكن هناك نوافذ أو ستائر تحجب الضوء، وأصمت أنات المرضى أذني. وكان كل شيء غارق في الفوضى، فقد غطت الأنقاض الأرض، وكانت الحوائط والسقوف محترقة وبدت وكأنها مكسوة ببذور السمسم تبدو عليها آثار الزجاج المتطاير وأطر حديد النوافذ المتطاير أيضاً. وجوار النافذة كان هناك دولايب للدوايت الطبية مقلوب رأساً على عقب وبجواره مقعد محطم خاص بعيادة الأنف والأذن والحنجرة، وقد سقط فوقه المصباح الكهربائي الذي كان يستخدم في الكشف على المرضى. وخلاصة الأمر أن العين لم تكن تقع على شيء سليم أو مرتب.

وكان الدكتور ساسادا الذي تحمل عبء رعايتي بالأمس يرقد على يساري وظننت أنه قد سلم من الأذى، ولكنى إكتشفت الآن أنه أصيب بحروق بالغة، كانت الضمادات حول رأسه ويديه، وقد تورم وجهه الذي كان يحمل الكثير من براءة الطفولة حتى أنه كان يصعب على أن أتعرف عليه إلا من صوته. أما زوجتي فكانت ترقد على يميني وقد غطي وجهها مرهم أبيض جعلها تبدو كالشبح. وكان ذراعها الأيمن معلقاً في رقيبتها. أما الأنسة كادو فقد أصيبت بجراح طفيفة، وكانت ترقد بيني وبين زوجتي وتولت ترميضنا طوال الليل.

وحيث لاحظت زوجتي أنني إستيقظت من نومي قالت لي: "يبدو أنك عانيت الكثير ليلة أمس". فوافقتها الأنسة كادو على ذلك وقالت: "إنني لا أذكر عدد المرات التي قمت فيها بفحص تنفسك".

وشاهدت زوجة الدكتور فوجي تجلس بلا حراك على أريكة بجوار الحائط كان وجهها يعبر عن الجزع واليأس، فالتفت إلى الأنسة كادو وسألته عما حدث فأجابت بأن السيدة فوجي لم تصب إصابة بالغة ولكن طفلها مات خلال الليل، فسألته عن الدكتور فوجي فأخبرتني أن إبتهم الكبرى فقدت فخرج في الليل يبحث عنها ولم يعد حتى الساعة.

جاء الدكتور كوياما ليستطلع أحوالنا، ولكن منظره وقد أحاطت برأسه الضمادات وتعلق ذراعه برقبته أثار أشجاني وجعل الدموع تظفر من عيني، فقد ظل يعمل طوال الليل، ولا يزال حتى الآن يعتنى بالآخرين دون أن يهتم بنفسه.

كان الدكتور كاتسوبي جراحنا وممرضته الأنسة تاكاهو يقفان إلى جانب الدكتور كوياما الذي أصبح الآن مديراً للمستشفى بالنيابة وكان يبدو على الجميع الإعياء والتعب وبدت ثيابهم البيضاء متسخة وملطخة بالدماء، وعلمت منهم أن السيد إيجوتشي سائقنا إستطاع تشغيل مصابيح الطوارئ مستخدماً في ذلك بطارية السيارة ومصابيحها الأمامية وإستطاعوا بذلك أن يجروا العديد من العمليات الجراحية حتى خفتت الإضاءة قبيل طلوع النهار، وحيث لاحظ الدكتور كوياما حرصى على الإطمئنان على سير العمل قال لي: "يادكتور كل شيء على مايرام".

وفحصني الدكتور كاتسوبي، بعد أن إطمأن على النبض قال لي: "لقد كانت جراحك متعددة، ولكن لحسن الحظ كانت جميعها بعيدة عن الأماكن الحساسة بالجسم". وشرح لي حالة الجراح التي أصابتنى والطريقة التي عوجلت بها ودهشت حين عملت أن كنتى كان مجروحاً جرحاً بالغا، ولكنى إرتحت كثيراً لتفاؤله من إمكانية شفائي.

وسألته الدكتور كوياما عن عدد المرضى الموجودين بالمستشفى، فأجاب بأنهم يبلغون نحو مائة وخمسين مصاباً، وأن عدد من توفوا بالأمس كان محدوداً ولكن هناك الكثير من المصابين لدرجة يصعب معها أن يجد المرء لقدمه موضعاً، وهم يفتشون الأرض في كل مكان حتى في دورات المياه. وإستطرد الدكتور كاتسوبي قائلاً: "إن هناك نحو ستة يرقدون تحت السلم، ونحو خمسين يرقدون في حديقة المستشفى الأمامية". وتناقش الجميع في طريقة تنظيم المستشفى أو على الأقل إخلاء الممرات من المرضى.

لقد أصبحت المستشفى خلال ليلة واحدة مكدسة بالمرضى الذين ملأوا المكان، وقد أصيبت غالبيتهم بحروق بالغة وقليل منهم كانوا يعانون جرحاً خطيرة، وكان الكثير من هؤلاء المصابين في وسط المدينة عندما حدث القصف فلم تستطع أقدمهم أن تحملهم إلا إلى مستشفى المواصلات، أما أولئك الذين كانوا يعيشون بالقرب من موقع المستشفى فقد قصدوه من أجل العلاج أو بحثاً عن مأوى، لأنه كان المبنى الوحيد في المنطقة الذي ظل قائماً بينما تحطمت جميع المساكن المحيطة به، فجاءوا إلى هذا الحطام مما أدى إلى إزدحام المبنى بالناس، ولم يكن ثمة صديق بجوراهم يقوم على خدمتهم أو يعد لهم طعامهم،¹ بذلك كان كل شيء في المستشفى في حالة فوضى، وزاد الحال سوءاً إنتشار القي والإسهال بين المرضى، كما أن أولئك الذين لم يكن في إستطاعتهم المشى كانوا يتبولون ويتبرزون في أماكنهم، أما أولئك الذين كان باستطاعتهم المشى فالتمسوا موضعاً لقضاء حاجتهم خارج المبنى. ولذلك كان الأشخاص الذين يدخلون المستشفى أو يتكرونها يدوسون الأوساخ التي إنتشرت في أرجاء المبنى، وخلال تلك الليلة إمتلأ المدخل الأمامي للمستشفى بالبراز ولم يكن بإستطاعة

¹ جرت العادة في اليابان على أن يقوم مرضى القسم الداخلى في المستشفيات بتدبير من يتولى خدمتهم وإعداد طعامهم ومثل هذا الشخص يكون في العادة أحد أفراد أسرة المريض.

هيئة التمريض مواجهة هذه الحالة لعدم توافر القصریات التي يمكن إستخدامها في الفراش، وحتى إذا وجدت فلم يكن هناك من يحملها إلى المرضى.

كان التخلص من جثث الموتى أسهل كثيراً من عملية تنظيف الحجرات والممرات من البراز والأوساخ والقيء الذي كان من الصعوبة بمكان.

أما أولئك الذين أصابهم الحريق، فقد عانوا الأمرين لأن جلدوهم كانت مسلوخة، وتعرضت حروقهم لحرارة الجو وللتلوث بالأقدار، ولكن كانت هذه هي الظروف التي على المرضى أن يعيشوا فيها، لقد كانت الحال على درجة بالغة من السوء، ولكننا لم نكن نملك وسيلة لإنقاذ الموقف.

كان هذا الوضع الذي علمته من خلال حديثي مع أولئك الزملاء بينما كنت أرقد مريضاً، وهو أمر ليس من السهل مواجهته، فسألت الدكتور كاتسوبي: "متى أستطيع أن أقوم من مرقدى لعلى أقدر على معاونتكم"، فأجاب: "لن يكون ذلك قبل فك خياطة جروحك، ولن يتم ذلك قبل أسبوع على الأقل"، ثم تركني الجميع وإنصرفوا قبل أن أنبس بكلمة واحدة، ولكنهم لم يتركوني لأفكارى فقد كان العاملون بالمستشفى يأتون الواحد تلو الآخر لرؤيتي يبذون إهتمامهم بجراحي ويتمنون لي عاجل الشفاء، وقد تأثرت لرؤية بعض هؤلاء الزوار وقد نالهم من الإصابات قدر لا يكاد يقل عما نالني ولكنهم تحملوا مشتقة الحضور لرؤيتي، فقد فجاء الدكتور نيشي مورا رئيس الجمعية الطبية بأوكاياما من بلده التي تقع على بعد 90 ميلا من هيروشيما ليراني، فقد كان زميلا لي في كلية الطب، كما كان رئيس فريق التجديف بالكلية الذي كنت عضواً فيه، وما كاد يراني حتى إغرورقت عيناه بالدوع ثم قال: "إنني أراك بخير يا صديقي الحميم، يالها من مفاجأة سارة! كيف حالك؟" ودون أن ينتظر إجابة مني إستطرد قائلاً: "لقد سمعنا ليلة أمس أن هيروشيما هوجمت بسلاح جديد، وأن الدمار كان محدوداً، هكذا قالوا لنا ولكني رأيت أن أحضر بنفسى لأتأكد مما حدث، فقد يكون بإستطاعتى مدمك بما تحتاجونه من الأطباء، فركبت سيارة نقل وجئت إلى هنا. يا لفضاعة ما شاهدناه عندما وصلنا! هل أنت متأكد أنك على ما يرام؟". ومرة أخرى قبل أن أجيب إستطرد يقص على المناظر التي تحطم القلب والتي وقعت عليها عيناه عندما دخلت سيارة النقل المدينة، وكانت هذه أول التفاصيل التي وصلت إلى مسامعنا جميعاً ولذلك استمعنا إليه بانتباه.

وكل ما كنت أفكر فيه -أثناء الإستماع إليه- المخاوف التي قد تساور أمة العجوز التي كانت تعيش في الريف بالقرب من أوكاياما، فلعلها تصلني الآن من أجلنا، وما كاد الدكتور نيشي مورا يفرغ من روايته حتى طلبت منه أن يتفضل بطمأنه أمة وكذلك أختي التي تعيش في أوكاياما، وإبلاغهما أنني وزوجتي بخير. فأكد لي أنه لا بد فاعل ذلك، ووعدني قبل أن يينصرف بإعداد فريق من الأطباء والممرضات لمعاونتنا بمجرد الفراغ من جمعهم.

كما جاء الدكتور تابوتشي صديقي القديم من يوشيتا، وكانت الحروق قد أصابت وجهه ويديه إصابات طفيفة وبعد تبادل التحيات، سألته عما إذا كان يعرف حقيقة ما حدث، فقال انه كان في الفناء الخلفي لمنزله بقلم بعض أغصان الأشجار عندما حدث القصف، وأن أول ما لاحظته ضوء شديد أبيض اللون يخطف الأبصار ثم موجة من الحرارة الهائلة التي أصابت خديه، ثم حدث إنفجار رهيب جعله يطبخ أرضاً، ولكنه لحسن الحظ لم يصب بسوء، كما أن زوجته نجت من الإصابة، أما بيته فقد إنهار، كما تداعت المنازل الأخرى في المنطقة من حوله، ولكنهم رغم ذلك كانوا سعداء بالنجاة من الموت، كما أن ابنه ريوجي نجا بدوره، وعرض على الدكتور تابوتشي أن ذهب معه إلى بيته قائلاً: "ان منزلي لم يعد حقاً صالحاً للسكنى، ولكنه أحسن من هنا بكثير". وكان من الصعب على أن أقبل عرضه الكريم، فحاولت الإعتذار بطريقة لا تجرح شعوره قائلاً: "يادكتور تابوتشي أشكرك على هذا العرض الكريم، ولكن الدكتور كاتسوبي حذرني من الحركة، وأوصاني أن أظل على هذا الوضع حتى تلتئم جراحي"، فقيل الدكتور تابوتشي إعتذارى بتردد، ثم تهيأ للإنصراف فقلت له: "لا تذهب قبل أن نخبرنا بما تعرفه عن تفصيل ما حدث بالأمس".

قال الدكتور تابوتشي: "لقد كان منظراً مخيفاً، كان المئات من الجرحى الذين يحاولون الهرب إلى التلال يمرّون أمام بيتنا، وكان منظرهم لا تطيق العين رؤيته، فقد إحترفت وجوههم وأيديهم، وتورمت وسلخت مساحات واسعة من جلودهم، وتدلّت من أجسامهم، وكانوا يسيرون كصف طويل من النمل، وطوال الليل إستمر هذا الصف بلا إنقطاع يمر من أمام منزلنا، ولكنه توقف في الصباح فوجدتهم يتراصون على جانبي الطريق بصورة جعلت من الصعب على المرء أن يسير دون أن يخطو فوقهم".

كنت أستمع إلى رواية الدكتور تابوتشي مغمض العينين، بينما كانت تدور في رأسي صورة المشاهد الفظيعة التي يحدثنا عنها، ولذلك لم أتمكن من رؤية السيد كاتسوتاني عندما جاء، ولم أتبين صوته إلا عندما سمعت شخصاً يعطس فنظرت حولي لأجد هذا الصديق القديم الذي عرفته منذ سنوات طويلة، وأعرف أنه عاطفي وما كدت أراه منهاراً حتى أغرورقت عيناي بالدموع لقد جاء من جي جوزن² ليراني، وحين شاهدني على هذه الحال غلبته عاطفته فانهار تماماً.

إلتفت السيد كاتسوتاني إلى الدكتور ساسادا وقال له بصوت مهموم "كان دخولي هيروشيما بالأمس أمراً متعذراً، وإلا لما توانيت عن الحضور وحتى اليوم لا زالت الحرائق مشتعلة في بعض الأماكن، لقد تغيرت المدينة تماماً، وحين بلغت جسر

² قرية تقع على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من هيروشيما.

ميساسا³ صباح اليوم وجدت كل شئ قد تبدل، لم يبق في المنطقة كلها مبنى قائما سوى هذا المبنى الذى كان بإستطاعتي رؤيته من بعيد".

توقف مستر كاتسو تانى عن الحديث ليلتقط أنفاسه ثم إستطرد قائلا: "لقد سرت بجوار سكة الترام لأصل إلى هنا، ولكن الطريق كانت مملوءة بأسلاك الكهرباء وعربات الترام المحطمة، وكان القتلى والجرحى يرقدون هنا وهناك، وما كدت أصل إلى الجسر حتى رأيت شيئا فظيحا لا يمكن تصديقه، رأيت رجلا يجلس فوق دراجته وقد تفحم جسده وكان على ما يبدو يلتمس سبيلا للفرار حين وقعت الواقعة، إنه من الصعب أن نصدق أن مثل هذه الواقعة قد حدثت!"، وكرر هذه العبارة مرتان أو ثلاث مرات وكأنه يريد أن يقتنع نفسه بصحة ما رآه ثم استطرد يقول: "يبدو أن معظم من ماتوا كانوا إما فوق الجسر أو تحته، فقد نزل كثيرون إلى مجرى النهر يلتمسون شربة ماء ثم ماتوا هناك، وقد رأيت بعيني رأسي بعض الأحياء لا زالوا يقفون في مجرى النهر بين الجثث الطافية ولا بد أن يكون المئات بل الألوف ممن إلتمسوا سبيلا للفرار من الحريق باللجوء إلى النهر قد غرقوا، وكان منظر الجنود المصابين لا يقل بشاعة عن منظر أولئك الذين طفت جثثهم وأجسادهم فوق مياه النهر، لقد رأيت الكثيرين منهم وقد إحتزقت ظهورهم من أكتافهم حتى أعجازهم، وسلخت جلودهم، وبدا لحمهم لزجا متهتكًا، ويبدو أنهم كانوا يرتدون خوداتهم العسكرية لأن شعرهم لم يحرق، أما ملامحهم فقد إختلطت جميعًا، لم تكن لهم وجوه فقد إحتزقت عيونهم وأنوفهم وأفواههم وإختفت تماما من وجوههم، كذلك إحتزقت أذانهم حتى أصبح من الصعب التمييز بين وجه الرجل وقفاه، وقد سألني أحد الجنود الذين إحتزقت وجوههم وبرزت أسنانهم أن أعطيه شربة ماء، ولم يكن بإستطاعتي مساعدته في الحصول على الماء؟، كل ما إستطعت صنعه الصلاة من أجله، ولم أعد أسمع صوته فقد كانت رغبته في الماء هي آخر كلمة نطق بها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، إن الطريقة التي إحترقوا بها تجعلني أتعجب، إذ يبدو أنهم قد فقدوا بزاتهم تماما".

كان علينا أن نتيح الفرصة للسيد ماتسوتانى ليلتقط أنفاسه وهو يقص علينا هذه المشاهد الفظيعة، ولكن أحداً لم يطلب منه أن يتوقف عن الحديث، وحين كان يقص علينا ما شاهده، تجمع البعض حولنا وجلسوا يستمعون إليه، وسأله أحدهم عما فعله عندما سقطت القنبلة فقال: "كنت قد فرغت لتوى من تناول طعام الإفطار، وشرعت في إشعال سيجارة، عندما رأيت فجأة بريق ضوء أبيض، ثم سمعت صوت إنفجار رهيب، فهوكت إلى ماوى الوقاية من الغارات الجوية، ودفعت بزوجتي أمامي، وتأكدت أن ثمة شئ غير طبيعي قد حدث في هيروشيما، فصعدت بعد قيل فوق سطح البيت، يمت وجهي شطر هيروشيما لأرغب ماحدث، فرأيت سحابة سوداء كبيرة تبدو مثل سحابة الصيف التي تنذر بالمطر الغزير، فأيقنت أن ثمة حادث خطير قد وقع في المدينة، فهزعت إلى النقطة العسكرية الموجودة في هتسو كائيتسى⁴، وأخبرت الضابط بما رأيت، ورجوته أن يرسل بعض رجاله لمساعدة هيروشيما، ولكنه لم يأخذ الأمر مأخذ الجد، حملق في وجهي لحظة، وحملت نظرتي معنى التهديد، أتدرون ماذا قال لي؟ لقد قال: لم يحدث ما يدعو إلى القلق إن قنبلة أو قنبلتين لن تلحق الضرر بهيروشيما، كان من العبث أن أستمر في الحديث مع هذا الاحمق، لقد كنت ضابطاً مرموقاً بفرع جمعية الضباط السابقين بإقليمي، ولكني لم أدر ماذا أفعل، وقد ذهب الفلاحون الذين كانوا تحت إمراتي إلى الخدمة في جزيرة مياجيما، وبحثت عن مساعدتي في تكوين كتبية إنقاذ ولكني لم أجد أحداً، وبينما كنت أبحث عن أفراد أنظمهم لهذا الغرض بدأ موكب الجرحى يصل إلى القرية فسألتهم عما حدث، فكان كل ما إستطاعوا قوله أن هيروشيما قد دمرت وأن جميع سكانها يغادرونها، فركبت دراجتي وأسرت بها نحو إيتسوكانتشى، وما كدت أصل إليها حتى كانت الطريق تعج بالناس، فحاولت أن أقف منهم على جلية الأمر ولكن أحدهم لم يستطيع أن يعطيني إجابة شافية، وعندما كنت أسألهم من أين أتوا؟ كانوا يشيرون بأصابعهم في اتجاه هيروشيما ويقولون "من هناك"، وعندما سألتهم إلى أين يتجهون؟ كانوا يشيرون إلى مياجيما ويقولون "إلى هناك"، كلهم كانوا يقولون نفس الشئ، لم يكن بين من رأيتهم حول إيتسوكانتشى من أصابتهم الجروح أو الحروق الخطيرة، ولكني ما كدت أصل إلى كوستسو حتى وجدت الناس هناك يعانون من إصابات بالغة، وكلما إقتربت من هيروشيما تزداد نسبة المصابين حتى وصلت إلى كوى⁵ لأجد الناس في حالة يرثى لها، لم يكن بإستطاعتي النظر حتى إلى وجوههم وكانت رائحتهم مثل رائحة الشعر المحترق".

توقف السيد كاتسو تانى عن الحديث قليلا وتنفس بعمق، ثم إستطرد قائلا: "لم تكن المنطقة المحيطة بمحطة كوى محترقة، ولكن مبنى المحطة والمنازل المحيطة به كانت محطمة تماما، وإمتلأت أرصفة المحطة بالجرحى الذين كان بعضهم واقفين والبعض الآخر راكدين وجميعهم يصرخون طلباً للماء، وبين الفنية والفنية كنت أسمع صوت طفل ينادى أمه، لقد كان جحيماً حقيقياً، كان جحيماً حقيقياً واليوم لم يتغير الحال عما كان عليه بالأمس. ألم يأت الدكتور هانا أوكا إلى المستشفى أمس، لقد رأيت يعبر خط الترام عند نهايته في كوى متجهاً نحو المستشفى ولكني لا أعقد أنه قد تمكن من الوصول إلى هنا وسط النيران".

فأجاب البعض: "لم نره حتى الآن".

فهب السيد كاتسو تانى رأسه ذات اليمين وذات الشمال وأكمل حديثه قائلا: "تركت محطة كوى وذهبت إلى مدرسة كوى الابتدائية، كانت المدرسة عندئذ قد تحولت إلى مستشفى طوارئ، وقد إكتظت بالجرحى، حتى فناء المدرسة كان يعج بالموتى والمحتضرين الذين بدوا وكأنهم أسماك (بكلاه) منشورة على الأرض حتى تجف. لقد كان منظرهم وهم مستلقين

³ جسر كبير مقام على نهر أوتا يقع بالقرب من قلعة هيروشيما شمال المدينة ولايبعد كثيرا عن مستشفى المواصلات.

⁴ وهى قرية فيما بين هيروشيما وجى جوزن.

⁵ محطة سكة حديد تقع عند الحدود الغربية لمدينة هيروشيما.

تحت الشمس الحارقة يدعو إلى الشفقة، ولكنى أستطيع أن أؤكد أنهم كانوا يعانون سكرات الموت... وقبيل حلول المساء بينما كنت أقطع الطريق الرئيسي عائداً من حيث جئت، إذا بي ألتقى بأختي التي يقع بيتها في توكا أتشي، وكنت أظنها قد ماتت، ولكنى وجدتها على قيد الحياة، كانت سعيدة بنجاتها ولم تنطق بكلمة واحدة كل ما كانت تستطيع أن تفعله هو أن تبكي وكأنها تبكي بدموع الفرح، وساعدني بعض ذوى القلوب الرحيمة على عمل محفة لها وحملتها إلى بيتي في جى جوزين قرب مياجىما جوتشى، حتى قريتي التي تبعد كثيراً عن هيروشيما تحولت إلى حجيم وغصت المعابد بالجرحي".

فرغ السيد كاتسوتانى من رواية كل مشاهدته، وترك غرفتنا، لكنه بدلاً من أن يعود أدراجه إلى منزله بقي في المستشفى لمساعدة المرضى.

لقد جعلتني القصة التي رواها الدكتور نيشى مورا والدكتور تابوتشى والسيد كاتسوتانى لا أشك في أن هيروشيما قد دمرت عن بكرة أبيها، لقد وقعت عيناي على ما يثبت أن الدمار كان كبيراً، ولكن ما ذكره لى كان أشجع من أن يصدق، وعندما كنت أفكر في الجرحى الذين يركضون تحت أشعة الشمس المحرقة يصرخون طلباً للماء، كان يغمزني إحساس بالاثم لوجدى فوق سرير المرضى، وشعرت بالأسف لأولئك المرضى الذين تركناهم يرقدون على الأرض العادية في دورات المياه، وقلت لنفسى: إذا لم أكن قد أصبت إصابة بالغة لكان بإستطاعتى أن أفعل شيئاً بدلاً من رقادى بين المرضى وإنشغال زملائى وأصدقائى بى، وأنا هكذا جريح بلا حول ولا قوة، ياله من مازق لا أستطيع بسببه أن أصنع شيئاً!

ولحسن الحظ قطع أفكارى السوداء ظهور الدكتور هانا أوكا طبيب القسم الداخلى الذى ذكر لنا السيد كاتسوتانى أنه رآه بالأمس عند هاتسكا أتشى، فقد إنتهبت على صوته وهو يناديني قائلاً: "دكتور هاتشيا انك لاتعلم مدى سعادتي أن أراك بخير بعد ما حدث لهيروشيما، إن من نجوا نجوا بمعجزة". فأجبت قائلاً: "لقد إنزعجنا عليك يادكتور هانا أوكا لأن السيد كاتسوتانى أخبرنا منذ لحظات أنه رآك متجهاً إلى هيروشيما عندما كان في محطة كوى بالأمس، أين كنت وكيف إستطعت الوصول إلى هنا، فأجاب قائلاً: " إننى شخصياً أتعجب كيف إستطعت الوصول إلى هنا، دعنى أقص عليك ما حدث، لقد أخبرني البعض أن ثمة سلاح جديد عبارة عن قنبلة خاصة سقطت بالقرب من هيكل جوكون⁶ فاذا صح ما قيل لى فان هذه القنبلة على قدر كبير من القوة لأنها محت كل شئ كان قائماً فيما بين هيكل جوكون ومستشفى الصليب الأحمر ودمرته تدميراً، ورغم أن مستشفى الصليب الأحمر أصيب بأضرار بالغة فإنه لا يزال قائماً، والمنطقة فيما وراء المستشفى بإتجاه يوجينا أصابها قدر قليل من التدمير، وقد توقفت عند مستشفى الصليب الأحمر التي كانت تعج بالمرضى وقد أحاط بها الموتى والمحتضرين من كل جانب حتى جسر مى بوكى، وفيما بين مستشفى الصليب الأحمر ووسط المدينة لم أجد شيئاً قدرت له النجاة من الحريق فكل ما كان يقع بتلك المنطقة تحول إلى هشيم، وكانت عربات الترام في كواياتشو وكامبياتشو تقف محترقة وقد إكتظت بعشرات الجثث المتفحمة التي يتعذر التعرف على أصحابها، كما رأيت خزانات المياه الخاصة بالأطفال ممتلئة بالموتى الذين بدوا وكأنهم قد سلقوا في تلك الخزانات، وفي أحد تلك الخزانات شاهدت رجلاً مصاباً بحروق بالغة وبجانبه جثة لرجل آخر وكان يشرب من مياه الخزان المختلطة بالدماء، لم يكن بإستطاعتى أن أمنعه من ذلك لأنه كان فاقد الرشد، وفي أحد الخزانات أيضاً كان عدد الموتى يملأ الخزان تماماً حتى أنه لم يكن هناك مكان لموضع قدم في الخزان، ويبدو أنهم لفظوا أنفاسهم الأخيرة بينما كانوا يجلسون في الماء، وحتى حمام السباحة بمدرسة المحافظة الإعدادية كان مملوءاً بجثث الموتى، ويبدو أنهم قد إختنقوا عندما كانوا يقفزون إلى الماء هرباً من النيران لأنه لم تكن تبدو عليهم أثر حروق، ولم يتسع حمام السباحة لجميع من حاولوا الدخول فيه لأن الكثير من الجثث كانت حول الحمام من كل جانب وقد تدلت رؤوسها في الماء. ورأيت في الحمام بعض الناس الذين لازالوا على قيد الحياة يقفون وسط الماء وقد أحاطت بهم جثث الموتى من كل جانب، كانوا قد فقدوا قواهم لدرجة لم تمكنهم من الخروج، وكان ثمة أناس يحاولون مساعدتهم ولكنى أعتقد أنهم ماتوا هناك. أسف إذا كنت قد أزعجتك بهذه القصة ولكنها حقيقية، ولأدرى كيف إستطاع من قدر لهم النجاة أن يفرّوا من هذا المصير الأليم". ثم توقف الدكتور هانا أوكا عن الكلام، وأحسست أنه يريد أن ينصرف لأداء واجبه فرأيت أنه من الجرم إبقائه بجوارى لأستمع إلى المزيد من التفاصيل.

وأخذت تلك الوريات التي قصها على زوارى العديدين تتبلور في ذهنى لترسم صورة لما حدث، ولتوضح لى ما أصبحت عليه هيروشيما بعد هذا الحادث المفجع.

وما كاد الدكتور هانا أوكا يغادر الغرفة حتى جاء الدكتور آكى ياما رئيس قسم الولادة وأمراض النساء بالمستشفى لزيارتي، ولم يكن مصاباً غير أنه بدا متعباً منهك القوى فقلت له: "أجلس قبلاً لتسريح لعلك عانيت الكثير ترى أين كنت عندما حدث القصف؟"

فقال: "كنت قد غادرت منزلى عندما وقع الحادث رأيت برقياً يخطف الأبصار تبعه صوت انفجار مروع فإستأقبت على ظهري ثم ملأ السماء سحباً أسود كذلك الذى نراه في الصيف قبل هبوب العواصف، فصيحيت "لقد فعلوها وها هو الآن قد حدث"، ونظرت نحو منزلى لأجده قد إنقلب رأساً على عقب فإختلطت السقوف بالحوائط بالأبواب وتحطم كل شئ بصورة لا يمكن معها إرجاعه إلى ماكان عليه، وما هى إلا لحظات حتى توافد الجرحى إلى منزلى ووقفوا في صفوف طويلة فمكثت أفحصهم وأعالجهم حتى قبل مجيئى إلى هنا بلحظات، ونفذ كل ما كان عندى من أدوية وضمادات فلم

⁶ هو هيكل لديانة الشنتاوية بالقرب من الحدود الجنوبية لثكنات هيروشيما العسكرية التي كانت تقع وسط المدينة والمحراب يقع على بعد 200 متر من مركز إنفجار القنبلة الذرية، وتعنى كلمة جوكون "أرض الآباء".

أستطع متابعة أداء الواجب، ولا زال نحو عشرين أو ثلاثين شخصاً يقفون في صف أمام منزلي وليس هناك من يأسو جراحهم، إن أحدا لا يستطيع صنع شيء من أجلهم، ولن أتمكن من علاجهم إلا إذا حصلت على مزيد من الأدوية".

كان من طبيعة الدكتور آكي ياما الانسراح والسرور ولكنه كان يبدو في تلك اللحظة مدهولاً، وجاء الدكتور كويا ما إلى حجرتي كان الدكتور آكي ياما يتحدث معي فسمع معظم ماقاله وعلق على حديثه قائلاً: "إنني أستطيع أن أتصور ما عانيته لأنني أعرفك تماماً". فتنهد الدكتور آكي ياما وقال: "إنني لا أعى شيئاً فاليوم بالنسبة لي كان كالأمس تماماً، فلا حد لهذا الفيض الزاخر من الأرواح التعسة التي تقف أمام منزلي تطلب العون إنهم يحاولون الوصول إلى كابي 7⁷ ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ولن أستطيع أن أصنع شيئاً من أجلهم كما أن أحدا لن يستطيع صنع شيء من أجلهم".

ولما كان بيت الدكتور آكي ياما يقع في ناجاتسوكا فقد كونت فكرة عما آل إليه الحال بتلك الضاحية فإنها لم تكن أحسن حظاً من منطقة كوي، وتخلت طوابير الجرحى الذين يسيرون في صمت وكانهم أجساد بلا أرواح وعندما يسألون من أين جاءوا يقولون "من هناك" وعندما يسألون عن وجهتهم يقولون "إلى هناك" تخلبتهم وهم يتوسلون طلباً للماء، وسمعت أناتهم ورأيتهم يحضرون ربما كنت أعاني مما يعانون فقد عبر أصدقائي بدقة عن كل ما شاهدوه.

وعلمت أن المرضى الموجودين بالمستشفى فقدوا شهيتهم للطعام تماماً، وأنهم أخذوا يتقيأون الواحد تلو الآخر ويعانون من الإسهال. ترى هل هذا السلاح الجديد الذي سمعت عنه يحتوي على غاز سام، أم أنه يحتوي على جراثيم قاتلة، وطلبت من الدكتور هانا أوكا أن يبلغني بحوادث القي والإسهال ويتأكد مما إذا كان أولئك المرضى تبدو عليهم أعراض مرض معدى، فبحث الأمر وجاء ليخبرني أن الكثير من المرضى لا يعانون من الإسهال فقط، ولكنهم أيضاً يتبرزون دماً، وأن بعضهم تبرز دماً أكثر من خمسين مرة خلال الليل، مما جعلني أعتقد أنهم يعانون من دوسنطاريا أميبية، ولم يكن أمامنا الخيار سوى أن نعزلهم عن بقية المرضى الذين لا تبدو عليهم هذه الأعراض.

فوضت الدكتور كوياما نائب المدير مسئولية إقامة محجر لغزل هؤلاء المرضى، فوقع إختياره على مكان بجوار الجانب الجنوبي من المستشفى وإستطاع بمعاونة بعض الجنود أن يقيم ما يمكن أن نسمية عنبراً خارجياً، وما كنا نصنعه لم يكن علاجاً للموقف، ولكننا كنا نرضى ضمائرنا بعمل كل ما بإستطاعتنا عمله.

لقد وقع على عاتق الدكتور كاتسوبي ومعاونيه واجبنا صعباً، فلم يكن بين المرضى من لا يحتاج إلى جراحة سريعة، وكان الأطباء والمرضات مشغولين بمعاونته حتى الكتبة والفراشيين عاونوا في إجراء تلك الجراحات، كما تم تنظيم من يستطيع الحركة من المرضى والاستفادة بهم في المعاونة على تمرير زملاتهم، وإذا كان قد حدث تقدماً فإنه لم يكن ملموساً رغم أن ما صنعه الدكتور كاتسوبي كان من ضروب المعجزات.

وتم تنظيف الممرات وإخلائها من المرضى حتى يسهل إستخدامها ثم ما لبثت أن إزدحمت بالمرضى الجدد الذين قصدوا المستشفى، وكان من الصعب منع الناس الذين جاءوا إلى المستشفى بحثاً عن أصدقائهم أو أقاربهم، فالآباء يلطمون خدودهم ويصرخون منادين على أطفالهم الذين قد يكونوا بين من ضمهم المستشفى، والأزواج يبحثون عن زوجاتهم، والأطفال يبحثون عن آبائهم. وكانت إحدى النساء المسكينات تسير بلا هدف في المستشفى ذاهلة تنادى طفلها وكان نداؤها يمزق القلوب ولكن أحدا لم يجرؤ على منعها، وثمة سيدة أخرى كانت تقف عند مدخل المستشفى تصرخ بما يشبه الأنين منادية شخصاً تعتقد أنه موجود بالمستشفى وكان نداؤها يملأ النفس بالأسى، كما توافد الكثير من سكان الريف للبحث عن أصدقائهم وأقاربهم كانوا يتجولون بين المرضى يتفحصون الوجوه جيداً حتى تضابقنا من سلوكهم ومنعناهم من دخول المستشفى.

وسمنا جلبة خارج المستشفى، وحين سألت عن السبب عملت أن الدكتور كوياما أحضر ثلة من الجنود لتنظيف مبني مصلحة المواصلات التي أتت عليه النيران حتى نستطيع إستخدامه كملحق للمستشفى، وبدأت الحياة تدب في الصيدلية التي يرجع الفضل في تزويدها بالدواء اللازم إلى عناية الدكتور هينوي والسيد ميزوجوتشي، وبدأ المستشفى يعرف نوعاً من النظام، فقد تم عمل شيء إيجابي ولعلنا بعد قليل نستطيع السيطرة على الموقف.

وعلمت من السيد سيرا مديراً مكتب العمل بالمستشفى أن ستة عشر مريضاً توفوا خلال الليل، وإنه لف جثهم بملاءات بيضاء ووضعها بجوار مدخل المستشفى، فسألت نفسي ترى هل نستطيع الإحتفاظ بهذه الملاءات في هذه الظروف الحرجة، ولكني ترددت في الإعتراض على ما صنع السيد سيرا لأن تصرفه على هذا النحو كان إنعكاساً للشعور بحرمة الموتى، وحين علمت أن الفرقة التي أرسلها الجيش لنقل الجثث من أمام المستشفى قد ألفت بالجثث والملاءات داخل سيارة نقل دون مراسم دينية رأيت أنه من الأفضل الإحتفاظ بالملاءات فالأحياء أكثر إحتياجاً إليها من الموتى.

كان المرضى يأتون إلى المستشفى من كل حذب وصوب، ولما كنا لا نعيد كثيراً عن مركز التفجير فإن الذين قصدوا مستشفانا كانت إصابتهم بالغة وحالتهم خطيرة، أما أولئك الذين كانوا بالمستشفى فقد كانت حالتهم أحسن بكثير ممن ظلوا خارجها رغم إكتظاظ المكان بهم، وكان منظر الأطباء والمرضى في لباسهم الأبيض يبعث الطمأنينة في نفوسهم، ويكون عند سماع كلمة مواساة، ويلهجون بكلمات الشكر عند حصولهم على خدمة بسيطة. كانوا جميعاً يعانون الكثير، ويتقون أن الأطباء والمرضات سيبدلون أقصى الجهد لرعايتهم، كما أن المستشفى بالنسبة لهم كان أفضل مأوى وسط الدمار الذي

⁷ كابي مدينة تقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال من هيروشيما في وادي نهر أوتا.

لحق بالمدينة، فسررنا لعلامات الرضى التى بدت على المرضى، ولكننا لم نشعر أبداً أننا إستطعنا أن نصنع شيئاً ذا قيمة لهم.

وإستطاع السيد إيماتشى ومعاونوه بمطبخ المستشفى إعداد وجبة من الأرز المسلوق فى بداية اليوم، وكانوا يوزعونها على المرضى فى الجرادل، ويطعمونهم إياها بملاعق خشبية كبيرة، وكانت هذه الوجبة الصغيرة بالنسبة لى أهم عمل فى ذلك اليوم. وأعادوا تقديم وجبة أخرى بعد ظهر، فأحسست أن ملا الفم الذى أصابنى من هذا الأرز قد ملأنى بالعافية وجعلنى أشعر بإمكانية الشفاء ولكن كان هناك الكثيرون ممن كانوا أضعف من أن يستطيعوا تناول هذا القدر القليل من الأرز فزاد الجوع من وطأة المرض عليهم.

وأقبل الليل دون أن يكون لدينا ما يفرشه المرضى سوى قطع من الحصير وضعت فوق الأرض، وأخذت آلام الجروح تتزايد، ولم يكن لدينا كمية كافية من المسكنات لتعين المرضى على تحمل الألم، وعانى المرضى من إرتفاع درجات الحرارة وأخذوا يصرخون طلباً للماء ولكن لم يكن لدينا من يقدم لهم الماء ليرووا ظمأهم بسبب قلة العاملين بالمستشفى.

كما أن الدكتور هارادا أحد الصيادلة نقل إلى المستشفى مصاباً بحروق بالغة، ثم جاء بعده ابن السيدة سائيكى العجوز بنفس الحالة، وإضطرننا إلى عزل الأنسة هينادا إحدى الممرضات لإصابتها بإسهال حاد منذ بداية النهار، ونظراً لعدم وجود من يقف على ترميضها فقد إضطلعت أمها بهذا العبء رغم أنها كانت تعانى هى الأخرى من حروق بالغة، وجاءنى السيد ميزوجوتشى ليخبرنى أن الأنسة هينادا وأمها قد أصبحتا فى حالة يرثى لها وأنه لا يحتمل بقائهما على قيد الحياة، وأن ابن السيدة سائيكى العجوز قد فقد الوعى.

لقد قضيت اليوم كله أستمع إلى روايات زوارى عن الدمار الذى حدث بهيروشيما، والمناظر الفظيعة التى شاهدها، رأيت أصدقائى جرحى وقد تشتت عائلاتهم وتدمرت منازلهم، وكنت أعرف تمام المعرفة الصعاب التى تواجه رؤوسى، وأعلم كيف ناضلوا ببسالة لمواجهة ما لا طاقة للبشر لتحمله من صعاب، كنت أعرف ذلك جيداً، كما كنت أعرف أن هؤلاء المرضى قد علقوا كل آمالهم على ما يمكن أن يصنعه الأطباء والممرضات من أجلهم، ترى من كان يعلم الحقيقة المرة إننا كنا بلا حيلة مثلهم تماماً !

وما لبثت قدرتى على فهم مبلغ البؤس الذى يعانیه الناس ومشاركى لهم الألم والضيق أن جعلتني أستسلم للأمر الواقع وأنقبل كل ما أسمع بهدوء ورباطة جأش لم أكن أصدق يوماً ما أن بإستطاعتى تحمل مثل هذا، لقد إعتدت فى خلال يومين على هذا الجو المبتعث بالفوضى واليأس.

شعرت بالوحدة ولكنها كانت وحدة لا إنسانية، أصبحت جزء من ظلام الليل، لم يكن هناك راديو ولا كهرباء ولا حتى شموع، كل ما كان هناك من ضوء كانت تعكسه النيران التى كانت ترتفع ألسنتها فى بعض أطراف المدينة، وكل ما كنت أسمع من أصوات هو صوت أنات وتأوهات المرضى، كما كنت أسمع هذيان من كانوا يعانون من الحمى ينادون أماتهم، أو صوت إنسان يئن حيناً ويصرخ حيناً آخر: "إن الألم لايمكن إحتماله أننى لا أطيق الألم"، ترى أى نوع من القنابل تلك التى حطمت هيروشيما؟!.

وحاولت أن أتذكر أحداث صباح يوم الكارثة، لقد كانت هناك بضع طائرات ولكن ذاكراتى لم تستغنى بعدها، فقبل إنطلاق صفارات الإنذار كان هناك صوت طائرة واحدة وإلا فلماذا سكنت صفارات الإنذار ولماذا لم تنطلق خلال الدقائق الخمس أو الست السابقة على حدوث القصف؟ ورغم ما بذلت من جهد ذهنى لم أستطيع الربط بين هذه الوقائع وبين الدمار الذى حدث، ربما كان سلاحاً جديداً فإن معظم زوارى تكلموا بغموض عن "سلاح سرى" و "سلاح جديد" و "قنبلة خاصة" كما ذكر أحدهم أن هذه القنبلة هيبت بمظلتين قبل أن تفجر، وكائنا ما كانت تلك القنبلة فأننى لا أستطيع أن أدرك كنهها، لأن هذا القدر من الدمار الذى أحدثته لايمكن تعليقه، كل ما نكمله حكايات لا تزيد عن الإشارة إلى السحاب الذى إنتشر فى الجو فغمر كل شئ.

ثمة شئ واحد يمكن تأكيده هو أن هيروشيما قد دمرت كما دمر معها الجيش الذى كان معسكراً فيها، واختفت أحيائها، كما إختفت القيادة العامة للجيش الثانى، والكلية العسكرية التى كانت تضم الكثير من الشباب، والقيادة العامة للقطاع الغربى وفرق المهندسين، والمستشفى العسكرى، لقد تحطم أمل اليابان، خسرنا الحرب، لن نستطيع الألهة أن تأخذ بأيدينا! وماهى إلا لحظات حتى تنزل القوات الأمريكية إلى أراضينا، وعندما يحدث ذلك لايد أن يدور القتال فى الشوارع وقد يتحول مستشفانا إلى مركز للهجوم أو الدفاع، ألم يذكروا لى فى الصباح أن الجنود قادمون لتحويل مبنى مصلحة المواصلات إلى قيادة. ترى هل هزنا حقاً؟ ولكنى لم أجد جواباً لهذه التساؤلات جميعاً.

كان الدكتور ساسادا والأنسة كادو وزوجتى يغطون فى النوم، حسناً فعلوا، ولكن النوم ذابلىنى وسمعت وقع أقدام، ثم ظهر رجل بالباب بدأ شبحه وسط الظلام وقد رفع ذراعيه وتدللت يده مثلها كان حال مرضى الحروق الذين رأيتهم وأنا فى الطريق إلى المستشفى، وحين إقترب منى رأيت وجهة أو على الأصح رأيت ما كان فى يوم من الأيام وجهاً أضاعت النيران ملامحه، كان الرجل أعمى ضل طريقة إلى دورة المياه، فصحت به وقد ملأنى الفزع: "لقد أخطأت الطريق ياسيدى"، فعاد المسكين أدراجه وإختفى وسط الظلام، وأحسست بالخجل لتصرفى معه على هذا النحو، ولكنى كنت خائفاً حقاً، وأصبحت متوتر الأعصاب أكثر من ذى قبل، وفقدت كل أمل فى النوم.

كانت السماء تضىء من حين لآخر في إتجاه الشرق، ويبدو أن صباحي أيقظ زوجتي لأنها نهضت بعد قليل وتركت الغرفة، ربما كانت تريد الذهاب لدورة المياه، ولكنها عادت بعد برهة فسألتهما عما حدث، فقالت لي أن الردهة مليئة بالمرضى حتى أنها لم تستطيع أن تنفادى أجسام المرضى فخطت فوقهم، وكان عليها أن تعتذر بصفة مستمرة لأولئك المساكين، ثم داست على قدم شخص وعندما اعتذرت له لم تتلق منه جواباً، لقد داست فوق قدم رجل ميت ولذلك كانت خائفة تحس بقشعريرة في جسدها وتحركت لتنام بالقرب منى.

8 أغسطس 1945

بدأ اليوم حاراً صافى السماء، وكانت درجة الرطوبة عالية فأحسست بالعرق اللزج يتصب من تحت إبطى وبين أفخادى، كما بدأ الدخان يتصاعد من الطابق الثانى، وكان وجه الدكتور ساسادا أكثر تورماً منه بالأمس فانبثق الدم من ضمادات ذراعية ويديه، وأحسست بالعطف عليه عندما تذكرت أن هاتان اليدان قد صنعنا الكثير لتأس جراح المرضى طوال اليومين الماضيين.

وسمعت جلبة بالخارج جعلتني أتذكر مريضاً نسيت أن أذكره بالأمس فقد كنت أسمعهم يمشى خلال الليل بين الحين والآخر، وكذلك صباح اليوم كان يمشى هنا هناك، كنت أسمعهم بصفة خاصة عندما كان يرتطم بالسور أو بالمنى وسألت الأنسة كادو: "هل تناول طعامه؟" فأجابت: "لا عليك يادكتور فهناك الكثير من أوراق البطاطا بالحديقة ولا أعتقد أنه سيعانى من الجوع ما دمت هذه الأوراق متوفرة"، أما هذا المريض الذى كنا نتحدث عنه فهو حصان أصابه الحريق بالعمى ومن كان يراه على هذه الحال كان لا يملك سوى أن يعطف عليه وبذلك أبقيناه بالحديقة بجوار نافذة حجرتنا.

وكانت تلك الحديقة ملعباً للتنس، ولكنى فكرت منذ زمن بعيد فى تحويلها إلى حديقة، وزرعتها بالبطاطا ووجدت متعة فى هذه المحاولة، وأصبحت بطاطنى موضوعاً للتندر بين العالمين بالمستشفى.

قلت للأنسة كادو: "ألا تظنين أنه من الأفضل أن نخرج البطاطا من باطن الأرض أعتقد أنها قد نضجت الآن". فضحك رفاقي ونسبنا تعاستنا للحظة.

بدأ مفصل قدمى اليسرى يؤلمنى، فنظرت إليه لأكتشف أنه يبدو مبتلا لجزء داخل ضمادة، ولاحظت الأنسة كادو ذلك فغيرت الضمادة، وبعدما إنتهت من ذلك شعرت بالتحسن، وحين كانت تغير الضمادة لاحظت أن هناك رباط لاصق على ركبتى اليسرى، فدهشت لأننى لا أذكر أنه قد أصابتنى أية حروق، ثم تذكرت فيما بعد الجودة الملتهبة التى ارتطمت برجلى عندما كنت أرقد بالحديقة بجوار مصلحة المواصلات حين شب الحريق الهائل.

إزدادت قابليتى للطعام هذا الصباح وكنت أبداً أحسن حالا، كما كانت روى المعنوية مرتفعة، ونسيت الأفكار السوداء التى سيطرت على ذهنى طوال الليل، وحضر الدكتور كاتسوبي مبكراً، وبدلاً من أن أبادله التحية سألته أن يحدد الموعد الذى يمكنى فيه مغادرة الفراش، فأخبرنى مرة أخرى أننى أحتاج على الأقل إلى أسبوع حتى تفك خياطة الجروح، وأن على ألا أثير موضوع مغادرة الفراش مرة أخرى قبل مرور تلك الفترة، وقال لى: "إنك لا تطيق صبراً، يجب عليك أن تحمد الله لأنك لا زالت حياً". لم يكن قد دار بخلدى حتى ذلك الحين أنه كان من الممكن أن أموت، ولكن عندما صرح لى الدكتور كاتسوبي بذلك تأكدت أن إصاباتى كانت أسوأ مما أظن، وسألت الدكتور كاتسوبي وأنا أحاول أن أبدي عدم المبالاة: "هل كانت حالتى سيئة إلى هذه الدرجة؟" فقال: "لقد كنا جميعاً قلقون عليك، لعلك لم تتحقق من كمية الدماء التى فقدتها، لقد ظلت فى غيبوبة معظم الليل، وكانت زوجتك والأنسة كادو والدكتور ساسادا والدكتور كوياما وأنا، كنا جميعاً نتناوب الجلوس بجوارك طوال الليل"، فأجبت محاولاً أن تبدو كلماتى عادية: "إن لى من الغريب أننى لا أكاد أتذكر ماحدثت تلك الليلة".

لقد كان على أن أقع بالراحة، فقد كان الدكتور كوياما يدير المستشفى بكفاءة لا يتطرق إليها الشك، وكان يحيطنى علماً بما يعترضه من مشاكل، ويسألنى الرأى حيث كان لا يجب أن يتخذ قراراً منفرداً. فعلى سبيل المثال عندما وصلنا بلاغ من الدكتور تشودو أحد أطباء الأسنان بمستشفانا يفيد أنه وأسرته كانوا يختبئون فى التلال التى كانت تقع خلف أوشيتا فلم تصب عائلته بسوء ولكنه أصيب بحروق بالغة وطلب منا أن نرسل من يحمه إلى المستشفى، دبرت وسيلة نقله إلى المستشفى على الرغم مما كنا نعابنه من نقض فى الإمكانيات. كما تلقينا تقريراً مفاده أن قسم الشؤون الاجتماعية بمصلحة المواصلات لديه ما بين مائتين وثلاثمائة حصير للنوم من الممكن أن يزود بها المستشفى، ورغم أن هذه الحصر كانت قصيرة الطول وأن المستشفى كان مكتظاً بالمرضى ومن الصعوبة بمكان إزاحة المرضى من أماكنهم لوضع الحصر تحتهم، أحسست والسيد سيرا أن الحصول على تلك الحصر ضرورة ملحة بالنسبة لنا حتى ولو اضطرنا فى سبيل إستخدامها إلى إخلاء الممرات من المرضى.

تأكدت اليوم الشائعة التى ترددت حول مصرع السيد يوشيدا مدير مصلحة المواصلات، فقد تم التعرف على جثته المتفحمة من بكلة حزامه، وعثر على الجثة بالقرب من المستشفى وتم حرق بقاياها أمام مصلحة المواصلات، لقد فقدنا بموته صديقاً رقيقاً مخلصاً. كما مات أيضاً شخص آخر من الشخصيات البارزة هو عمدة أتوسكا.

وعلمت أيضاً أن نبأ مصرعى كان قد ذاع، فقد أخبرنى بذلك صديقان قديمان هما السيد ناجاوى وزوجته اللذان بقيما فى نيشى هارا عندما حضرا لزيارتى وزوجتى هذا الصباح وكانا سعيدين لتأكدهما من نجاتى.

وخلال اليوم بذل جهد كبير لإعادة تصنيف المرضى تبعاً لطبيعة مرضهم ونوعية جراحهم، كما عثر على الكثير من الموتى بين المرضى، وإن كانوا أقل ممن ماتوا بالأمس، فشعرت بضرورة التخلص من جثث الموتى حتى نخلى مكانها لمن بقوا على قيد الحياة، وجعلنى ذلك أغير من نظرتى للأمور فقد كان الناس يموتون بسرعة مما جعلنى أتوقع الموت وأعتبره أمراً واقعا وأحترامه، وعتبرت الأسرة التى لم تفقد سوى شخصين من أفرادها أسرة محظوظة، ترى كيف أستطيع أن أرفع رأسى بين مواطنى هيروشيما ومثل هذه الأفكار تجول بخاطرى!

بدأ الجنود يعملون مرة أخرى فى تطهير مبنى مصلحة المواصلات، وقد تناقشت مع الدكتور كوباما حول إمكانية إستخدامهم فى تطهير أحد طوابق المبنى وإعداده لنقل المرضى الذين تكسوا فى دورات المياه وممرات المستشفى إليه، وبينما كنا نناقش هذا الموضوع جاء الدكتور هانا أوكا ليبلغنا أن حالات الإسهال الدموى تتزايد، وأن بعض المرضى تبرزوا إسهالا دمويًا أكثر من ستين مرة منذ مطلع نهار هذا اليوم. وبناء على ذلك فإن الحاجة إلى تحويل مصلحة المواصلات إلى ملحق للمستشفى أصبحت أمراً غير عاجل، فإن ما نحتاج إليه هو توسيع مساحة المحجر الذى نعزل فيه هؤلاء المرضى عن غيرهم، ولذلك طلبنا من الجنود أن يساعدونا فى هذه المهمة.

ثم عادت مشكلة إعادة تنظيم المستشفى موضوعاً للنقاش بيننا من جديد، لأن النيران التى دمرت الطابق الثانى من مبنى المستشفى خمدت تماماً، وأصبح من الممكن إستخدام ذلك الطابق، وقبل الحريق كانت بهذا الطابق أربعة عشر حجرة مقامة بفواصل خشبية أتت عليها النيران تماماً وحولت الطابق إلى قاعة واحدة فسيحة.

وأصبحت المشكلة الآن تتركز فيمن نبدأ بنقلهم من المرضى إلى الطابق الثانى لأن حالة هذا الطابق كانت أسوأ من الطابق الأول على الرغم من إزدحامه بالمرضى، وأخيراً قررنا أن نبدأ بأنفسنا، وأن يكون المصابون من العاملين بالمستشفى هم أول من ينقل إلى الطابق الثانى ليفسحوا مكانهم فى الطابق الأول لبقية المرضى.

وكنيت أول من نقل إلى الطابق الثانى، وبينما كنت محمولاً على المحفة فحصدت المكان بعينى كانت الأرض ممتلئة ببقايا ثلاثين سريراً حديدياً تحت الرماد الأبيض المتخلف عن إحتراق مراتب القش التى كانت فوق تلك الأسرة ولم يكن بين حطام الأسرة ما يصلح للإستخدام، ولكن بعد أن قضيت يومين راقداً على الأرض الصلبة العارية كان منظر هذه الأسرة المحطمة يبدو بالنسبة لى رائعاً، وأعد لزوجتى يائيكو فراش بجوارى من بقايا سرير كان أقل إلتواء من غيره، ووضع الحصير الذى كنا ننام عليه فوق أطر تلك الأسرة، وبدأنا تنقل الحياة فى هذا المكان دون ضجة، ولحق بنا الدكتور ساسادا والأنسة سوسو كيدا والأنسة أوموتو وتبعهم المرضى من العاملين بالمستشفى الواحد تلو الآخر حتى تحولت القاعة الفسيحة إلى مكان مؤنس، ربما إشتكى البعض من الرماد أو المواسير وأسبخ الخرسانة الحديدية التى تدلت من السقف ولكن مثل هذه القاعة كانت أكثر مكان بالمستشفى تطهيراً من البكتريا بعد الحريق الذى أصابها، وإمتازت تلك القاعة بوجود فتحات نوافذ واسعة بحوائطها الأربعة تنتج رؤية كل ما يحيط بالمكان فى كل اتجاه، فلم يكن هناك نوافذ أو ستائر ولاحتى ضلف زجاجية لتقى المرضى الهواء أو تقلل من حدة الضوء، وكانت العين تقع على حطام هيروشيما فى الشرق والجنوب والغرب، فكنا نرى بوضوح جزيرة نينوشيماء فى خليج هيروشيما، وبالقرب من وسط المدينة الذى يقع على بعد 1500 متر من موقع المستشفى كان بإستطاعتنا أن نرى الحطام الأسود لأكبر مبنيين كانا فى المدينة "محلات فوكويا" ومبنى "جريدة تشوجوك"، وبدأ جبل هيجى ياما الجميل المقدس الذى يطل على القسم الشرقى من المدينة أكثر قرباً من ذى قبل حتى غدا وكأنه يقع إلى جانب المستشفى، ولم تكن ثمة مبان باقية إلى الشمال من المستشفى.

وبدأت أفهم ما عناه أصدقائى بقولهم أن هيروشيما قد دمرت، فلم يبق من مباني المدينة سوى تلك التى أقيمت بالخرسانة المسلحة وقد أتيت على ذكر اثنين من هذه المباني، وعلى مرمى البصر تحولت المدينة إلى صحراء تناثرت عليها الأنقاض والأحجار وقرميد السقوف، وكان على أن أعيد النظر فى مفهوم كلمة الدمار لأبحث عن كلمة أخرى تعبر أصدق تعبير عما أراه أمامى، لعل كلمة "الخراب" أكثر إنطباقاً على واقع الحال، ولكنى فى الحقيقة لم أجد بين ما أعرفه من الكلمات كلمة واحدة تصدق على ما شاهدته من فوق سريرى الحديدى المتداعى.

رأيت الجنود يعملون بهمة فى توسيع محجر المستشفى، كان أحدهم يردد إحدى أغنيات العمل والآخرين يرددون الغناء، واستطاعوا أن يضيفوا إلى مساحة المحجر 1200 متر مربع جديدة، وبالإضافة إلى ذلك أقاموا مرحاضاً خارجياً أحاطوه بالحصير من كل جانب، ولم تكن تلك الحصر تحجب شيئاً فقد كان بإستطاعة من ينظر إليها من موقعى أن يرى ما وراءها.

وهبت نسمة لطيفة عبر فتحات النوافذ، فجعلت أجسادنا المحمومة تشعر بالإنعاش لقد تخلصنا من الضيق والفوضى اللذان كانا طابع الطابق الأول، كما أن الضوء الذى ملأ جوانب القاعة رفع معنوياتنا، وكان لمنظر الأفق المتسع من حولنا تأثير طيب على نفوسنا.

لقد ظننا أننا قد تركنا المكان الأفضل بالمستشفى لمرضى الطابق الأول. ولكنى تبينت الآن أننا إنتقلنا إلى مكان أفضل، فقررت أن نترك هذا المكان الجديد للمرضى الآخرين فى أقرب فرصة.

⁸ نينوشيماء جزيرة جبلية تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب هيروشيما فى خليج هيروشيما وقد إتخذت هذه الجزيرة ملعباً لمن بقى على قيد الحياة من سكان المدينة.

وقبل حلول المساء هبت رياح جنوبية خفيفة حملت إلينا رائحة تشبه رائحة شواء السردين، ودهشت لتلك الرائحة حتى ظننت أنني واهم حتى أخبرني معاوني أن هناك فريق من رجال وزارة الصحة يتولى إحراق جثث الموتى، فنظرت عبر النافذة لأشاهد العديد من الحرائق التي تناثرت في مختلف أحياء المدينة وكنت أظنها من قبل بقايا حرائق الأنقاض. وبإتجاه نيجتسو كان هناك حريق كبير حيث قدرت الجثث بالمئات، وحين تأكدت أن تلك النيران هي محارق جنازية شعرت بفشعريرة في جسدي وإنتابني إحساس بالتقزز.

أما المباني الخرسانية التي كانت تقع بالقرب من وسط المدينة فقد ظلت النيران مشتعلة فيها من الداخل وتعكس في كبد السماء ظلالاً مخيفة.

ظل العاملون بالمستشفى يواصلون الليل بالنهار مدة ثلاثة أيام دون راحة، ولذلك أفسحنا لهم مكاناً بالطابق الثاني ليعملوا في نوبات ويقضى بعضهم فترة الراحة بيننا، وجاء الدكتور كوياما لينام، وقبل أن يستغرق في النوم أبلغني ببعض ما حدث خلال اليوم، فذكر لي أن جنوداً جاءوا إلى المستشفى في الصباح يطلبون بعض الضمادات للجيش الثاني العام، وعبثاً حاول العاملون بالمستشفى إقناعهم أن ما لدينا من ضمادات دون حاجتنا بكثير ولكنهم أصروا على الإستيلاء على معظم ما عندنا من تلك الضمادات، لقد كان تصرف هؤلاء الرجال أقرب إلى سلوك قطاع الطرق منه إلى الجنود، وما فعلوه كان منافياً تماماً للوعود المتكررة التي تلقيناها من الجيش لمدنا بكل ما نحتاج إليه من معدات للطوارئ عندما يحدث هجوم على المدينة، ولكن هؤلاء الجنود لم يأتوا من الجيش الذي كان معسكراً في هيروشيما، ولم يبق عدد كاف من الجنود الذين أنيط بهم معاونو المستشفى على أداء رسالتها، ولم يكن باستطاعة الجيش أن يوفر الأفراد الذين يقومون على خدمة الجرحى العسكريين التابعين للقيادة المحلية والذين أفسحنا لهم مكاناً بإحدى دورات المياه، وعندما حضر ضابط إتصال القيادة لرؤيتهم لم يكن لديه مكان أفضل لينقلهم إليه، وشكرنا كثيراً حين هيأنا لهم مكاناً بحجرة الفراشين، ولذلك أعتقد أن الجنود الذين إستولوا على رصيدينا من الضمادات ينتمون إلى قطاع آخر من الجيش.

وثمة شئ أثار إنزعاجنا، فقد أخبرني الدكتور كوياما أن بعض الجنود أتوا من جهة غير معلومة وقضوا النهار كله ينظفون مبنى مصلحة المواصلات، وأنه قد أشيع أن قيادة الجيش ستنتقل إلى المبنى لتتولى الدفاع عن هيروشيما في حالة تعرضها للغزو. وإتفقنا في الرأي على أنه إذا أقام الجيش قيادته في هذا المكان فإن المستشفى ستصبح هدفاً لمزيد من القصف وقد نموت جميعاً إذا وقع مثل هذا الأمر.

وبعدما غادر الدكتور كوياما القاعة استغرقت في التفكير في هذه المسائل وشعرت بالضيق ولم أستطيع النوم أسمع تأوهات المرضى خلال الليل وصراخهم طالباً للماء وأنيهم، وسمعت حركة أحد مرضى الدوسنطاريا المعزولين الذي ترك موقعه ليبحث عن ماء يشربه خلف مبنى المصلحة وتناهى إلى مسامعي صوت رجل فظ ينهره ويأمره بالعودة إلى مكانه حتى لا تنتقل عدوى الدوسنطاريا إليه، وكان هناك صوت بصرخ طالباً للماء بين الفنية والفنية وكلما مر جانب من الليل أخذ هذا الصوت يخفت تدريجاً، وسألت الممرضة عن يكون هذا المريض، فأخبرتني أنه ضابط شاب يبدو أنه من أسرة كريمة لأنها عندما كانت تستجيب لرجائه وتقدم له الماء كان يشكرها بعبارات مهذبة.

وقد أثار هذا الضابط الشاب في ذهني ذكر زيارة قام بها ابن عمي الكابتن أوراب لمنزلنا في الثاني من أغسطس حيث قضى وزوجته اليوم معنا، وكان الكابتن أوراب قد جند كطبيب عسكري بعد تخرجه من كلية الطب بقليل، وعندما رأيتة كان قد قضى في الخدمة نحو ست أو سبع سنوات في شمال ووسط الصين، وقد بدت عليه معالم الإنضباط والشجاعة. وكنت متشائماً لا أرى للحرب نهاية وأفضيت إليه بهذا الإحساس، قلت له إنني أشعر أننا سنخسر الحرب لأن كل شئ يسير من سئ إلى أسوأ، وأن الجنود لم يعودوا منضبطين مثلما كان الحال من قبل، وأبدت له مخاوفى من أنه إذا تعرضت هيروشيما للقصف فإن ما لدينا من مدافع مضادة للطائرات لن يكون مجدياً، لأن نظام دفاعنا يركز على مواجهة حالات التعرض للقصف بالقنابل المحرقة، وكان في تقديري أن العدو لن يستخدم مثل هذه القنابل في قصف هيروشيما التي يخترقها العديد من الأنهار وعند هذا الحد كان ابن عمي يستمع لحديثي بهدوء، ثم عقب على ما قلته بقوله: "ياأخي لا تقلق فإن رئيس الأركان العامة ذكر لنا أنه مهما بلغ إنتقاد المواطنين للجيش فإن الجيش سيرد على هذه الإنتقادات بتحقيق النصر"!.

وبينما كنت أرقد وسط الظلام وجدت نفسى أردد تلك العبارة التي قالها ابن عمي "الجيش سيرد على الإنتقادات بتحقيق النصر" ترى أين ابن عمي الآن ليتنى أراه، باستطاعته أن يوفر لنا كل ما نحتاجه من إمدادات طبية، ولعل الكابتن أوراب مشغول الآن، وإلا لحضر على الأقل للإطمئنان على بعد كل ما حدث.

9 أغسطس 1945

كان اليوم منذ بدايته حاراً صحوماً، ولكن أشعة الشمس لا تصل إلينا مباشرة في الدورى العلوى مثلما كان الحال في الدور السفلى، كما هبت نسمة عليلية على قاعتنا جعلت الجو أفضل بالنسبة لنا منه بالأمس.

وأحسست بتحسن حالة فمى هذا الصباح، ويبدو أن جروح شفتى وخذى تلئم بصورة مرضية، وكان التحسن ملحوظاً حتى أنني طلبت وجبة من الأرز بدلاً من الأرز المهروس الذي كنت أتناوله من قبل، وكانت الأنسة كادو شديدة الإهتمام بى، فقامت بجنى بعض ثمار البطاطا التي كنت قد زرعناها وأعدتها لى، ولم أكن أتصور يوماً ما أن البطاطا حلوة المذاق إلى هذا الحد.

وعلى الرغم من أن ذراع زوجتي كان لا يزال معلقاً، فإن حالتها تحسنت هذا الصباح وبدأت تعتني بي، وأدهشتني حين طلبت بعض المرهم الأبيض ووضعتة على حاجبيها لتخفي موضع حاجبيها المحترقان، وكان إحساسها بالانتعاش علامة مطمئنة، أما حالة الدكتور ساسادا فكانت أكثر سوءاً هذا الصباح، إذ ارتفعت درجة حرارته وزاد وهناً على وهن.

وقبل أن تتوسط الشمس كبد السماء بدأ الزوار يفدون على، وكان من بينهم جندي قوى البينة يحمل كمية ضخمة من الأريطة والأدوية التي ينوء بحملها شخص واحد، فتلقيناه بالترحاب، وكان الملازم تانا كا الذي يخدم في فرقة آكاتسوكي قد أرسله بهذه الأشياء، وكان سرورى حين عملت أن الملازم تانا كا بخير يعدل سرورى بهذه الإمدادات الطبية التي كنا في أمس الحاجة إليها. وكنت قد تعرفت على الملازم تانا كا عن طريق أبن عمى الكابتن أوراب، فالت مروءته ونجدته تقدير الجميل.

وثمة مفاجأة أخرى حدثت في ذلك اليوم، فقد زارنى سعادة السيد أوكاموتو رئيس القطاع الغربى بوزارة المواصلات، وكنت قد سمعت الكثير عنه من قبل دون أن أحظى بلقائه، هو رجل اجتماعى ودود ما لبث أن بعث مرأة الطمأنينة فى نفسى، وعندما إكتشفت مصادفة أنني كنت تليداً بنفس المدرسة الثانوية التي تخرج هو فيها بمدينة أوكاياما قبلى بنحو ست سنوات، سقطت حواجز الكفلة بيننا، وإستعرفنا فى حديث شيق حول تلك الأيام الخوالى، وكان السيد أوكاموتو فى طريقة إلى هيروشيما عندما تعرضت المدينة للقصف، وكان من المقرر أن يصل إلى المدينة فى نفس يوم القصف غير أن نحلة لدغته بالقرب من كورى وهى مدينة تقع على بعد 25 ميلا إلى الجنوب من هيروشيما ولهذا السبب لم يستطيع متابعة السفر إلى هيروشيما، فأدت لسعة النحلة هذه إلى إنفاذ حياته. وخلال حديثى معه جلست فى فراشى دون أن أدرى، وحين غادر القاعة إكتشفت أن جلوسى لم يترتب عليه أى شعور بالألم، فقلت لنفسى إذا كان بإستطاعتى أن أجلس فلا بد أن يكون بإستطاعتى أن أقف. وإنتظرت لحظة إشغال رفاقى بالقاعة عنى وحالت الوقوف ولكن الغرز بدأت تؤلمنى فخذلتى ألامها عن تحقيق أملى فى ترك الفراش ورقدت مرة أخرى، ولكن هذه المحاولة ملأتنى بالثقة. معنى هذا أنه بمجرد أن أتخلص من الغرز فإن بإستطاعتى مزاولة نشاطى من جديد.

أما تقرير الدكتور هانا أوكا اليوم عن حالة المرضى فكان أكثر تفصيلا من ذى قبل، ومما لفت نظرى فى هذا التقرير أن جميع المرضى قد ظهرت عليهم نفس الأعراض بغض النظر عن نوع الإصابة التي لحقتهم فجميعهم كانوا يشكون من فقدان الشهية، وغالبيتهم كانت تعانى من الغثيان، وعسر الهضم المصحوب بالغازات، وكان أكثر من نصفهم يعانون من القي.

وكان الكثير من المرضى قد بدا عليهم التحسن اليوم، ولكن حالات الإسهال إستمرت بشكل حاد ومتزايد ومما كان يدعو إلى الإنزعاج ظهور الدم فى براز المرضى الذين كانوا يعانون فقط من الإسهال، وأخذت مشكلة عزل هؤلاء المرضى عن غيرهم تزداد صعوبة.

وكان أحد المرضى ذوى الحالات الخطيرة يشكو من قرحة فى فمة أمس واليوم وبدأ عدد كبير من البثور الصغيرة يظهر فى فمة وتحت جلده، وكان تشخيص حالته موضع حيرتنا لأنه جاء إلى المستشفى يشكو من الإعياء والغثيان ولم يكن مصاباً بأية إصابات.

وهذا الصباح بدأت تظهر البثور الصغيرة تحت الجلد عند عدد آخر من المرضى، وكان الكثير منهم يسعل ويتقيأ دماً بالإضافة إلى الدم الذى كان يخلط بالبراز، وكانت هناك سيدة مسكينة تنزف من فرجها، ولم تكن تلك الأعراض التي بدت على هؤلاء المرضى معروفة من قبل، وإلا لإلتمسا عنراً لأولئك الذين بدا عليهم أعراض الإختلال العقلى قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة.

رأى الدكتور هانا أوكا أنه من الممكن تقسيم المرضى إلى ثلاثة مجموعات:

- 1- المرضى الذين يشكون من الغثيان والقي والإسهال وتظهر عليهم بعض علامات التحسن.
- 2- المرضى الذين يشكون من الغثيان والقي والإسهال بدرجة ثابتة.
- 3- المرضى الذين يعانون من الغثيان والقي والإسهال وبدأت تظهر تحت جلدهم وفى أماكن مختلفة من أجسادهم البثور الصغيرة.

ومهما كان نوع الإصابة التي لحقت بهؤلاء المرضى كالحروق والجروح فإن تلك الأعراض الغربية لا يمكن أن نرجعها إلى إصابتهم، كما أن هناك الكثير من المرضى الذين خلت أجسادهم من الإصابات وشاركوا هؤلاء فى نفس الأعراض.

إن السبب الوحيد المحتمل لهذه الأعراض الغربية التي ظهرت على المرضى ربما يرجع إلى تغير مفاجئ حدث فى الضغط الجوى، فقد قرأت ذات مرة عن النزيف الذى ينجم عن الصعود إلى مناطق شديدة الإرتفاع أو الهبوط فى أعماق البحار بسرعة بالغة نحو القاع، ولما كانت مثل هذه الحالات لم تمر بى فإنى لم أكن أعلم بأعراضها، غير أنني لا أستبعد هذا الإحتمال، فإن التغيير فى الضغط الجوى له علاقة بالأعراض التي تبدو على مرضانا، فعندما كنت طالباً بجامعة

أوكاياما شاهدت تجربة أجريت في غرفة للضغط الجوى، وظهرت أعراض شبيهة على من قاموا بالتجربة عندما كان يتم تغيير الضغط الجوى فجأة.

إننى لا أستطيع أن أذكر الآن بصورة إيجابية أننا سمعنا صوت انفجار عندما قصفت المدينة ذلك الصباح، ولا أذكر أننى سمعت أصواتاً وأنا في الطريق إلى المستشفى، رغم أن المنازل كانت تتساقط من حولي فقد بدا المشهد وكأننى أعبّر خلال صورة حزينه صامتة متحركة، وأولئك الذين سألتهم عما شاهدوه شاركوني نفس الإحساس أما الذين شاهدوا الانفجار من ضواحي المدينة فقد وصفوه بالكلمة اليابانية "بيكادون" 9 فكيف يمكن تفسير عجزى وعجز الآخرين عن سماع صوت الانفجار مالم يكن قد حدث تغيير مفاجئ في الضغط الجوى جعل من كانوا بالقرب من مركز الانفجار يصابون بصمم مؤقت، ترى هل من الممكن أن نعلل ظاهرة النزيف التى تفشت بين مرضانا على هذا النحو.

ولما كانت جميع المراجع والمجلات الطبية التى فى حوزتنا قد احترقت فلم تكن ثمة وسيلة لمراجعة النظريات الطبية سوى مرافقة المرضى أنفسهم، لذلك طلبت من الدكتور كاتسوبي أن يستطلع ما إذا كانت هناك شواهد أخرى تضاف إلى ما لاحظناه أثناء طوافه على المرضى.

وقد سررت كثيراً حين أحسست أن رغبة الإطلاع العلمى قد نشطت من جديد فى ذهنى، ولذلك لم أتوان عن سؤال كل من زارنى عن حادث القصف، وكانت إجاباتهم جميعاً تبدو غامضة مبهمه، ولكنهم إتفقوا جميعاً فى نقطة واحدة هو أن ثمة سلاح جديد، قد إستخدام ضد مدينتنا وأصبحت معرفة كنه هذا السلاح مسألة محيرة لنا لأننا لم نفقد مراجعنا فحسب، بل فقدنا الصحف والتلفزيونات وأجهزة الراديو أيضاً.

تم إحضار الدكتور تشودو طبيب الأسنان الذى تحدثت عنه من قبل وذكرت أنه هرب مع أسرته إلى تلال أوشيتا وخصصنا له ولأسرته إستراحة عيادة الأسنان، وسألت الممرضة التى اشتركت فى نقله إلى المستشفى عن حاله، فعلمت منها أن حالته خطيرة وأن جميع أجزاء جسمه احترقت، وأنها لا تعتقد أنه سيعيش، أما زوجته وإبنته فلم يصبهما سوء. ياله من مسكين! فقد جاء هو أسرته منذ قليل من أوكينا إلى هيروشيما وليس لهم هنا أقارب وأصدقاؤهم قليلون، ترى ماذا يحدث لعائلته إذا مات.

وبينما كنت أرقد فى فراشى وأفكر فى حالة الدكتور تشودو جاءت السيدة سائيكى العجوز ووقفت بجوار فراشى وحين نظرت إلى وجهها الشاحب المتجهم عرفت ما تريد أن تقوله لى، لقد مات إبنها، مات أكبر أبنائها ووحيدها الذى بقى لها فى هذا العالم. كانت تأمل بالأمس فى أن يحضر إلى المستشفى والآن رحل عنها، أما زوجة إبنها وإبنتها الثانى فقد ماتا يوم (البيكادون) وام يبق لها أحد، وغطت وجهها بيديها وإنفجرت باكياً ولكن نشيجها كان أضعف من أن يسمع ولم أستطع الكلام للحظة لأن حلقى كان قد جف، وحين إستطعت أن أتمالك نفسى قلت لها: "لا تقلقى أيتها الجدة سائوكى رعائتك من الآن". ووقفت السيدة سائيكى العجوز برهة تبكى بهدوء ثم قالت: "أرجوك أن تقف بجانبى يادكتور" وغادرت القاعة فى الطريق إلى الطابق الأرضى دون أن تضيف كلمه أخرى إلى ما قالته.

وعدت أفكر فى الدكتور هارادا الذى كان جسده محترقا تماماً فيما عدا فروة رأسه وقد تقيحت حرقه وجعلت جسده يبدو أحمر اللون بينما كانت دائرة من الشعر الأسود تكسو الجزء الذى لم يحترق من رأسه، وكان يبدو من بعيد وكأنه يرتدى وعاء للظهى على رأسه لقد كان هو والدكتور تشودو بالقرب من حديقة أسانو سنثاى 10 عندما حدث الانفجار. وقبل أن ينقضى اليوم توفى الدكتور هارادا وحملت أسرة زوجته جثته إلى منزلهم فى كابى.

أما الدكتور أوكورا أحد أطباء الأسنان بالمستشفى فقد خرج هذا الصباح لبيحث عن زوجته التى فقدت منذ اليوم الأول للقصف، وعاد فيما بعد يحمل بعض العظام التى عثر عليها فى آخر مكان شوهدت فيه زوجته. وكان السيد ياما زاكى الموظف بمكتب العمل لا يزال يبحث عن إبنته دون جدوى، أما الدكتور فوجى فقد عثر على إبنته ولكنها كانت فى حالة خطيرة وتوفيت فى منزل أحد أصدقائه فى ميدورى.

لم تكن هناك أنباء طبية هذا اليوم، فالدكتور مورى سوجى الطبيب بالقسم الداخلى كان لا يزال مفقوداً، ولما كان يعيش بالقرب من مركز الانفجار فقد إفترضنا أنه وجميع أفراد أسرته قد قتلوا، كما أن ثلاثة من ممرضاتنا لقين حتفهن، أما الأنسة هينادا فكانت تحتضر رغم أنها تبدو بصحة جيدة قبل أن تصاب بالإسهال، وقبيل المساء مات الضابط الشاب الذى سمعته ليلة الأمس يطلب الماء، ولم تستطع أمه التى جاءت من محافظة ياماجوتشى أن تراه قبل أن يلفظ آخر أنفاسه، وأعطى فراشه فى المحجر لفتاة صغيرة كانت تصرخ منادية أمها بصوت تنفقت له الأكباد.

وحل الظلام ولم يكن هناك مصدر للإضاءة فيما عدا النيران التى تبدو عند محارق الجثث، وأخذت رائحة الجثث المحترقة تزكم الأنوف من جديد، وكان المستشفى هادئاً ولكن القسم الذى عزل فيه بعض المرضى كان يقطع سكونه صراخ الفتاة الصغيرة بين حين وآخر: "أماه إننى أتألم، إننى لا أستطيع أن أتحمّل الألم"، ولم أستطع أن أدوق للنوم طمعا قبل طلوع الفجر.

9 "بيكا" باللغة اليابانية تعنى بريق أو ضوء لامع، أما "دون" فتعنى الصوت المدوى، فأولئك الذين شاهدوا الانفجار من ضواحي المدينة سمعوا "بيكادون" أما الذين كانوا قرب مركز الانفجار فقد شاهدوا بريقاً بلا صوت ولذلك أطلقوا عليه "بيكا".
10 تقع على بعد أقل من 500 متر من موقع المستشفى.

10 أغسطس 1945

هبت نسمة باردة عندما إستقيظت فى الصباح، وبعد أن تبادلنا تحية الصباح سألت رفاقى عن مدى تقدم صحتهم خلال الليل فرفع رؤوسهم أولئك الذين بدأت أحوالهم تتحسن، ورفع البعض الآخر أيديهم، ولحسن الحظ قضوا جميعاً ليلة بلا مضاعفات.

وخارج المستشفى كان الناس يبحثون بين الأنقاض عن أصدقائهم وأقاربهم وإلى الجنوب على طول خط الترام الذى كان يربط ما بين هاتشوبورى وهاكوشيما كان الناس يسرون فى خط لا نهاية له فى الطريق من وإلى التلال والقرى المجاورة يبحثون عن الأفراد والممتلكات التى فقدوها.

وبلغتى رسالة تتعلق بالأنسة ياما كبيرة ممرضات قسم الجراحة مفادها أنها تعاني من مرض خطير وترقد بأحد المخابى بالقرب من يوكوجاوا، فأنهيت هذا الخبر إلى الدكتور كاتسوى والأنسة تاكاهو لأنهما من أقرب الأصدقاء إليها، وماكادا يسمعان هذا النبأ حتى هرعاً للبحث عنها، وكانت الأنسة تاكاهو على عجلة من أمرها حتى أنها لحقت بالدكتور كاتسوى وقد إرتدت صندل قديم لا يمكن أن يبقى فى أقدامها أكثر من خمس دقائق، فقلت لها: "انك لا تستطيعين الذهاب بهذا الصندل حتى يوكوجاوا فخذى حذاءى"، فقبلت العرض ولبست حذاءى وأخذت تجره جراً فى الطريق خلف الدكتور كاتسوى، ولا أدرى كيف إستطاعت الإحتفاظ بحذاءى فى أقدامها لأنه كان كبيراً لدرجة تكفى أن تضع كلتا قدميها فى فردة واحدة، وكنت أراها عبر النافذة وهى تتأرجح وتميل ذات اليمين وذات الشمال لتلحق بالدكتور كاتسوى بقوامها الممتلى وروحها المرحة، فبدت مثل الإله إبيسسو إله الثروة وكانت نعم الرفيق للدكتور كاتسوى.

تناولت هذا الصباح أرزا مسلوقاً بدلا من الارز المهروس، وأحسست بمدى التغير الكبير الذى طرأ على حين إستقر الارز فى معدتى، وشعرت أن بإستطاعتى أن أصنع شيئاً، فقلت لنفسى لماذا لا أنتهز فرصة غياب الدكتور كاتسوى وأحاول أن أمشى مرة أخرى وكان سرورى بالغاً عندما وجدتنى أمشى دون ألم وكانت الغرز لا تؤلمنى كثيراً مثلما كان الحال بالأمس، وبعد بضع خطوات أصبحت مقتنعاً أن المسألة تحتاج إلى تدريب، وبينما كنت أختبر قدرتى على المشى سمعت وقع أقدام فالنفت ورائى لأجد السيد ميزوجوتشى يتجه نحو فراشى صانحاً: "يادكتور يجب أن تكون أكثر حرصاً حتى لا ترهق نفسك، هل أستطيع أن أتحدث معك فى بعض الأمور؟" فأجبت: "بكل تأكيد". فقال: "إن رصيدينا من اللوازم الطبية قد بدأ ينفذ ونقوم الآن بتوزيع القدر القليل الذى يتوفر لدينا بين المرضى الخارجيين ومرضى القسم الداخلى ولكن المرضى الخارجيين إزدادوا عدداً وبعد حين لن يكون لدينا ما نقدمه لهؤلاء وأولئك والكمية التى سلمت لك بالأمس كانت الإضافة الوحيدة إلى رصيدينا منذ حدث القصف والمخازن الإحتياطية التى تقع فى جى جوزن وياجوتشى لا يمكن الوصول إليها".

فقلت له: قل للدكتور كوياما أنى أريد أن أراه إذا لم يكن مشغولاً لعلنى أجد عنده مخرجاً لهذا المأزق "

وجاء الدكتور كوياما فكررت على مسامعه ما قاله لى ميزو جوتشى وسألته الرأى ففكر ملياً ثم قال: "لا أعتقد أن بإستطاعتنا الوصول إلى حل لهذه المشكلة ما لم نتلق عوناً من الخارج، ولعلك تعلم أن مكتب المحافظة وعدنا بالمساعدة". فأجبت قائلاً: "إذن فلنغلق القسم الخارجى لنحتفظ على الأقل بما لدينا من مخزون لعلاج مرضى القسم الداخلى".

فأجاب الدكتور كوياما بقوله: "إن مثل هذا التصرف لن يكون مجدداً فإن من يترددون على العيادة الخارجية لا تقل حالتهم سوءاً عن مرضى القسم الداخلى وإذا رفضنا علاجهم فأين يذهبون؟".

عند هذا الحد فقدت أعصابى وصحت قائلاً: "لقد مرت أربعة أيام ولم نتلق أى إمدادات طبية حتى الآن، وحتى إذا أوفى مكتب المحافظة بوعده فإن الإمدادات التى سيرسلها لنا لن تكون كافية، إن لديك الكثير من المشاكل التى تحتاج إلى حل داخل المستشفى وليس عليك أن تهتم بكل عابر سبيل يطرق بابك، لا بد أن تغلق العيادة الخارجية لا بد أن تغلقها اليوم فوراً".

ويبدو أن الدكتور كوياما أحس أن جروحي وعدم إستطاعتى النوم وقلقى على أوضاع المستشفى قد جعلنى فاقداً للإتزان، لأنه حاول تهدئتنى، فكننت أستجيب له أحياناً وأنفعل غاضباً أحياناً أخرى. وفى النهاية إضطر ان يستسلم وينزل على رغبتى ربما خوفاً من أن أفقد إتزانى نهائياً، فوعدنى بأن يعلق إعلاناً على باب العيادة الخارجية بما يفيد إغلاقها.

وما كاد الإعلان يلصق على باب العيادة الخارجية حتى جاءت الشرطة وبعض موظفى مكتب المحافظة يسألوننا عن الدافع وراء إتخاذ مثل هذا الإجراء، وكان تأثير هذا القرار عليهم مثيراً للعواطف، فإلتمسوا منا أن نستمر فى خدمة مرضى العيادة الخارجية من أجل مواطنى هيروشيما، فقلنا لهم إنه يسرنا أن نكون فى خدمة المواطنين ولكن إمدادتنا توشك على النفاذ ولم يبذل أحد جهداً فى تعويضها، فوعدونا بتدبير ما نحتاجه من إمدادات إذا كان ذلك هو العائق الوحيد فى سبيل خدمة مرضى العيادة الخارجية.

ولعل إصرارى على تثبيت الإعلان على باب العيادة الخارجية لم يكن إجراء طائشاً، وقبل أن يغيروا موقفهم أرسلت الدكتور هينونى إلى إدارة الصحة بمكتب المحافظة ليتسلم الإمدادات التى وعدونا بها ولكن ما أعطوه له لا يستحق الذكر، فالكمية التى عاد بها لم تكن أكبر حجماً من دموع العصفور. هكذا أحسنا بخيبة الأمل، لقد أدرك موظفو الإدارة المحلية

حقيقة موقفنا فكيف يتوقعوا منا أن نعالج المرضى بدون أدوية ويرسلون لفاقة مثل تلك التي عاد بها الدكتور هينوى، إنها إهانة ما فى ذلك شك.

وكان الدكتور هينوى والسيد ميزوجوتشى بيدوان أكثر إرتياحاً منا جميعاً فاستمعا إلينا بصبر حتى قلنا كل ما عندنا، ثم أشارا إلى أننا لم نخدم فى مناورتنا مع سلطات المحافظة، وقال الدكتور هينوى: "إننا على الأقل نعرف الآن موقع الإدارة الصحية ونعلم أن رئيس تلك الإدارة لا يزال على قيد الحياة، وقد قالوا لى إنه كان بمنزله عندما حدث القصف ولم يصب بسوء، اللهم إلا كسر بأحد أضلاعه، فلماذا لا يذهب أحدنا لمقابلته وإطلاعه على جلية الأمر، إننى على ثقة أن باستطاعته تقديم العون لنا".

ولم يكن هناك اعتراض على هذا الإقتراح لذلك أرسلنا الدكتور كومايا مندوباً عنا لمقابلة رئيس الإدارة الصحية فى منزله. حقيقة أننى كنت أعرف الرجل منذ كنا زميلين فى الدراسة، وكان يدعى الدكتور كيتا جيما غير أن الدكتور كومايا حين قابله بمنزله لم يحظ منه بفرصة لشرح موقفنا وعرض مشاكلنا، فقد كان الرد الذى تلقاه من الدكتور كيتا جيما رئيس الإدارة الصحية هو: "إنك لا بد أن تفتح العيادة بأمر المحافظ". فرد عليه الدكتور كومايا قائلاً: "إن مهمة مستشفانا معالجة المرضى من موظفى وزارة المواصلات وعائلاتهم، ونحن الآن نتولى علاج مواطنى هيروشيما بدوافع إنسانية وليس بيننا وبين المحافظ أية رابطة، فنحن لا نخضع إلا لوزارة المواصلات ولا شأن للمحافظة بنا، ولذلك لا أجد داعياً لإطاعة أوامرك التى تلقيناها علينا باسم المحافظ حتى لو قام بتلبية طلباتنا، إن كل ما نطلبه هو الإمدادات، إمدادات طبية لمعالجة كل شخص يحتاج إلى علاج بغض النظر عن نوع العلاقة التى تربطنا به".

فغيرت لهجة الدكتور كيتا جيما وأخذ يستخدم عبارات إستمدتها من لهجة أوكاياما فقال له: "كفى كل ما أرجوه منك أن تفتح العيادة باسم الإنسانية وسأبحث أمر إمدادك بما تحتاجه من إمدادات طبية وأطباء وممرضات وكل ما من شأنه معاونتكم".

وإذا كان لى أن أستعمل تعبيرات الدكتور كومايا فقد رأى أنه لا داعى للتصارع باللسان مع رئيس الإدارة الصحية، وعاد إلى المستشفى وهو مقتنع أن الدكتور كيتا جيما سيفى بالوعد وسعدنا جميعاً بما سمعناه فقد إنتصرت وجهة نظرنا ونزعنا الإعلان من على باب العيادة.

كانت الأنسة ياما لا تزال بخير عندما أحضروها إلى مستشفى، وعلمنا منها أنها كانت فى طريقها إلى المستشفى عندما حدثت (البيكا) ورغم أنها كانت مغطاه جزئياً بمظلة فقد أصيبت بحروق بالغة، وفقدت ثيابها، ولم يكن لدى الدكتور كاتسوبى سوى أمل ضئيل فى شفائها.

أما السيد شيوتا الموظف بمصلحة المواصلات فقد أصيب بالقرب من نيغتسو¹¹ ويرقد الآن بمنزل أحد أصدقائه فى هيساكا، وجاءنا رسول من قبله يسألنا عما إذا كان من الممكن إحضاره إلى المستشفى. فطلبنا منه أن يحضره على عجل.

وبدأ الناس الذين كانوا قد إنتجأوا إلى القرى والضواحي المحيطة بالمدينة يعودون، وسمعوا أن المستشفى على إستعداد لإستقبالهم، فتركوا أماكنهم بالمعابد والمدارس والبيوت والمخابئ ميممين شطر المستشفى ولم يكونوا قد حصلوا على علاج أو إسعافات من قبل وكانت أجسامهم واهنة وينضرون جوعاً، ولما كان المكان أضيق من أن يتسع لهم فقد لمسنا الحاجة إلى ضرورة إعداد مبنى المصلحة وتحويله إلى ملحق للمستشفى، وأعطينا لموظفى المصلحة وعائلاتهم الحق فى أولوية الإنتقال إلى مبنى الملحق، أما المرضى الآخرين فقد هيأنا لهم مكاناً بالمستشفى، وبذلك نقلنا زوجة السيد يوشيدا رئيس المصلحة الذى مات وهو فى الطريق إلى الملحق، وكانت تلك السيدة المسكينة قد إعتبرت فى عداد المفقودين غير أنها تمكنت وقد الحادث من الهرب إلى منزلها فى كوماتشى بعد أن لحقتها بعض الإصابات فأعدنا لها فراشاً بغرفة الإستقبال التى كانت ملحقة بمكتب زوجها الرحل.

إزداد تدفق الناس على المستشفى حتى أصبحنا لا نستطيع السيطرة على الموقف، وكان سرورنا عظيماً عندما وصل إلينا الدكتور نوريوكا -الذى كان يعمل بمستشفى المواصلات بأوساكا- فجاءة على رأس مجموعة من المساعدين يحمل كل منهم بعض الإمدادات الطبية، وكان حضورهم كالغيث وقت الجفاف، فالدكتور نوريوكا طبيب ماهر حاذق أسرع إلى العمل هو وجماعته، وكانت مهارته وتفاؤله يبعثان الحماس فى النفوس، وأحسنا أن وجودهم قد دعم مركزنا.

وعلى النقيض من ذلك وصلتنا مجموعة من المساعدين الطبيين الذين ليست لديهم الخبرة الكافية للعمل، ولذلك لم يستطيعوا عمل شئ، وجاءوا بأيدٍ خالية من الإمدادات الطبية، وكنت على وشك أن أقول لهم إننا كنا نقدر ما أبوه من نوايا طبية إذا عبروا عن هذه النوايا بالعمل، أما الدكتور نوريوكا وجماعته فعلى العكس من ذلك أمدوا قلوب المرضى الواجفة بالقوة والأمل.

منذ وقع حادث القصف وقلوبنا لا تكاد تستقر بين ضلوعنا، ولكن الدكتور نوريوكا إستطاع أن يعيدها إلى موضعها بفضل همته وسجاياه، كان جاداً فى عمله قوى الملاحظة، وكان فوق ذلك متحمساً نشيطاً وإتسع وقته لعلاجنا، كما أننا تعلمنا منه الشئ الكثير، ولأول مرة منذ وقعت الواقعة أحسست أننا بدأنا نسترد رباطة جأشنا.

11 هو هيكل للديانة الشنتاوية يقع على بعد 1700 متر من مركز التفجير وعلى بعد نصف ميل تقريباً موقع المستشفى.

جاء الليل وكانت الليلة الأولى التي لم نشم فيها رائحة الموت ولست أدري ما إذا كان ذلك بسبب تغير اتجاه الرياح أم بسبب تناقص عدد محارق الجثث في المدينة، فقد بدأ يتناقص عدد من يموتون كل يوم، ولم يمت اليوم سوى شخصين فقط.

وأحضر لي السيد ميزوجوتشي مصباحاً صنعه من طبق من الصاج وفتيل من أربطة الجروح وزوده بالنقط الخام، ولكن الضوء المنبعث من هذا المصباح كان يبدو باهراً أنار السقف والحوائط وشع في أرجاء القاعة الفسيحة. كان هذا هو أول ضوء نراه منذ (اليكا)، لقد نسينا تألق الضوء في الليل.

جلس السيد ميزوجوتشي بجانبى بضع دقائق يتحدث إلي، فأخبرني أنه رأى رجلاً يحاول إنزاع قماط جندي مصاب بالعمى فمنعه من ذلك، ثم أخبرني عن الأنسة هينادا والأنسة سوسوكيدا، وكان يحدثني بصوت منخفض قائلاً: "يمر الوقت ونعود مرة أخرى إلى الليل، إن السيدة التي ترقد بجوارى تحدثت معى بطريقة ودية لطيفة ولم أستطع معرفتها إلا في الصباح فقد إكتشفت أنها الأنسة سوسوكيدا كان وجهها متورماً فلم أستطع التعرف عليها إلا حين عرفتي هي بنفسها.....".

وغرقت في النوم وأنا أستمع إلى حديث ميزوجوتشي.

11 أغسطس 1945

كان اليوم حاراً منذ الفجر، والسماء صافية، وإستطعت أن أنام طوال الليل لأول مرة منذ حادث القصف، ولذلك أحس بالانتعاش، ونظرت حولي لأجد أن الأنسة ياما نزلت بقاعتنا وكان فراشها يقع بين فراش الأنسة أوموتو والأنسة سوسوكيدا اللتان كانت حالتهما خطيرة، وكانت الأنسة ياما هي الوحيدة التي لم تستطيع رفع رأسها عندما تفقدت رفاق القاعة، لم أرسو قفاها لأنها كانت تخفى وجهها بعيداً عنى، فقلت لها: "إذا لم يكن بإستطاعتك أن ترفعي رأسك فارفعي يدك، فإن كان بإستطاعتك رفع يدك فإن ذلك يعنى أنك فى طريق التحسن". فردت على برفع يدها، وحاولت تشجيعها قائلاً: "لا بأس فستعبرين هذه المحنة فلا زلت ممثلة بالحياة وإذا كان بإستطاعتك أن ترفعي يدك فإن معنوياتك سوف ترتفع ويساعدك هذا على الشفاء".

لم يمت أحد خلال الليل، وإنضم إلينا ثلاثة من زملائنا الذين كنا نعتقد أنهم قد فقدوا، كان الجميع يبدو عليهم التحسن هذا الصباح، وأصبح الإفطار يبدو حلو المذاق عن ذى قبل عندما أحضره لنا السيد ميزوجوتشي، وما كدنا نفرغ من تناول الإفطار حتى عصفت الرياح، وأخذ طلاء الحوائط المحترق يتساقط فوقنا، كما بدأت تتساقط من السقف أيضاً، تماماً كما تتساقط زهور الكرز، ولم يستطع الدكتور ساسادا أن يحمى وجهه بيديه التي إختفت داخل الأربطة وكان أكثرنا تعرضنا لأذى التراب وطلاء الحوائط.

وعندما توقفت الرياح كنا قد نفطنا التراب والرمال عن أنفسنا نوعاً ما، ولكننا كنا نشعر بالضيق، فقد كانت صعلى تبدو خشنه ومكسوة بالرمال، كما أن لحيتى التي طالت لعدم تمكنى من حلاقتها أصبحت بيضاء فى لون الجليد، وشعرت بلجئى إلى الإغتسال والحلاقة كما لم أشعر من قبل.

لقد تسببت الرياح فى إيدائنا، وأثارت ضيقنا، ولذلك عندما مربنا الدكتور كاتسوبي ورأى ما أعانيه من ضيق، رق لعالى وقام بغير جروحي، وبدا عليه السرور وقام لدهشتى البالغة بإزالة الغرز قبل الموعد الذى كان قد حدده من قبل بيوم، فأحسست بتحسن كبير بعد الغيار الجديد، فالتخلص من الضمادات التي كانت تنبعث منها روائح كريهة وإزالة الغرز جعلنى أحس بالراحة، ونسيت ما سببته العاصفة الترابية لى من متاعب.

وبينما كنت أرفد مستمتعنا بالراحة دخل علينا الملازم تاناكا الضباط الشاب الذى أرسل لنا كمية من الإمدادات الطبية أول أمس، وبعد أن بادلنى التحية عبرت له عن تقديرى لكرمه، وسألته عما حدث لكتائب الفرقة الثانية التي ينتمى إليها والتي كانت تكتائب تقع خلف المستشفى، فأجابنى بقوله: "لقد كان ثمة ما يزيد على أربعمائة مجند فى الخدمة الطبية بعسكرون هناك، جاء معظمهم إلى هنا عقاباً لهم على مخالفات إرتكبوها، وقد مات معظمهم". فسألته عما إذا كانت لديه أخبار عن ابن عمى الكابتن أوراب، فأجاب: "لقد أخبرنى البعض أن الكابتن أوراب قد أصيب بجرح فى مؤخرة رأسه، وأرسل إلى أوجينا للعلاج، وهذا هو كل ما أعرفه عنه لأن الإتصالات بين القوات سيئة للغاية، ومن بقوا على قيد الحياة تشتتوا هنا وهناك بصورة يصعب معها الإتصال بهم".

وثمة سؤال أخير كنت أخاف أن أسأله للملازم تاناكا يتعلق بإشاعة سرت بين الناس مؤداها أن روسيا دخلت الحرب ضد اليابان، وأنها شنت هجوماً كبيراً على منشوريا وإجتاحتها، وقد أيد الملازم تناكا هذه الإشاعة غير أنه لم يكن لديه تفاصيل عنها.

كان هذا أمراً لا يمكن تصديقه فقد أصبحنا الآن محاطين بالأعداء من الأمام ومن الخلف ومن المؤكد أنه لأمل لنا فى النصر، وشعرت بكابوس ثقيل بجثم فوق صدرى.

وعلمنا خلال النهار أن سلاحاً جديداً غامضاً إستخدم فى ضرب ناجاساكي وأسفر عن نتائج مماثلة تماماً لما حدث فى هيروشيما، فقد كان مصحوباً ببريق شديد، بصوت إنفجار مدوى. أصبحت كلمة "بيكادون" واحدة من مفردات اللغة اليابانية، وعلى الرغم من أن السيدة ساتيكي العجوز التي كانت داخل المدينة عندما حدث القصف ظلت تستخدم تعبير

"بيكا"، فإن أولئك الذين كانوا خارج المدينة أصروا على تسمية الحادث بالبيكادون. وإستقرت الكلمة الأخيرة كمصطلح أطلقه الناس على السلاح الغريب.

وبعد أن بلغتنا أنباء قصف ناجاسكى، جاءنا رجل من فوتشو¹² ذكر لنا أن اليابان تملك هذا السلاح الغريب ولكنها حتى الآن كانت تحيطه بسرية بالغة، ولم تستخدمه ليقينها أنه سلاح يكفى إسمه لإثارة الفزع والرعب، وأضاف الرجل أن هجوماً خاصاً قام به الأسطول إستخدم فيه هذا النوع من القنابل فى ضرب أراضى أمريكا ذاتها، وزعم أن معلوماته عن هذه الغارة مستمدة من مصدر موثوق به القيادة العامة، وأن الغارة التى قام بها سرب من الطائرات ذات الست محركات من قاذفات القنابل العابرة للمحيط، وأن إثنين من طائرات هذا السرب لم تستطعا العودة إلى قواعدهما، ومن المعتقد أن هاتان القاذفتان قد نجحتا فى إصابة أهدافها، و نفذتا مهمتهما بنجاح مؤكداً.

إذا أصاب سان فرانسكو وسان دييجو ولوس أنجلوس ما أصاب هيروشيما ترى ماذا تكون عليه هذه المدن الآن من الفوضى؟ أخيراً إستطاعت اليابان أن ترد الصاع صاعين. وتغير جو القاعة لأول مرة منذ ضربت هيروشيما، كان كل من فيها يفيض بشراً وسعادة، وكان أولئك الذين يعانون إصابات بالغة أكثر الموجودين سعادة، وبدأت الفكاهات تسمع، وغنى البعض نشيد النصر بينما دعا الآخرون للجنود بالتوفيق، وإعتقد كل فرد الآن أن التيار قد أصبح فى صالح اليابان.

صممت على مغادرة الفراش ما دامت جروحي قد إلتأم لتتابع بنفسى موضوع الإمدادات الطبية التى وعدنا بها مدير الإدارة الصحية بالأمس، وكان أحسن ما يمكن عمله هو أن أتوجه بنفسى إلى الإدارة الصحية التى كانت تقع فى مبنى مهدم بمنطقة ياما جوتشى بالقرب من الوسط المدينة.

تلقى الدكتور هينوى تعليمات بمرافقتى والعناية بى، ولما كنت أعانى من الضعف والهزل فقد عرض على أن يحملنى إلى هناك فوق دراجته، فلم أترض على ذلك وماهى لحظات حتى بدأنا الرحيل.

كانت المسافة بين المستشفى والإدارة الصحية تبلغ نحو ميل، فوجدت أنه من الأفضل أن أنتهز هذه الفرصة لأرى عن قرب ما حدث للمدينة. وعندما غادرنا المستشفى مررنا بالمرحاض الخارجى الذى ذكرته من قبل، وكانت حالته تثير التفزع، إذ كان المرضى الذين يستطيعون المشى يقضون حاجتهم فيه، رغم أننا رجوناهم أن يقضوها فى مكان بعيد عن المستشفى، وكان المكان ينظف كل صباح ولكن الأرض كانت تملئ مرة أخرى بالبراز، وتفوح من المكان روائح كريهة. وحين بعدنا عن المستشفى تخلصنا من الروائح الكريهة التى كانت تزكم أنوفنا، لنعانى من متاعب السير فى طريق تعترضه الأنقاض، وكنا نحمل الدراجة أكثر مما نركها، فقد تساقطت أسلاك الترام والأعمدة التى كانت تحملها فى عرض الطريق، وكان علينا أن نزحف بين الحين والآخر تحت الأسلاك أو فوقها وبين أسلاك التليفون والكهرباء المتشابكة، لنواجه بالعامات المهذمة والحوادث المتداعية، فإذا تخلصنا من كل تلك العوائق وجدنا الطريق ممتلئة بالحفر.

وإذا لم يكن مبنى الإدارة الصحية واضحاً وأماناً لكنت تلك الرحلة الشاقة أكثر إرهاقاً لنا، لقد كان مبنى الإدارة الصحية على مرمى البصر خلف كل تلك الأنقاض، وحين جلسنا لنستريح ذات مرة لاحظ الدكتور هينوى أنه يبدو أننا لن نبلغ غايتنا، لأننا حين كنا ننفادى الانقراض كانت الطريق تبعدنا كثيراً عن موقع الإدارة الصحية.

وإستعنت على متاعب الطريق بتفحص الأنقاض التى تتراكم على جانبيه، فالحوادث المهذمة، ومواسير المياه المحطمة تكشف عن موقع الحمامات، وقطع الصينى المتناثرة تدلنا على موقع المطابخ، والستائر الثمينة المطرزة الممزقة ترشدنا إلى نوع الحى الذى نمر به، فقد كان المكان موطناً للطبقة الثرية فى المدينة، وكنت أعرف معظم سكانه، ولكن المكان بدا غريباً بالنسبة لى، ولم أستطيع أن أحدد على وجه الدقة الأماكن التى كان يسكنها من أعرفهم فى هذا الحى.

شاهدنا العظام المحترقة، وشمنا مرة أو مرتين رائحة اللحم البشرى المحترق، فهذه العلامات المميزة للموت كانت تبدو واضحة طول الطريق وسط هذا الركام، وشد ما ضايقتنى رؤية لعب الأطفال المحترقة وسط حطام المنازل.

وأخيراً وصلنا إلى مبنى البنك المتهدم الذى إتخذ مقراً للإدارة الصحية بطريقة ياما جوتشى، وتوقفنا قليلاً لننظر إلى المنطقة الواقعة خلفنا، فإلى الشمال كانت تقع المستشفى ومبنى مصلحة المواصلات يقفان وحدهما وسط الحطام، وخلفها تقع تلال أوشيتا وقد إحتترقت سفوحها وأصبحت عارية من الأشجار.

دخلنا البنك من باب خلفى، ووجدنا أنفسنا داخل ردهة واسعة بها حشد كبير من الناس حتى بدت وكأنها خلية نحل، وإلتقينا برئيس الإدارة كيتا جيما وإثنين من مساعديه، وكانوا يجلسون على مقاعدة محطمة، ويضعون أوراقهم فوق صناديق برتقال قديمة، وحين رانى كيتا جيما عقدت الدهشة لسانه لحظة ثم إرتسمت على وجهه علامات السرور وتعانقنا وأخذنا نتحدث معاً بلهجة أهل أوكاياما، قال لى: "لقد كنت لحسن الحظ فى بيتى عندما سقطت القنبلة، وكل ما أصابنى كسور بسيطة ببعض الضلوع، ترى ماذا حدث لك؟ هل أنت بخير؟ أعتقد أننا محظوظان لأننا بقينا على قيد الحياة".

¹² فوتشو ضاحية تقع على بعد ميل إلى الشرق من هيروشيما ويفصلها عن المدينة مرتفعات جبلية منخفضة تمتد من الشمال إلى الجنوب.

وبنما كنا نتحدث سويا إستأذن الدكتور هينوى وأخذ يتجول فى المكان، وجمع الإمدادات التى كنا فى أمس الحاجة إليها ، والتى وعد الدكتور كيتاجيما بتدبيرها من قبل، وحين حققت زيارتنا هدفها إستأذنا من الدكتور كيتاجيما وعدنا أدرأنا إلى المستشفى.

وأثناء سيرنا بالطريق قلت الدكتور هينوى: "إن مرضانا ليسوا وحدهم الذين يعانون من الدوسنطاريا، فقد أبلغنى كيتاجيما أن جميع المستشفيات الموجودة بالمنطقة تعج بمرضى الدوسنطاريا، كما أخبرنى أن بدروم محلات فوكويا تحول إلى مركز للإسعافات الأولية، فدعنا نلقى عليه نظرة ونحن فى طريقنا إلى المستشفى".

فأوما الدكتور هينوى برأسه موافقا، عندما بلغنا محلات فوكويا توقفنا هناك، وكانت النظرة إلى البدروم كافية، فقد كان المكان مظلما كريها مما دفعنا إلى تغيير رأينا فعدلنا عن تفقده، وعدنا إلى الطريق الذى يقود إلى المستشفى.

وتابعنا السير دون أن يتحدث أحدنا إلى صاحبه، فقد بلغ بنا الإرهاق حدا كبيرا، وغلب الشعور بالإكتئاب، فحرارة الجو ، وحالتنا الصحية، ومنظر الخرائب حولنا، تركت جميعا أثرها على جسدنا وروحنا، كما أن المعلومات المتفرقة التى جمعناها من الدكتور كيتاجيما لم تساعدنا على تغيير نظرتنا إلى الموقف، فقد قتل البيكادون ثمانين طبيبا من بين المائة وتسعون طبيبا الذين كانوا يعملون فى هيروشيما، ومعظم من ماتوا كانوا من أصدقائى، كما لم أستطع التخلص من تأثير ما شاهدته فى بدروم محلات فوكويا، وكان من أكبر المحلات فى هيروشيما وموضع فخر المدينة، فإذا به قد تحول إلى حطام مشوه المعالم. سقطت نوافذه، وتحول المبنى من الداخل إلى كهف كئيب مظلم، وأصبح الناس الذين كانوا يقصدونه لشراء ما يحتاجون إليه، يرقدون اليوم بداخله يعانون من المرض، كانت أناتهم وتأوهاتهم لا تزال ترن فى أذنى.

لقد كان مستشفانا جنة بالقياس إلى ما شاهدته، فهو صغير حقاً ولكنه منير وجيد التهوية، وحتى المرضى الذين كانوا يرقدون فى دورة المياه تحت السلم كان مكانهم أفضل بكثير من زملائهم الذين كانوا يرقدون فى محلات فوكويا، وأصبحت بعد أن لمست سوء الأوضاع- أفهم سبب شعور موصنا بالراحة والسعادة لوجودهم بالمستشفى، أن لدينا ما يمكن أن نصنعه لتحسين الخدمة لمرضنا، وبدأت معنوياتى ترتفع من جديد.

وسألت الدكتور هينوى عما إذا كان قد حصل على كل ما نحتاج إليه من الدكتور كيتاجيما، فرد بالإيجاب، وكسرت إجابته حاجز الصمت، وقال أنه ذهب إلى الدكتور فوجى مورا ووجد منه كل غيرة وعون وقال له أن بإستطاعتنا أن نحصل على كل ما نحتاج إليه مما لديهم من إمدادات. وأكد هينوى أن موقفنا سيتحسن كثيراً عما قبل.

وحتى يؤكد الدكتور هينوى أن معنوياته مرتفعة إبتسم وأخذ يثرثر طوال الطريق، حتى قادتنا ثرثرته مرة أخرى إلى غابة الأسلاك التى إجتزناها من قبل ولكنها كانت بالنسبة لنا أقل صعوبة فى الإجتياز، وأخيرا عدنا إلى قاعدتنا.

وبعد أن إستترحت قليلا، قررت أن أتفقد المرضى بالمستشفى، ترى ماذا سيقول المرضى حين يشاهدوا مدير مستشفى المواصلات يرتدى سروالا قذرة وقميصاً ممزقا ويبدو أسوأ حالا من أفقر فلاح بالقرية؟ ربما كانت مثل هذه الأفكار مثار إزعاج لى قبل البيكادون ، أما الآن فلا شئ يهم إذ لا يبدو إنسان فى هيئة طبيب مثلما أبدو الآن. وقيل أن تذهب بى الأفكار بعيدا، كان من السهل على أن أتأكد أننى رغم مظهرى الرث كنت أبدو من أحسن الناس مظهراً بالمستشفى.

شعرت بالخلج لأننى كنت أبدو أحسن مظهرا عندما لاحظت بؤس وشقاء الناس من حولى، هنا سيدة عجوز على شفا الموت لا شئ يستر جسدها سوى فائلة، وشاب إحترق جسده يجلس عارياً تماماً إلا من قطعة حصير تغطى جزء من جسده، وهناك أم شابة تحتضر وقد تفحم صدرها بينما ينام طفلها فوق ذراعها يرضع من ثديها، وفتاة شابة جميلة إحترق جسدها كله فيما عدا وجهها ترقد فى بركة من الدماء والصديد، وجندى عار تماماً إلا من سروال قصير يرقد فوق حصير ملطخ بالدماء، وآخرون يرتدون أسمال صنعها ذوهم من الستائر ومفارش الموائد مما إستطاعوا العثور عليه فى المنطقة المحيطة بالمستشفى.

لقد تعبت من كثرة ما حاولت تشجيع هؤلاء التعساء كنت أقول لهم: "إننا على الرغم من سوء الأحوال، وما نعانىه من نقص فى التجهيزات، فإن هذا المستشفى هو أحسن مكان للعلاج فى هيروشيما، هذا ما علمته من مدير الإدارة الصحية بالمحافظة اليوم، فأرجو أن تتذرعوا بالصبر".

لم أكن أقصد المبالاة بهذا الكلام، فإن مستشفانا قد لقي تقدير الإدارة الطبية بالمحافظة، وإذا كانت المستشفيات الأخرى بالمدينة على نفس المستوى الذى رأيت فى محلات فوكويا، فإن هذا التقدير لا مبالغة فيه. وعندما كنا فى المدينة قابلت السيدة ياناجى هارا، وهى أرملة صديق قديم، كانت هذه السيدة شديدة الهزال وقد فقدت كل شئ أثناء الحادث: منزلها، وملابسها، وأصبحت وحيدة فى هذا العالم تعيش بعيداً عن موطنها الأصلي فى جزيرة شيكوكو، فسألتها: "أين تقيمى الآن ياسيدة ياناجى هارا؟"، فأجابت والدموع تملأ عينها: " فى محلات فوكويا"، وكان للبؤس الذى بدا عليها، ولنبرات صوتها الحزينة وهى تقول لى هذه العبارة وقعاً أليماً فى نفسى، فلم أستطع أن أجد من الكلمات ما أواسيها به سوى أن أقول لها : "حسنا، إننى مسرور لأنك على الأقل بخير ولم تصابىن بسوء". فردت على بحزن شديد: "نعم، ولكنى لازلت فى فوكويا".

إن ما سمعته ورأيته اليوم ملأني بالثقة، وجعلني أشيد بمستشفانا أمام المرضى، وربما كنت لا أستطيع الجهر بهذا إذا تجولت بين المرضى قبل ذهابي إلى المدينة.

كان الدمار في المدينة أكبر كثيراً مما كنت أتصور، فقد أدت هذه القوة الغامضة إلى تقويض دعائم المباني المشيدة بالخرسانة المسلحة وتركبتها مثل السلة المحطمة، وإذا كانت قد تركت المستشفى قائماً فإنها لم تبق على أثاثه ومعداته وأدواته.

بريق مفاجئ، وإنفجار، ثم زلزال عارم، ونار متأججة، تتابعت على المدينة كل الظواهر التي تعبر عن الدمار والموت.

أويت إلى فراشي ملتصقا بعض الراحة غير أني كنت متوترا للغاية فلم أشعر بلذة الراحة، لقد أثارتنى مشاهد اليوم، فلم أعد أحس بالإرهاق والتعب، وجعلتنى الأفكار التي دارت في رأسي أكاد أقف على حافة الجنون.

وأخذت أمشي جيئة وذهابا في القاعة، وبدأت الريح تهب تحمل معها الغبار وتسقط طلاء الحوائط، فكان المنظر طبيعياً بالنسبة لي وملانما تماما الحالتي النفسية، وتزاحمت الأفكار في رأسي، وضايقتني أحد الأسلاك الكهربائية الذي يطل من ماسورة بالحائط. ولست أدري لماذا صممت على قطعه رغم أنه لا يشكل عائقاً، فأخذت أشده فتخرج من الماسورة لفائف السلك وألقيها من حولي حتى أصبح السلك مكوماً حولي دون أن تبدو نهايته، إذا إستطعت التخلص من الأسلاك والمواسير والسرير المحطمة، فإن القاعة سوف تتسع، ونستطيع أن نفرشها بالحصير، وننقل إليها خمسين أو ستين من المرضى الآخرين، عندئذ يستطيع كل من يرقدون في الدور الأرضي الصعود إلى هنا والتمتع بالمنظر وإستنشاق الهواء والإستمتاع بالضوء، غير أني وحيد لا أجد من يعاونني.

وبدأت أهدأ تدريجياً، تماكنت نفسي، وأصبحت أكثر إضطراباً إننا نحتاج حقا إلى مساحة أوسع ولكن من الأجدى أن نعمل على تنظيف الحجرات الأخرى التي لا تزال ممتلئة بالركام، والتي لم نستخدمها بعد، فإذا إستطعنا تحقيق ذلك توفرت لدينا أماكن تكفي لإيواء مائة مريض بكلا المبنيين.

وأطمأنت نفسي فتمددت على فراشي، ولكن ما شاهدته طوال اليوم ظلت صورته ماثلة أمامي، وشردت فكري نحو السيدة ياناجي هارا، وعجبت كيف تستطيع أن تعيش بعد اليوم، لقد ذكرني منظرها بأمي، وجعلني أتساءل: ترى هل إستطاع الدكتور نيشيمورا أن يبلغها رسالتي؟

وعدت أفكر في المناظر التي شاهدتها في المدينة بعد ظهر اليوم، إنني لم أر مثل هذا الدمار ولا مشهد أولئك التعساء من قبل.

وتذكرت الموتى، إن التخلص من جثثهم كان عملاً كبيراً، تذكرت هذا بعد "البيكادون" فقد قال الدكتور هينوتشي أنه عندما ذهب يبحث عن أقاربه في اللية الأولى كانت الجثث قد سحبت من الشوارع الرئيسية.

تذكرت الحكايات التي سمعتها في اليوم الأول، ما أضعف الإنسان أمام قوى الدمار، فبعد "البيكا" تضاعف حجم الناس إلى أدنى مستوى من الضعف البدني والنفسى، أولئك الذين كانوا على قدر من القوة البدنية ساروا في إتجاه الضواحي والتلال البعيدة بنفوس منكسرة وقلوب محمطة، وعندما كانوا يسألون من أين جاءوا كانوا يشيرون إلى المدينة ويقولون: "من هناك"، وعندما كانوا يسألون عن وجهتهم كانوا يشيرون إلى الإتجاه المقابل للمدينة ويقولون: "إلى هناك"، كانوا محطمين ومشتتتين يتحركون ويتصرفون بطريقة أليّة.

لقد أدهشت تصرفاتهم كل من رأوهم على هذه الحال، وهم يسيرون في صفوف طويلة مذهولين، في الطريق الضيقة غير المعبدة، ويقصدون وجهة واحدة. ولم يستطع من شاهدوهم الوقوف على حقيقة ما حدث، لم يدركوا أنهم يشهدون شتات الناس الذين كانوا يسيرون دون وعي.

وبالنسبة لأولئك الذين تحطمت نفوسهم مع تحطم المدينة كانت الطرق ووسائل الإنتقال لا أهمية لها، تبع بعضهم خط السكك الحديدية، وسار الآخرون بالغريزة يقتفون آثار الأقدام بحقول الأرز، بينما وجد البعض الآخر أنفسهم قابعين في مجرى الأنهار الجافة، إتخذ كل منهم وجهته الخاصة بحثاً عن مجهول.

ويبدو أنني قد قضيت وقتاً طويلاً مع هذه الأفكار مع مضي الليل، فلم تكن لدينا ساعات ولا تقاويم.

12 أغسطس 1945

إستيقظت عند الفجر ولكنني ظللت مستلقياً في فراشي حتى أشرقت الشمس.

قضيت ليلة مسهدة بسبب الألام التي لحقتني نتيجة السير لمسافات طويلة بالأمس، وشعرت اليوم بالإرهاق والكسل، وأخذت عضلاتي تؤلمني، وكلما حاولت تحريك مفاصلي أتأوه من شدة الألم، ولأول مرة منذ حادث "البيكا" اقتنعت بضرورة بقائي في الفراش. وبينما كنت أرقد في فراشي أغمغم وأحك ذقتني جاءت الأنسة كادوا وعرضت على أن تحلق

ذقنى، فسألته بجفاء: "من أين لك بشفرة الحلاقة؟"، ثم شعرت بالخلج لخشونتي في الحديث معها، ولما كنت أرغب في التخلص من لحيتي، فقد إستطردت بلهجة أكثر لطفاً: "لو تفضلت بخلق ذقنى فسأكون مديناً لك بالشكر".

كانت الأنسة كادو قد حولت مقص قديم إلى موس حلاقة ثم إنهمكت في العمل، وكان على أن أتحمّل ألم الحلاقة بهذا المقص، وشجعتني شعرات ذقنى التي أخذت تتساقط على التذرع بالصبر، ولكن الأنسة كادو عانت الكثير بسبب عدم صلاحية المقص في هذا العمل، ولطول لحيتي، ويبدو أن بقية المرضى الذين كانوا معي في القاعة لم يستريحوا لمتابعة عملية الحلاقة فقد كنت أتأوه من حين الآخر، وأطلب من الأنسة كادو أن تتوقف، بينما هي تطيب خاطري بقولها: "أصبر قليلاً".

حضر الكابتن فوجي هار لزيارتي وهو صديق قديم من بلدتي أوكاياما تخرج في كلية البحرية بآيوا كوني¹³، وترقى حتى أصبح قائداً لسفينة حربية، وقبل أن تغرق سفينته كان يزورنا كلما ألقى مراسيها بقاعدة كوري¹⁴ البحرية، وكان دائماً يخبرني بكل ما يتعلّق بسير الحرب فيما لا يتجاوز نطاق السرية العسكرية، وعندما كنت ألاحقه بالأسئلة حول تلك الموضوعات كان كثيراً ما يلوح بيديه ويضحك، وكنت أكن احتراماً كبيراً للكابتن فوجي هارا وأرى فيه ضابطاً شاباً ذا مستقبل مرموق.

إقترب فوجي هارا من فراشي وقال: "يا دكتور هاتشيا أننى سعيد جداً أن أراك وزجك على قيد الحياة، ترى أى تجربة تلك التي إجتزتموها؟".

فأجابت زوجتي: "أنها مفاجأة سارة أن نراك، كيف إستطعت أن تنجو من "البيكادون" فرد عليها بقوله: "لقد كنت أتلقى تدريباً في آيوا كوني عندما سمعت "الدون" فنظرت إلى الشرق تجاه هيروشيما، ورأيت دخاناً كثيفاً يتصاعد مثل المطر الغزير، وقدرت أن المدينة قد قصفت".

وقيل أن يكمل الكابتن فوجي هارا كلامه قاطعه زوجته قائلة: "لقد كان الخوخ الذي أحضرته لنا من أوكاياما في اليوم السابق على (البيكا) حلو المذاق، لقد أكل كل منا ثمرة واحدة منه، ثم إحتفاظنا بالباقي، ولكننا فقدناه في الحريق ضمن ما فقدنا من أشياء أخرى".

فسألها الكابتن فوجي هارا: "أين كنت عندما حدث الإنفجار؟".

فأجابت: "كان الدكتور يستريح بغرفة المعيشة، وكنت أقف في المطبخ بجوار النافذة الزجاجية وهذا هو ما أصابني". وأشارت زوجتي إلى الجروح التي سببها لها الزجاج المتطاير.

كان الكابتن فوجي هارا قد عرج بيتنا لزيارتنا في طريق عودته من أوكاياما في اليوم السابق على القصف، وأحضر لنا سلة مملوءة بالخوخ الذي تشتهر به محافظة أوكاياما، وقضى الليل عندنا، وغادر البيت في صباح اليوم التالي بسرعة دون أن يغسل وجهه ليتمكن من اللحاق بأول قطار متجه إلى آيوا كوني، تذكرت الخوخ فسأل لعابي بمجرد تذكره.

علق الكابتن فوجي هارا على حديث زوجتي قائلاً: "إن فقد الخوخ شئ بسيط، فيقاًوكما على قيد الحياة في حد ذاته معجزة، فإن إنفجار قنبلة ذرية شئ مهول".

فإنتفضت جالساً في فراشي صائحاً: "قنبلة ذرية! ماذا! أهى تلك القنبلة التي سمعت أنها تستطيع أن تفجر (سايبان) بما لا يزيد عن عشر جرامات من الهيدروجين".

فأمن فوجي هارا على كلامي وقال: "لقد عملت ذلك من مستشفى البحرية في آيوا كوني، أنهم يدرسون إمكانية معالجة بعض ضحايا هيروشيما الذين يعانون من مرض غامض".

ولأن فوجي هارا ليس طبيباً فإنه لم يستطع أن يخبرنا عن كنه هذا المرض ولكنه أكد أن من بين أعراضه نقص في عدد كرات الدم البيضاء، وظننت بيني وبين نفسي أن فوجي هارا قد تلقى معلومات غير صحيحة حول حادث القصف، ولكن عندما قال ذلك حرصت على الإستماع إليه باهتمام، فأخذت أحته على ذكر المزيد من التفاصيل، ولكنى لم أستطيع أن أعرف منه أكثر من ذلك، ولم يحد عن رأيه في أن ضحايا القنبلة الذرية الموجودون بمستشفى آيوا كوني يعانون من نقص في كرات الدم البيضاء. وقبل أن يتركنا فتح حقيبته وأخرج زجاجه من الويسكى وبعض السجائر، وقال لنا بلهجة إعتدال أن هذا شئ بسيط ولكن من الصعب الحصول على مثل هذه الأشياء اليوم.

وبعد أن تركنا الكابتن فوجي هارا، قررت أن أحاول الحصول على مجهر لأتأكد من صحة ما ذكره لى. ولكن الحصول على مجهر كان أمراً آخر، فإن جميع مجاهر المستشفى كانت عديمة الفائدة، فقد تحطمت عدساتها، وكسرت حواملها، وتذكرت أن الدكتور موري سوجي يحتفظ بمجهر داخل خزانة المستشفى، وحين ذهبت لإحضاره وفتحت الحقيبة التي

¹³ آيوا كوني قاعدة بحرية كانت بها قاعدة جوية أيضاً تقع على بحر اليابان على بعد 30 ميلاً إلى الجنوب الغربي من هيروشيما.

¹⁴ كوري قاعدة بحرية كبيرة على بحر اليابان تقع على بعد 25 ميلاً إلى الجنوب الشرقي من هيروشيما.

كان بداخلها وجدته محطاً، كما إكتشفت فيما بعد أن جميع أجهزة كرات الدم قد تحطمت كذلك وأيقنت أنني إذا كنت بحاجة إلى مجهر فإن على أن أحصل عليه من خارج هيروشيما.

أما حالة دكتور ساسادا فكانت تنتقل من سيء إلى أسوأ، وإزداد وجهه تورماً حتى بدا مثل الفطائر ذات السطح اللامع، وقد غطي بمسحوق أبيض، وأخذ الصديد الدموي ينضح من ضمادات يديه وجبهته، وكانت الأنسة سوسو كيدا تعاني نفس الشيء رغم أن يداها لم تكونا متورمتان بدرجة كبيرة، ولكن وجهها كان يشبه قناع المهرج، أما السيد شيوتا الذى أدخل إلى المستشفى خلال الليل فكان يبدو كغريق ظل فى الماء وقتاً طويلاً، فوجهه متضخم، وأطرافه متورمة، وكان يتنفس بصعوبة بالغة ولا يوجد بين هؤلاء من يعانى حروقاً بالغة سوى الأنسة ياما التى إحترق أكثر من نصف جسدها، وبدت كأنها دمية متسخة فوق كومة من القمامة، فحالتها ميئوس منها إلى حد ما، أما حروق الأنسة أوموتو فلم تكن على درجة من الاتساع كحروق الأنسة ياما، ولكنها كانت أعمق فتجاوزت الجلد وأتلفت العضلات.

كان هؤلاء جميعاً أسوأ حالاً من الأنسة ساسا كى ومن زوجتى، وقد أطلقنا على الأنسة ساسا كى إسم "مومتشان" لأن خديها كانا مشريان بالإحمرار مثل الخوخ، وقد أصابها جرح برأسها، ولكنها الآن أخذت فى التحسن. أما زوجتى التى كانت تعاني حروقاً متوسطة الدرجة وتهتك ببعض مناطق الجسم فكانت تخطو نحو الشفاء، وقد أصبحت قبيحة الصورة بدون حواجبها، وكانت ذراعها لا تزال معلقة برفقتها، ولكنها تصر أنها بخير.

أما الدكتور كوياما الذى عمل ككاتب لمدير المستشفى منذ وقع "البيكادون" فكانت رأسه وذراعه لا تزالان ملفوفتان بالضمادات، وأولئك الذين أصيبوا بجروح فى عنبرنا كانت حالتهم أخذت فى التحسن، أما أولئك الذين أصيبوا بحروق فكانت أحوالهم تزداد سوءاً.

ولم يسترح ضميرى لما أصاب الدكتور ساسادا، فإذا لم يحاول حمايتى على نحو ما فعل لنجا مما أصابه، ولن أنسى أنه عالج الكثير من المرضى قبل أن يكتشف أن جراحه بالغة الخطورة، وهأنذا أتمائل للشفاء بينما حالته تزداد سوءاً.

جاء الدكتور ساسا كى من مستشفىنا بأوساكا ليحل محل الدكتور نوريكا، وهو أيضاً من أحسن العاملين بتلك المستشفى، وقد برهن على أنه خير خلف للدكتور نوريكا، ولسنا مدينين لهذين الطبيبين بعنايتهم الفائقة للمرضى فحسب، بل نحمد لهما توفير الإمدادات الطبية، ومدنا بمجموعة من المعاونين الذين حضروا معهم.

وزارتنا فيما بعد السيدة شيما عمتى التى تقيم فى سايجو، وقالت لى ولزوجتى بائيكو: "لماذا تبقين هنا؟، أن لدينا مكاناً لكما فى منزلنا، وعمكما يصر على أن تعودا معى إلى البيت". وكان قد سمع صوت الانفجار فى سايجو على بعد أميال عبر الجبال التى تقع وراء هيروشيما، وقالت أنهم سمعوا بعد ذلك أن هيروشيما قد قصفت، ولم يكتروا للأمر، ولكن عندما أبلغوا أن عليهم تدبير أماكن لإيواء الجرحى الذين ستحملهم العربات إلى المدينة شملتهم جميعاً حالة فرح، وكانت عمتى هذه كالفونوغراف الذى لا يتوقف أبداً، وسألته عن إنها إيزو فتوقفت طويلاً قبل أن تجيب: "أه لقد عاد إلى المنزل سالماً دون أن يصاب بخدش وكان الوقت ليلاً، ولم يمكث طويلاً ليقص علينا كيف عاد وأى طريق سلك، وفى اليوم التالى عاد إلى هيروشيما أنك تعرف السيد واطنابى الذى يعمل بمتجر زوجى وإبنه، حسناً لقد أصابتهما حروق امام محطة هيروشيما، وحالتهم سيئة لدرجة يصعب معها عمل شئ من أجلهما".

ورغم ثرثرتها التى لا تنتهى فقد سعدت لرؤيتها على الأقل حين عرضت على أن تأخذ يائيكو معها، فإذا لم يكن بإستطاعتى الآن أن ألبى دعوتها فقد أصبحت أعرف أين أرسل يائيكو بمجرد أن تسمح حالتها الصحية بالسفر.

وعندما هدأ كل شئ شرد فكري مرة أخرى إلى حديثى مع الكابتن فوجى هارا، أن التفكير فى أن هيروشيما قد قصفت بقنبلة ذرية مسألة جديرة بالإهتمام، وقد أنهيت خبرها إلى كل من رأيتهم.

وقبيل المساء قمت بجولات بين المرضى فى الدور الأرضى، وكانت حالة المرضى المصابين بالحروق تماثل حالة أولئك الذين يرقدون فى الطابق العلوى، أما الذين كانوا يشكون من قبل من فقدان الشهية والغثيان والقئ والإسهال الدموى فقد كانت حالتهم أخذت فى التحسن، بينما ساءت حال إثنين أو ثلاث من المرضى الذين كانوا يشكون من أعراض نزلة معوية، ولم تكن جروحهم البالغة أو إصاباتهم ذات علاقة بتلك الأعراض، وينطبق ذلك على أعراض جديدة بدأت تظهر على الجرحى وغير الجرحى على حد سواء، فقد كان الكثيرون يشكون من قرحة كريمة مؤلمة تنزف فى أفواههم وحناجرهم، وكان الجميع يعانون من حمى، ولكن لم يكن بإستطاعتنا تقدير درجات حرارتهم لعدم وجود ترمومترات لدينا، كانت جراحهم أخذت فى الإلتئام، فيما عدا أولئك الذين أصيبوا بكسور مضاعفة، فقد أخذوا ينزفون، وكان من الضرورى أن تجرى عمليات بتر الذراع أو الرجل لبعض المرضى للحيلولة دون حدوث نزيف دموى لهم.

وألتمنى إمراً عجوز رأيته فى تلك الجولات لأنها أخذت تطلب منا أن ننهي حياتها، لم تكن مصابة بجروح، كما لم تشك الماء، وكان الجميع يعملون على راحتها إحتراماً لسنها، غير أنها كانت تطلب من كل من يقتررب منها أن ينهي شقاءها ففقول بصوت خفيض متواصل: "أرجوكم دعونى أموت، إذا لم يأت بوذا، فأرسلونى إليه، دعوتى أزور بوذا، أرجوكم دعونى أرقد إلى جواره". كان أفراد عائلتها قد قتلوا جميعاً فأصبحت وحيدة فى هذا العالم، ولكن آخرين فى مثل حالتها كانوا صامدين فى مواجهة الظروف.

وفي الممر شاهدت السيد كيتاءو الذي كان يعمل في مكتب العمل مع السيد سيراء، كان فراشه بالطابق العلوى، ولكنه كان يذهب ويجئ بصورة يبدو معها مشغولاً، فعجبت لذلك، غير أنى عملت أنه يشرف على محرقة المستشفى، وبينما كنت أتحدث معه جاء المستر يامازاكي يستعلم عما إذا كانت المحروقة جاهزة للعمل في الليل، فأجاب السيد كيتاءو: "كل شئ جاهز"، ثم إستاندار نحوى وقال: "يا دكتور هاتشيا أرجوك إذا لم يكن لديك مانع أن تحضر لترى كيف نقوم بحرق الجثث، لقد قمت بهذا العمل كثيراً "أننى خبير به".

وضايقتى أسلوب السيد كيتاءو الفاتر، ولكنى لم أعلق على كلامه، وأومات برأسى مشيراً إليه أن يدلنى على الطريق، وكانت المحرقة تقع على بعد ثلاثين متراً خلف سور المستشفى بجوار حمام خارجى ومضخة مياه كان يستعملها موظفى المستشفى، وأحضرت جثة المريضة التى ماتت خلال الليل من المشرحة، وقد إستخدم السيدان كيتاءو ويامازاكي أحد الأبواب كنعش لحمل الجثة، وسجبت الجثة فوق بعض حطام المكاتب وصناديق البضائع وبعض المواد الأخرى التى يمكن إشعالها، وغطيت الجثة بلوح من الزنك، ثم أشعلت النار، وما كادت ألسنة اللهب تتصاعد حتى وجدت نفسى أعقد يدي تحت ذقنى مصلياً بطريقة عفوية من أجل الميت. إن المرء لا يستطيع أن يقبل مواجهة حرق الجثث دون إكتراث، إذا تذكرنا أن الكثيرين قد ماتوا بمعدلات تفوق الحد الطبيعى، غير أنهم لم يلقوا الخدمة الجديرة بالموتى، فلم يكن هناك كاهن يتولى الصلاة على هذه الروح التى رحلت، وضايقتنى هذه الحقيقة كثيراً، وقطع حبل أفكارى صوت صادر من الحمام يسأل السيد كيتاءو: "كم جثة حرقتها اليوم؟" فأجاب: "واحدة فقط". فقلت لكيتاءو وقد عجبت لهذا الأمر: "هل حرق الجثث أصبح أمراً عادياً حتى أن المرء يستطيع أن يستحم بجوار المحرقة ويسأل مثل هذا السؤال؟". فأجابنى السيد كيتاءو بنبرة إعتذار: "نعم أعتقد أننا أصبحنا قساة القلوب".

وكنت على وشك أن أقول أننى لم أكن أتصور أن الناس جميعاً قد أصبحوا قساة إلى ذلك الحد، ولكنى أمسكت عن ذلك، فقد تذكرت أن الذين يموتون بمستشفى المواصلات يتمتعون على الأقل بميزة حرق جثثهم على إنفراد، على عكس أولئك الذين كانوا يموتون فى الأماكن الأخرى.

كانت تربطنى صلة وثيقة بالمريضة التى أحرقت جثتها هذا المساء فقد كانت هيروشيما منطقة عسكرية لسنوات طوال، وكانت هذه المرأة المسكينة أرملة ضابط متقاعد، كان كغيره من الضباط لا يشعر بالسعادة إلا حين يسمع صوت الطلقات النارية، وحين يستعرض الجنود، ويسمع دقات الطبول، وصوت البروجى، وكانت هيروشيما منطقة محببة لأولئك الرجال، وكان يسكن بجوار مستشفانا مجموعة من ضباط الجيش وموظفى الحكومة المتقاعدين، أما تلك المرأة فكانت تتمتع بحب جيرانها واحترامهم، وإعتبرها جنود الفرقة الثانية جدة هيروشيما، وكانت تنفق معاشها الكبير ومدخراتها لمعاونة هذا الجندى أوداك وتركت ملامحها المستديرة غير المميزة إنطباعات محببة عند الجيران وبين عنابر مستشفانا. كانت كثيراً ما تبعث البهجة فى قلوب المرضى الذين يعانون من المرض والوحدة، وكانت بمثابة القائد لجيش صغير من أرامل رجال الجيش إكتسبت شعبية بالغة، حتى معسكرات الإعتقال كانت مفتوحة أمامها، وكثيراً ما قصدتها لزيارة المعتقلين هناك، وكان أكثر الجنود قسوة يصبح أمامها طفلاً وديعاً، وقيل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة تذكرت كل ذلك وأنا أقف بجوارها، أحاول أن أسرى عنها، ولم يكن بإستطاعتها أن ترانى لأن جفونها كانت متورمة وعيونها مغمضة، غير أنها ميزت صوتى قلت لها: "آيتها الجدة أن أصدقاءك بجوارك، كانت هيروشيما خير مكان يمكن أن نعيش فيه لأنك كنت تفكرين فى الناس قبل أن تفكرى فى نفسك، وأن الموت يقتررب. ولكنك يجب أن تتصرفى كجندي شجاع، إنك تموتين ميتة كريمة لأن الجروح التى أصابتك كانت أثناء أذانك للواجب".

ولفظت السيدة العجوز أنفاسها بهدوء، والآن وأنا أنظر إلى وجهها كنت أسال نفسى عما إذا كانت هناك جدة أخرى يمكن أن تحل محلها.

عدت إلى المستشفى وكان من العيب أن أفكر بالنوم فقد كنت مكتئباً وكان الجو هذه الليلة حاراً والهواء ساكناً ساخناً شديد الرطوبة، لأن النسمة التى كانت تهب من البحر فى المساء لم تعرف طريقها إلينا تلك الليلة، ولم يعرف جسدى طوال اليوم حتى هذه اللحظة سوى الرطوبة والعرق، فأحسست بالإشفاق على الرجال الذين عليهم أن يعملو فى هذا الجو الخائق، ولم يذق أى من رفاقى فى القاعة للنوم طعماً، ولذلك كنت أسمع أحاديثهم وسط الظلام فسألتهم: "لماذا كان عدد الناس فى الشوارع محدوداً اليوم؟".

وأجاب أحدهم: "ربما لأن اليوم هو يوم الأحد".

فتعجبت واستطردت قائلاً: "يوم الأحد إننى لم أكن أعتقد ذلك فى غيبة التقويم تتساوى الأيام مع بعضها البعض".

وقال صوت آخر: "ليس يوم الأحد سبباً كافياً لأن يكون الناس على هذه الدرجة من القلة، فقد قال لى البعض أن أولئك الذين جاءوا إلى هيروشيما بعد (البيكا) قد مرضوا ومات بعضهم".

وإرتفع صوت آخر يؤكد ماقاله صاحب الصوت الأول: "أجل لقد سمعت شائعات أن غازاً ساماً قد أطلق على هيروشيما، وأن هذا الغاز يقتل كل من يستنشقه".

واشترك آخرون فى المناقشة فلزمت الصمت، وأخذت أستمع لهم وأفكر فيما يقولون.

كانوا يؤكدون أن غازاً ساماً أو جراثيم مهلكة قد أطلقت على هيروشيما، وحاولت أن أبعد هذه الأفكار عن رأسي، ولكن هذه الإشاعات تدعوا للإزعاج، وربما كان الذي قصفت به المدينة هو قنبلة غاز سام، فإنني أذكر أن هناك من ماتوا في خلال يومين أو ثلاثة بعد أن كانت تبدو عليهم علامات الصحة قبل أن يشكروا من المرض.

وتذكرت الأشخاص الذين ماتوا وهم يمرضون المصابين، وسمعت عن أناس كانوا موجودين خارج منازلهم عندما وقع الحادث وماتوا رغم أنهم لم يصابوا بجروح، بينما ظل أولئك الذين كانوا داخل المنازل وأصيبوا بجروح بالغة على قيد الحياة، فإذا كان ثمة غاز سام قد استخدم ضد المدينة لمات الجميع، إن الذي أدى إلى وفاة هؤلاء الناس لا يمكن أن يكون غازاً ساماً، ولكن من السهل أن ترى كيف تنتشر الإشاعات. وكلما إزداد تفكيرى إزدادت حيرة، وبقيت على هذه الحال حتى غلبنى النعاس.

13 أغسطس 1945

يوم آخر شديد الحرارة، ساطع الشمس.

بعد الإفطار إستعرت دراجة ومضيت بها قاصداً إدارة المحافظة، فكانت رحلتى هذه المرة مختلفة عن تلك التى رافقتى فيها الدكتور هينونى، لأننى كنت أقوى وكانت جراحى لا تؤلمنى كثيراً، جميل أن يشعر المرؤ بالتحسن، وأن يجد نفسه فى غير حاجة إلى معونة أحد. كانت الأسلاك الكهربائية والعقبات التى عاقت الطريق أول أمس لا زالت موجودة، ولكن أكوامها كانت أقل ارتفاعاً من ذى قبل. فحصت فى الطريق عربة ترام محطمة، وإكتشفت بدشة بالغة أن محركها شديد البساطة، ولكن حب الإستطلاع ذابلى عندما وقعت عيناي على بقايا جسد متفحم مكموم فى أحد أركان العربة، فقد جعلنى هذا المشهد أحس بالذعر ولم أستطع أن أتمالك نفسى إلا عندما بعدت كثيراً عن موقع عربة الترام.

ولما كنت قد سمعت أن القنبلة سقطت بالقرب من مدخل هيكل جو كوك فقد إتجهت إلى المكان ودهشت حين وجدت مدخل الهيكل (تورى) لا يزال قائماً، كما أن الميدالية المدلاة من وسطه كانت فى موضعها، أما بقية الأشياء فى المنطقة المحيطة بالمكان فكانت إما محطمة أو مدمرة.

أما جسر إيوى¹⁵ الذى كان مشيداً من الصلب على أحد فروع نهر أوتا فكان معوجاً ومتداعياً، حتى أن سطحه المقوى بالمسح تشقق وسقط فى النهر، وبلغ من تشققه وتحطمه حداً جعل أنقاضه تترك فى قاع النهر حفراً ضخمة، كان منظره على هذا النحو يبعث على الأسى لأن هذا الجسر الجميل كان أحد معالم المدينة.

وفيما واء الجسر على الضفة الشرقية للنهر كان يقع متحف العلوم والصناعة بقبته البرونزية، وهو مبنى كان يرمز إلى الإسم الشاعرى لهيروشيما "ميزونوميياكو" (مدينة الماء) كان من أجمل بنايات هيروشيما، وقد طارت قبته البرونزية، وتشرخت حوائطه المشيدة بالطوب والحجارة، وتداعت دعائمه، وقضت النيران على محتوياته، وتوقفت قليلاً لإستطلاع آثار الدمار التى أصبحت شاهداً على ما حدث للمدينة البائسة وشعبها النعس.

عدت أراجى منتبهاً خط الترام حتى وصلت إلى إدارة المحافظة، وكان الدافع إلى قدومى إلى المحافظة هذا الصباح إستطلاع الأخبار، ولذلك كانت أذناى تصغيان لكل ما يقال بمجرد وصولى إلى المكان.

كان عدد العاملين بالإدارة قد إزداد عما كان عليه أول أمس، وكان بين العاملين الجدد بعض الوجوه المألوفة لى، وبعد أن تبادلنا التحيات طلبت مقابلة الدكتور كيتاجيما، فقادونى على الفور إلى مكتبه، وبعد أن شكرته على إستجابته السريعة لطلبائنا وإمدادنا بالأطباء والمرضات، سألته عن إمكانية حصولنا على المزيد من الإمدادات الطبية، غير أنى رأيتة مكتئباً، فسألته وقد إنتابنى شعور بالخوف من إحتمال أن تكون الأنباء التى سأسمعها منه غير سارة: "هل حدث شئ ما؟". فأجاب الدكتور كيتاجيما: "لاشك أنك علمت أن قنبلة ذرية قد أسقطت على هيروشيما، لقد علمت أن أحداً لن يستطيع الإقامة فى المدينة خلال الخمسة وسبعين عاماً القادمة". فأجبتة مبرراً تشاؤمه: "لقد ماتت إحدى مرضاتنا فجأة بالأمس".

وبعد أن إنتهى حديثى معه ضابقتى أن أتأكد من صحة ما إعتقدت أنه كان إشاعة سخيفة، لقد كنت بالأمس وبعد حديثى مع الكابتن فوجى هارا عاقداً العزم على أن أحتفظ بهدوئى مهما كانت الأخبار التى أسمعها، والآن وجدتنى فجأة أصل إلى إستنتاجات دون تتوافر لدى معلومات كافية حولها.

وحاولت أن أغير مجرى الحديث، فسألته الدكتور كيتاجيما: "وماذا عن أخبار الحرب فى منشوريا؟" فأجاب: "إن الأمور لا تسير على مايرام والعدو أصبح الآن فى كوريا".

وتركت إدارة المحافظة مكتئباً وحيداً ممثلئاً بالشكوك، وعدت إلى المستشفى لأخفى ضيقى وبأسى.

ترى ماذا أصنع مع المرضى؟ وماذا سيكون الأمر بالنسبة للعاملين معى وعائلاتهم؟! هل سأخبرهم بحقيقة الأمر حتى يهربوا ولا أصبح مثل الكاهل بالمسئولية؟ وبعد أن فكرت ملياً وصلت إلى قناعة بأن فرارهم لن يجدى نفعاً.

¹⁵ جسر إيوى يمر فوق نهر أوتا بمنطقة وسط المدينة وكان فى مركز القصف تماماً ويعتقد أن القنبلة قد إنفجرت على بعد 50 متراً إلى الجنوب الشرقى من موقع الجسر.

وقلت لنفسى: "فكر فى الأيام التى مرت منذ وقع (البيكا)، لقد مضى أكثر من أسبوع ولم يمت أحد فيما عدا تلك الممرضة، وجروحى تلتئم، وأشعر بالقوة تسرى فى بدنى يوماً بعد يوم، فمن المحال أن نصدق أن هيروشيما لا يمكن أن يسكنها أحد لمدة 75 عاماً! مثل هذه المعلومات لا يمكن أن تكون صحيحة، لعلها دعاية قصد من ورائها العدو أن يفت فى عضد أناس أصبحوا الآن عزل من السلاح. إن تصديق هذا الأمر من التفاهة بمكان فهأنذا أتحسن يوماً بعد يوم، على الرغم من وجودى بالقرب من مركز البيكا، أثرثر وأتكلم دون أن يبدو على شئ غير طبيعى". وإستعدت تدريجاً رباطة جأشى.

لا يوجد شئ فى الدنيا أقل إستقراراً من فكر الإنسان وخاصة عندما يكون الذهن مكدوداً، وبغض النظر عن الإتجاهات التى تأخذنا إليها أفكارنا، فإن الذهن يظل نشيطاً متوقداً يفكر ببطء أحياناً وبسرعة البرق أحياناً أخرى، وكانت القوة والضعف تختلطان فى ذهنى وكذلك التماسك والتمزق، وكنت أقول لنفسى: "إذا كان يجب أن تموت فعليك أن تموت ميتة الرجال". وكنت أتفحص جسدى فلا أجد أى عضو فيه تبدو عليه علامات الموت، فيقول لى الجانب الصلب فى نفسى: "حتى الآن أنت بخير، ولازلت حياً، دعك من هذا كله وإسترح قليلاً، ودع ذهنك يرتاح". إذا تغلبت القوة الكامنة فى على عوامل الضعف تمتعت بالهدوء حتى يرفع الضعف رأسه من جديد.

كان هناك شخصاً ملتجئاً يقف بالقرب من باب القاعة، ويجول ببصره داخلها، وإستقرت عيناه أخيراً على، فاقترب من فراشى، وأخذ يحك هذا الغريب لحيته ويحملق بعينيته ثم يغمضهما، وقد بدا الشحوب على وجهه، كان هذا الرجل الغريب هو السيد كاجى تانى رئيس مكتب صغير للبريد بإقليم ياماجاتا، كنت قد زرته منذ سنوات عندما كان مريضاً، وتوليت علاجه، ولم أستطع أن أفهم سبب وجوده سوى أن يكون قد جاء للإطمئنان على صحتى وحين أيقنت أن مثل هذا الرجل صاحب القلب الطيب قد جاء من ذلك المكان البعيد تاركاً بيته وأولاده ليرانى أحس قلبى بالإرتياح.

كان الحديث صعباً مع السيد كاجى تانى، وكلما حاول أن يعبر عن إستعداده للمساعدة كان يبدو عليه الإرتباك، وأخيراً وضع فى يدي صندوقاً للطعام (بنثو) وأصر أن أكله عن آخره، كان هذا البنثو يحتوى على وجبة شهية عبارة عن كرات من الأرز المطبوخ بكل كرة منها إحدى ثمار البرقوق الحمراء.

زارنى الدكتور هورى اليوم وهو من إقليم سان إن الذى يقع إلى الشمال الغربى من هيروشيما، ودهش كغيره حين رأى حجم الدمار الذى لحق بالمدينة، ولم يكن يتوقع حدوث مثل ذلك.

وبعد إنصراف الدكتور هورى نزلت إلى الطابق السفلى فوجدت المرضى يتناقشون فى الإشاعات التى سمعتها بإدارة المحافظة، ولكن لم يبد عليهم التأثير بتلك الإشاعات.

فهناك من يقول منهم: "ما هذا الهراء! كيف يقال إن هيروشيما لن تصلح للسكنى خلال الـ 75 سنة القادمة؟".

وكانت حالة الدكتور تشودو طبيب الأسنان أسوأ من ذى قبل، حتى أنه لم يستطع التعرف على، ولم تكن عبارات المواساة التى قلتها له ذات قيمة. وعلمت أن السيدة يوشيدا التى كانت تردد بالطابق الثالث من مبنى المصلحة تنتقل حالتها من سئ إلى أسوأ، فذهبت إلى غرفتها متوكناً على عصا حيث كان الوهن لايزال يدب فى أوصالى، وقدمنى لها السيد يوشيو رئيس الشؤون العامة، وعلمت أنها أصيب بمنزلها الذى يقع بكوماتشى، وهى ضاحية صغيرة إلى الجنوب الشرقى من هيروشيما، وكانت تعانى جراح بالغة نتيجة الزجاج المتطاير الذى أصابها فى ذراعيها، ولم يكن كل جرح من جروحها يزيد طوله على 5 سم، ولكنها أخذت بالالتئام، غير أنها كانت مكفورة الوجه، وقد إكتست بشرتها ببقع زرقاء، وتبدو شديدة الإعياء، وبالإضافة إلى ذلك كان نبضها ضعيفاً، وتشكو إلتهاها بالحلق، وإن كانت لا تبدو عليها أعراض الإسهال الدموى، ولم أستطيع أن أجد شيئاً غير عادى فى حلقها وفمها سوى ورم بسيط. كنت فى حيرة لا أستطيع تشخيص حالتها، حين سألتى السيد يوشيو عن رأى حاولت التملص من الموقف، وقلت له: "ليس ثمة ما يدعو إلى الخوف، وحالتها ليست سيئة، ولكن عليك مراقبتها!" كان ما قتله أقرب إلى كلام المنجم منه إلى كلام الطبيب الذى يجب أن يعرف تماماً ما يفعله، ولكن.. ترى هل كان بإستطاعتى أن أقول أكثر من ذلك؟

وعندما غادرت الغرفة تبينت أن السيد يوشيو كان يبدو أكثر مرضاً من السيدة يوشيدا، وسألت نفسى: " ترى من سيموت منهما قبل الآخر؟ لقد بدت على الرجل أعراض الشيوخوة خلال العشرة أيام الماضية.

وبالقرب من مدخل مبنى المصلحة قابلت صديقاً قديماً هو السيد كوباتا الذى كان يبحث عن أخيه منذ وقع "البيكا" على الرغم من كبر سنه، وكان يحتفظ برصيد مدهش من الحبوبية وتحدثنا معاً لحظة فزوى لى بعض ما شاهدته فى المدينة، ولكن إحدى تلك الروايات ظلت ثابتة فى ذاكراتى، فقد قال لى: "رأيت أربعاً من تلاميذ المدارس الإعدائية بالقرب من مركز التفجير فى تنجم - ماتشى، وكانت حروفهم بالغة، وبدا عليهم المرض والتعاسة، كانوا يجلسون فى دائرة صغيرة على جانب الطريق، فسألت بعضهم عن منزله، فأجاب بأن منزله كان فى ذلك الموقع، وطلب منى أقول لأمه أو أخته إذا رأيتها ألا يبدلا جهداً فى البحث عنه أو عن أصدقائه لأنهم سيموتون، وأوماً الباقون برأسهم موافقين على كلامه، وكانت حالة هؤلاء الأولاد محزنة للغاية، ولم يكن بإستطاعة أحد أن يصنع لهم شيئاً، وهكذا تركوا بلا مأوى تحت الشمس الحارقة يرقدون فوق التراب والحصى، فاغرورقت عيناى بالدموع، وسألتى أحدهم ان أدبرلهم شيئاً يستظلون به، فإستطعت أن أحضرلهم بعض الحصى، وحصلت من بعض الجنود على قطع من ألواح الصاج، وصنعت لهم مأوى، وسألت أحدهم عن مكان منزله ولكنه كان ضعيفاً حتى أنه لم يستطع ان ينطق سوى بكلمة "يا" ولذلك لم أتاكد إذا كان

يقصد "يانو" أو "ياجي" أو "ياجا"، وكانت معي بعض ثمار الطماطم فقطعتها وعصرتها في أفواهم، فكانوا يبتلعون العصير بصعوبة بالغة، ولكنهم جميعاً كانوا يرددون عبارة "لذيذ.. لذيذ"، ورجاني أحضر لهم ماء ولما لم يكن لدى وعاء، وعدتهم بأن أقوم بإحضار الماء في قيعتي، وإستطعت أن أسقيهم، وتركتهم بعد أن وعدتهم بالبحث عن مركز إسعاف يتولى علاجهم، وكانت معي بعض أفراس من الجنتان¹⁶ فأعطيتها لهم، غير أنني لم أجد مركز إسعاف، وبذلت أقصى جهدي في البحث عن أخي طوال الليل، غير أن صورة أولئك الأولاد التعساء لم تفارق ذهني، وعندما غارت بيتي صباح اليوم التالي أخذت معي بعض الأشياء التي قد يكون أولئك الأولاد في حاجة إليها، وبحثت عنهم حتى وجدتهم، وجدتهم جميعاً ولكن بعد أن فارقوا الحياة وقد تكومت جثثهم في نفس الدائرة التي تركتهم فيها في الليلة السابقة".

وكانت لدى السيد كوباتا الكثير من الحكايات المشابهة.

وعندما عدت إلى فراشي وجدت المدير العام للمنطقة قد حضر لزيارتي للمرة الثانية منذ أصبت، وأبدى إرتياحه لتحسن صحتي، وحاول أن يبدو مبتهجا متفانلا عندما أثرنا موضوع الحرب، ولكنه قبل أن يتركني إعترف أن فرصة اليابان الوحيدة في كسب الحرب لن تتحقق إلا بالآلاف من الطائرات والقنابل الذرية، ولم يكن لدى ما أعلق به على كلامه، وسألته عما إذا كان بإستطاعته أن يدبر لنا إمدادات طبية من الجيش الغربي، فوعدني بأن يبذل مافي وسعه بهذا الصدد. ودارت معظم أحاديث المساء حول الأفكار التي شاعت والتي تذهب إلى أن هيروشيما لن تصلح للسكن خلال 75 عاماً، وكانت هذه الإشاعة قد بدأت تحظى بالتاكيد بالنظر إلى حالة الأشخاص الذين لم تبتد عليهم أي إصابات ومع ذلك أخذوا يعانون سكرات الموت حين ظهرت عليهم أعراض النزيف الشرجي ونزيف الأنف والبصاق الدموي والقئ الدموي، وظهرت البثور على شكل طفح جلدي فوق أجسادهم، وإنفقت غالبية القوم على أن سبب تلك الأعراض يرجع إلى أن ثمة غاز سام أطلق على المدينة ولازال ينبعث من بين حطامها، وعدلت عن إستنتاجي الذي كنت قد توصلت إليه من قبل، حيث كنت أظن أن حالات الوفاة هذه نجمت عن قنبلة جراثيم سببت الدوسنطاريا، لأن عدد الذين كانوا يشكون من الإسهال والبراز الدموي كان يتناقص، كما عدلت عن نظريتي السابقة التي قادتني إلى الإعتقاد أن تلك الأعراض ترجع إلى حدوث تغير مفاجئ في الضغط الجوي نتج عن الإنفجار الهائل الذي حدث.

كان الهواء ساخناً رطباً، وكان الحصر الذي أنام عليه ساخناً كذلك، فأخذت أتصيب عرقاً، وألمتني رأسي وأحسست أن أذناي ساختان، ربما كان بسبب إجهاد ذهني بالتفكير.

وتنهدت وقلت "ياله من جو حاراً! فاجاب الدكتور ساسادا وهو يلتفت نحوي: "انه حار أليس كذلك"، أما السيد شيوتا الذي كان يرقد بالقرب مني فقد أكد وجهة نظرنا وكان قد إستطاع أن يحضر ستارة من الورق نصبها حول فراشه لتقيه من حرارة الشمس فسألته: "أتشعر بالتحسن الآن؟" فأجاب شاكرًا: "إنني أحسن من ذي قبل"، فقلت: "ماذا تصنع خلف هذه الستارة الممزقة؟" فأجابني ضاحكًا: "يا دكتور أيهمك أمرى إلى هذا الحد؟" وسمعت صوت قهقهته وراء الستار، كانت زوجة السيد شيوتا تضحك بجانبه، كما سمعت صوت ضحكات في المطبخ عند نهاية الممر، وذهبت لأستطلع جلية الأمر، فوجدت السيدة سانكي العجوز والسيد ميزوجوتشي يتحدثان معاً، فبادلتها أطراف الحديث حتى ساعة متأخرة من الليل.

14 اغسطس 1945

يوم آخر حار!

إنطلقت صفارات الإنذار في الصباح الباكر، وأخذ رجل من العاملين بالمصلحة ينطلق بين عنابر المرضى يعلن عن وقوع غارة جوية، خشية ألا يكون بعضنا قد سمع صفارات الإنذار، ولم يحاول أحدنا أن يترك فراشه، فإستلقى الجميع ساكنين ينظرون عبر النوافذ، ولا بد أن تكون قد دارت بخلد الجميع نفس الأفكار، هل من الممكن أن يحدث ذلك مرة أخرى بعد كل ما خلفته تلك الغارة المشؤمة من آثار؟

وماهي إلا لحظة حتى سمعنا أزيز الطائرات المزعج، وعندما أخذ يتعالى صوتها توقعنا أنها قادمة من الجنوب صوب خليج هيروشيما، وحاولت أن أرقبها من فتحة النافذة، ولكن شخصاً بخارج المبنى رآني وصاح بي أن أنزل إلى الدور الأرضي. وكان الصوت يملأنا إحساساً بالهزيمة.

وحاول المرضى القادرون على الحركة أن يلتمسوا ملجأ من الغارة، أما العاجزون عن الحركة فقد ظلوا في فراشهم، وأحسست بالعجز عن صنع شئ لهم، ولكن فكرة مرت بخاطري، وقد رأيت موظفي مصلحة المواصلات وعائلاتهم يرقدون في الطابق الأرضي بمبنى المصلحة، فأسرت إلى البدروم حيث كان جمع كبير من المرضى يحتشد هناك، ولم يكن بينهم أحد من العاملين بالمستشفى، وأيقنت أن بقاى بين المرضى الذين يرقدون بلا حيلة في العنابر يعطى مثلاً شيئاً للمستشفى فإذا كان الموت سيزورنا مرة أخرى، فان مكاني يجب أن يكون في العنابر بين المرضى. فتركت البدروم وأخذت أحت كل من أقابله أن يسرع بالمعونة في حمل المرضى إلى البدروم، وحملت معهم كل من إستطعنا نقلهم، وإتخذت من وسط المستشفى مقراً لى، أما أولئك الذين ظلوا في أماكنهم فكانوا ساكنين يحملقون عبر النوافذ وينصتون خائفين إلى أزيز الطائرات التي تعبر فوق المدينة.

¹⁶ دواء شعبي ياباني له مذاق النعناع يعتقد في قدرته على تطهير المعدة من الأمراض.

وأخذت أرجلى ترتعش، ففكرت بطريقة لا شعورية. أن أحتمي خلف إحدى الدعامات القوية، ثم إهتزت الأرض فجأة، وسمعنا صوت إنفجار القنابل المخيف، وصوت طلقات المدفعية المضادة للطائرات وأحسنا بالراحة حين تبينا أن صوت القنابل وطلقات المدافع المضادة للطائرات كان يأتي من ناحية الغرب، أصبح واضحاً ان هدف الغارة الجوية كان المطار الحربى بقاعدة ايوا كوني البحرية.

وأخذ الصوت يتلاشى حتى إختفى نهائياً، وإستعدنا السكنية، ولم يكن بيننا من لم يشعر بالإمتنان لأن حياته أنقذت من جديد، ورقدت فى فراشى قليلاً والأفكار تتزاحم فى رأسى، كم يصعب على الإنسان الذى نجا من الموت بمعجزة ذات مرة أن يواجه الموت مرة أخرى. ففى يوم " البيكا " لم أكن أفكر فى الحياة، ولكننى اليوم كنت أتمنى أن اظل على قيد الحياة، وكان الموت بالنسبة لى شيئاً رهيباً.

زارنى السيد ساساكي جارنا الذى يقع منزله فى مواجهة منزلى على الجانب الآخر من الشارع وأحضر معه هدية من (الأيو)17، ويمكن ان تتخيل مدى سرورى بهذه الهدية الثمينة، فإن طعم هذه الأسماك الصغيرة يبعث على الإرتياح. كان السيد ساساكي يعيش فى بيت أحد أصدقائه فى ياماغوتشى حيث تقع الإدارة الصحية فى المحافظة عندما إنفجرت القنبلة، وكان محظوظاً حين إستطاع الهرب من المنزل قبل أن ينهار سقفه، وإتجه بدراجته عبر الشوارع المظلمة فى منتصف الطريق إلى المدينة عندما وجد النيران تطوق المنطقة كلها، وما كاد يصل إلى هاكوشيما حيث تقع المستشفى بالقرب من المنطقة التى كنا نقيم فيها وجد من المستحيل أن يواصل التقدم وسط النيران فلجأ كغيره من جيراننا إلى تلال أوشييتا، وقد إنهار منزله ساعة خروجى وزوجتى إلى الشارع فارين من منزلنا، وقد لقيت والدة السيد ساساكي مصرعها تحت أنقاض المنزل، ولكن بقية أفراد الأسرة إستطاعوا الهرب رغم الإصابات التى لحقت بهم، وإذا لم أكن قد أصبت ربما كان بإستطاعتى أن أنفذ والداته لأن البيت إنهار تحت أقدامى. وقبل أن ينصرف السيد ساساكي أخبرنى ان بياناً هاماً سيذاع بالراديو غداً، وأن جميع المواطنين قد طلب منهم الإستماع إلى ذلك البيان، فأيقنا ان هذا البيان لابد أن يكون على درجة كبيرة من الخطورة.

أعد العاملون بالمستشفى مطعماً بالطابق الثاى بعد أن حولوا مخزن الصيدلة إلى حجرة لتناول الطعام، وفى أحد أركان الحجرة كانت لا تزال هناك كمية كبيرة من بيكربونات الصوديوم المحترقة كانت تضمها أكياس زنة كل منها خمسون كيلو جراماً، وفى وسط الحجرة أعد مكان للطهى، وكانت الوجبات تقدم فوق بقايا المقاعد والمكاتب والصاديق التى تناثرت وسط الحجرة، وكان المرضى القادرون على الحركة يتناولون وجباتهم بإنتظام فى أطباق تم تجميعها من خرائب البيوت، أما المرضى الذين لم يكن بإستطاعتهم الإنتقال إلى المطعم فقد كانت تنقل إليهم الوجبات فى فراشهم فوق الصوانى المحترقة.

تناولت طعام الغذاء ظهر اليوم مع زوجتى والأنسة كادو بمطعم المستشفى، ودار حديثنا حول (الأيو) اللذيذ الذى أحضرت لنا السيد ساساكي صباح اليوم، أما المرضى الذين لم يستطيعوا مغادرة فراشهم فكانوا يخدمون بطريقة خاصة فى مواقعهم، وكان من عادتى أن أستريح قليلاً بعد تناول الغذاء، ثم أقوم بجولات لتفقد أحوال المرضى، ولم تكن جولاتى هذه تشبه الجولات التى يقوم بها الأطباء فى المستشفيات الجامعية، حيث يحيط بهم المساعدون والمرمضات، وتتبعهم العربة الصغيرة التى تحمل الأدوية والمستلزمات الطبية، فقد كنت أقوم بهذه الجولات وحيداً، مرتدياً بنظوننا قديماً وقميصاً، لا تبدو على هينتى سوى مظهر الطبيب المحترف، ولم يكن ملبسى يختلف عن ملابس الآخرين بالمستشفى، فقد كنا جميعاً نرتدى ما تقدمه لنا إدارة الغوث بالمدينة، ولم يكن ثمة داع للشكوى من تباين نوعية الملابس التى تقدم لنا. ولم تكن جولاتى هذه ذات قيمة طبية، فلم يكن بإستطاعتى أن اقدم للمرضى سوى الإبتسامات وعبارات المواساة للبعض، وأمزح أحياناً مع البعض الآخر.

إعتدت أن أزور السيدة يوشيدا فى بداية جولاتى، وعندما أحنيت رأسى محبياً حين كنت أقيس نبضها لم ترد تحيتى بإحناء رأسها كما جرت العادة، فلم يكن بإستطاعتها أن تفعل ذلك، وكان لهذا دلالة سيئة، فقد تدهورت حالتها هذا الصباح، وأصبح وجهها يجمع ما بين اللون الأزرق واللون الرمادى.

زرت مرضى الطابق الأرضى حيث كان يرقد نحو خمسين أو ستين من موظفى مصلحة المواصلات وعائلاتهم، ولما كنت أعرفهم جميعاً معرفة جيدة فقد كنت أحس بينهم أننى بين أفراد عائلتى، وقد أعد الحصر الذى يرقدون عليه لبيتسع لشخصين معاً أو أربعة أو ستة أشخاص ولحسن الحظ كانت جروح معظمهم طفيفة، ولذلك عاونونا فى ترميض أولئك الذين كانت حالتهم خطيرة، أما الفتاة الجميلة التى تحدثت عنها من قبل، فكانت ترقد فوق حصر منفصل عن الآخرين، ورغم أن حالتها كانت خطيرة فقد إبتسمت حين رأتنى مقبلاً نحوها وكانت شجاعة متفائلة على عكس غيرها من المرضى الذين كانوا أحسن حالاً، وحروقها لم تنجم عن البيكا، ولكنها إحتترقت حين حاولت إنقاذ أفراد أسرتها الذين حاصرتهم النيران داخل المنزل، وكانت لا تزال ترقد فى ضمادات ملطخة بالدماء والصديد، وقد تلطخت ساقها وفخيتها بالبول والبراز، وقبل أن أغادر المكان أوصيت شخصاً بالعناية بها وتوفير النظافة والراحة لها بقدر الإمكان.

وبعد ذلك فكرت فى إيجاد وسيلة لتغيير ضمادات مرضى الحروق الذين لم يكن بإستطاعتهم العناية بأنفسهم، وكان هذا العمل المؤلم الشاق يستغرق ساعة كاملة لتغيير ضمادات كل مريض، وقد دفعنا قلة الممرضات فى الأيام الأولى التى

17 الايو نوع من السمك المرقت الصغير يعيش فى المياه العذبة ويكثر وجوده فى ذلك الوقت من العام فى المجارى المائية التى تنتشر بالجبال.

أعقبت القصف إلى وضع أنية كبيرة ممتلئة بالمحلول الخاص لتطهير الجروح بالقرب من مدخل المستشفى، وثبتنا فوقها لوحات شرحنا فيها للمرضى كيفية استخدام هذا المحلول في تطهير الحروق، وكيفية تغيير الضمادات، وكنا قد طبقنا هذا النظام في اليوم التالي للقصف، فكان الناس يقفون في صفوف طويلة طوال النهار أمام أنية المحلول المطهر ينتظرون دورهم لينالوا نصيباً منه وإستطعنا تجهيز 180 لتراً من هذا المحلول يومياً، ولذلك أصبح المرضى وزوارهم على درجة من المهارة في تغيير الضمادات كل يوم، لأننا نبهنا عليهم أنه إذا لم يتم تغيير الضمادات كل يوم فإن إنتزاعها يصبح صعباً مؤلماً ويترتب عليه النزيف. واليوم كان هناك جمع كبير من الناس يقفون أمام أنية المحلول، بينما تتعالى صرخات البعض حين يلامس المحلول جروحهم، أما المرضى الذين كانت حروقهم بالغة فقد تولى أمرهم جهاز العاملين بالمستشفى.

وبعد مغادرتي مبنى الملحق إتجهت إلى المستشفى، وكانت المرأة العجوز لا زالت تجلس في الممرترقب الطريق تنتظر حضور شخص ما، وحين رأنتي سألت بصوت ينضح بنبرات الحزن: "يا دكتور لم يحضر أحد ليراني فمتى أستطيع أن أغير المستشفى؟". فقلت لها بنبرة رقيقة: "أيتها السيدة العجوز تدرعي بالصبر لا يجب أن نياس من الحياة حين نصاب بالمرض".

كان السير في الممرات أسهل اليوم من ذي قبل لأن عدد المرضى أخذ يتناقص، ولكن الكثيرين كانوا لا زالوا يرددون في دورات المياه أو تحت السلم، ولذلك كان علينا أن نقوم ببعض الترتيبات التي تيسر نقل مثل هؤلاء المرضى إلى الطابق الثاني.

وبعد أن أنهيت جولاتي غادرات المستشفى للبحث عن قصرية لمحتها بين حطام أحد المنازل أثناء تجولي، وبينما كنت أبحث عنها وجدت كمية من الأطباق الصينية ولوازم المائدة في مطبخ أحد المنازل المحترقة، كما عثرت على سلطانيتان للأرز، وساطور بدون مقبض، فحملت كل ذلك إلى المستشفى، وأهديته إلى السيدة سائكي قائلاً: "أيتها الجدة، لقد عثرت على كنز منذ قليل، هذه كمية من الصيني وجدتها بين حطام منزل، فلماذا لا تكلفي أحد الأشخاص بالبحث عن مثل هذه الأشياء؟ لوفعلت ذلك لتوفرت لديك أدوات كثيرة للمطبخ ولحجرة الطعام".

وخرجت مرة أخرى بحثاً عن المزيد من الأطباق، ونسيت كل شيء عن القصرية، وبينما كنت أحفر وسط الرماد، إكتشفت وجود الكثير من قطع الصيني الذي كان في يوم من الأيام فازات ثمينة، كما عثرت على أكواب لتقديم الشاي في حفلات الشاي اليابانية التقليدية، وكثير من الأشياء الأخرى، ولكنها جميعاً كانت محطمة لا يمكن إصلاحها.

وحين أحسست بالتعب عدلت عن مواصلة البحث عن الكنوز التي نحتاج إليها، وأقنعت نفسي أن مثل تلك الكنوز لا يمكن العثور عليها بالبحث، وإنما يعثر عليها بالصدفة.

كان رفاقي في القاعة مشغولون بمناقشة ما ذكره السيد ساساكي عن ذلك البيان الهام الذي سيداع في الغد، ويحاول كل منهم أن يخمن فحوى ذلك البيان، ورفضت الاشتراك في تلك المناقشات، لأنني أحسست أن هناك الكثير مما يجدر بنا الإهتمام به، وأنه لا مجال للتكهن بما سيحدث في المستقبل، وبالإضافة إلى ذلك لم يكن لدينا راديو، فكنت أعد ذلك خيراً، فنحن نعيش بدون ما يسمى بمنافع الحضارة، وقد جعلني هذا أشعر بشيء من الحرية بصورة قد لا يحس بها الآخرين الذين يمتنعون باستخدام التليفونات وأجهزة الراديو ويحصلون على الصحف اليومية، ففقدنا لكل شيء خلال الحريق، وتجربتنا من كل هذه الأدوات، ليس شراً مطلقاً، فقد أحسست بالإهم لم أكن أشعر به منذ زمن بعيد.

وقيل المساء رأيت السيد ميزوجوتشي يدخل غرفة الطعام حاملاً شمعة موقدة، فتبعته ووجدت السيدة سائكي هناك، وإستمتعنا في تلك الغرفة التي كانت تتراقص فيها الظلال مختلطة بالنور المنبعث من تلك الشمعة بالراحة وشعور الصداقة الذي يفقده المرء في العنبر الكبير المتسع المفتوح، وجرنا الحديث كالعادة إلى (البيكا)، ولما كان السيد ميزوجوتشي يهوى الكلام فقد أخذنا نستمع إليه إذ يقول: "أيتها الجدة غيرت الريح إتجاهها عندما كنت في حديقة المصلحة، وأخذت كرات النار تتجه نحوى فهربت من الخوف نحو البوابة الخلفية للحديقة، وكان معي بعض الفتيات، وإستطعنا بصعوبة أن نصل إلى ضفة نهر أوتا. لم أرفى حياتي مثل ذلك الحشد من الناس، كان من الصعب على المرء أن يتحرك بسهولة بينهم، كان كل منهم تقريباً يعانى حروقاً بالغة، ويبدو منظرهم مزعجاً، وأحسست بالشفقة على امرأة كانت عارية تماماً". ثم إنتفت نحوى وقال: "لقد كنت أيضاً يا دكتور هاتشيا عارياً إنك تستطيع التعاطف مع هؤلاء الناس، وإعتقدت أن هؤلاء الناس قد فقدوا ملابسهم أثناء محاولاتهم الخروج من تحت أنقاض المنازل فتمزقت تلك الملابس أثناء تلك المحاولات". وبينما كان يتحدث كانت السيدة سائكي تحملق بعينها وتومئ برأسها بين الحين والآخر وتندو عنها كلمات تعبر عن التعجب. وسألني السيد ميزوجوتشي: "أين كنت يا دكتور في ذلك الوقت؟". وكررت السيدة سائكي نفس السؤال، فأجبتهم: "كنت بالمنزل، وأعتقد أنني كنت مرتدياً ملابس الداخلية، ولكن عندما هربت من البيت لم يكن على جسدي شيء حتى سروالي كان قد إختفى كنت قد عدت من نوبة عمل في مركز الوقاية من الغارات الجوية إنتهت في الرابعة صباحاً، وبعدما تركت العمل ذهبت إلى منزلي لأنال قسطاً من الراحة، ولأمر ما لم أستطع النوم، فتمددت شارد الذهن في غرفة المعيشة، وأذكر أنني سمعت صوت صفارات الإنذار يتردد ذلك الصباح، كنت أتأهب لإرتداء ملابس الوقاية من الغارات الجوية عندما إنتقلت صفارات الإنذار من جديد تعلن إنتهاء الغارة".

وقيل أن أكمل حديثي قاطعني السيد ميزوجوتشي بقوله: "أيتها الجدة، أن ثمة خبرات خاصة يمر بها الإنسان بعد القصف تتصل بموضوع الملابس، لاحظي ذراع الأنسة أوموتو، لقد كانت ترتدى ملابس بيضاء بأكامم بيضاء وكان على أكمامها بعض النقوش السوداء ولذلك احترقت ذراعاها، فإذا كانت ترتدى ملابس بيضاء بأكامم بيضاء ربما نجت من الحريق، أعتقد يا دكتور أن الملابس الملونة ضارة، أليس كذلك لقد قيل لي أن الملابس الملونة تلتقط النار بسرعة".

فعقبت على كلامه قائلاً: "يا سيد ميزوجوتشي، هل سمعت ما قاله الدكتور هينوي؟ لقد ذكر أنه شاهد فور حدوث البيكا جندياً جرى وقد تحولت ملابسه إلى أسمال، كما أن يدي الدكتور ساسادا قد احترقتا بشكل بالغ ولازال يذكر منظر النار حين اشتعلت فيها ولا يتذكر شيئاً آخر، ولعل نقطة الضعف تتصل بحالة جروحه التي تبدو بالغة السوء". فتنهد السيد ميزوجوتشي وقال: "ربما كان الأمر كذلك".

وغطت السيدة سائيكى وجهها ببديها وأخذت تتمتم: "بالفضاعة.. بالفضاعة!" وصبت بعض الشاي لنا، وجلسنا قليلاً ندخن، وما هي لحظة حتى إستأنف السيد ميزوجوتشي روايته وهو مشهور بيننا بالقدرة على قص الحكايات:

"ثم أيتها الجدة أخذت النيران تزداد في اتجاه النهر، وما هي إلا لحظات معدودة حتى كانت أسنة اللهب تتجه نحونا، ولم يكن لدينا وسيلة تمكننا من عبور النهر إلى الضفة الأخرى، ولذلك نزلنا إلى النهر حتى نبهتنا تلك الفتاة -التي كانت تعمل في المصلحة والتي تنتمي إلى قرية سينو- إلى أنه من الممكن أن نعبور النهر سباحة وقفزت في النهر، وأخذنا نسبح خلفها، ولم يكن أمامنا فرصة للشعور بالتعب لأن قطع الأخشاب المشتعلة المتطايرة كانت تقذفها الريح نحونا، وأدت إلى اشتعال النار في المنازل الواقعة على الضفة الأخرى للنهر، فأصبحنا محصورين بين سياجين من النيران على كلتا الضفتين. ولحسن الحظ كانت المياه ضحلة بالقرب من الضفة الأخرى من النهر، ومن ثم إستطعنا أن نرقد تحت الماء وأن نغطي رءوسنا بالماء من حين لآخر لنقى أنفسنا الحرارة الشديدة. حقيقة أيتها الجدة لم أشعر بالخوف يوماً مثلما شعرت في ذلك الحين".

وكانت السيدة سائيكى العجوز تومئ برأسها بين الفنية والفنية مرددة عبارات الدهشة والتعجب، بينما لزمت الصمت وظللت أصغى إلى حديثه.

"حاول المئات من الناس أن يجدوا ملجأ في حدائق أسانو سنتاي العامة وتحقق لهم ذلك لفترة قصيرة، ولكن النار دفعت بهم تدريجياً إلى الإقتراب من النهر شيئاً فشيئاً حتى تجمعوا عند ضفة، وظلوا ينظرون إلى النهر، وكان هناك ضابط يقف نصف عار وسط النهر وقد إختفى نصف جسده تحت الماء يحمل في يده سيفاً ويصرخ في الناس مهدداً إياهم بالقتل إذا فكروا في عبور النهر إلى الضفة الأخرى، وظننت لأول وهلة أن هذا الضابط قد جن، ولكني أيقنت بعد ذلك أنه كان يحاول إنقاذ الناس وأنه كان حكيماً بقدر ما كان شجاعاً، إنك تعلم يا دكتور أن النهر في هذه النقطة عميق كما أن تياراته كثيرة الدوامات، وقد مات الكثير من الناس في الأعوام السابقة على الحادث عندما حاولوا عبوره من تلك النقطة، وأعتقد أن هذا الضابط كان يحاول منع الناس من القفز في النهر عند هذا الموضع الخطير. ورغم أن مجرى النهر كان يبلغ نحو المائة متر عرضاً في الجزء المقابل للحدائق العامة، فإن كرات النار التي يحملها الهواء من الضفة الأخرى أضمرت النار في أشجار الحدائق، وأصبح هؤلاء المساكين عرضة للموت إذا ظلوا في الحديقة، وعرضة للغرق في النهر إذا قفزوا فيه. لقد كنت أسمع صراخهم وبكاءهم، وفي بضع دقائق بدأوا يتساقطون في النهر، قفز المئات تلو المئات في النهر وسحبتهم الدوامات إلى ذلك الموقع العميق، وماتوا غرقاً. كان المنظر يفوق كل خيال، أما أنا فظللت أرقد في موضعي بالقرب من ضفة النهر، أسكب الماء بين الحين والآخر فوق رأسي عندما يصبح لفح النار والسنة اللهب أكثر من أن تطاق.

وجعلت رواية السيد ميزوجوتشي السيدة سائيكى العجوز تمتلئ حزناً، وخشيت أن يتوقف عن تكلمتها مراعاة لشعورها، وكنت مشتاقاً لسماع بقية القصة فأخذت أحث السيد ميزوجوتشي على الكلام قائلاً: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

"أخذنا نتحرك تحت الماء الضحل حتى بلغنا بعد عناء شديد جسر توكيو لنحتمى به من النار، وأثناء محاولتنا الوصول إلى الجسر لمحت رجلاً مسكيناً ينام في الماء يعاني من الضعف ربما لفقده كمية كبيرة من الدم، حتى أنه لم يستطع أن يغطي جسده بالماء، فرجاني أن أعطى جسده بالماء فتوقفت قليلاً وحفرت حفرة في باطن الجسر ووضعت جسده فيها وغطيته بالرمال المبللة، وأعتقد أن التيار قد جرفه فغرق كغيره من الآلاف الذين غرقوا في ذلك اليوم وحين خفت وطأة النيران عدت إلى المستشفى برفقة فتاتين قابلتهما بالصدفة ينتميان إلى قريتي، وكان لقائى لهما ضربة حظ، لأننى كنت قد أرسلت زوجتى وأسرتى إلى القرية، وعندما أخذ السيد كيتاءو الفتاتين إلى القرية زار أسرتى وأخبرهم أننى بخير، ومنذ ذلك الحين زارتنى زوجتى وعلمت منها أن قريتنا الصغيرة سينو 18 تكتظ بالمرضى والجرحى".

قدمت سيجارة إلى السيد ميزوجوتشي، وبعد أن إلتقط منها بضعة أنفاس سألتني عن مصدر تلك السجائر، فقلت له أن ضابطاً بحرياً أحضرها لي، فعلمت السيدة سائيكى العجوز على ذلك بقولها: "يادكتور لا ريب أنك محظوظ، فقد أحضر لك البعض سجائر، وأحضر لك اليوم السيد ساساكي سمكا، كما أحضر لك هذا المساء السيد ناجاكو طاماطما، فإهدأ بالاولا تفكر في شيء، فأنت رجل محظوظ لأن لديك الكثير من الأصدقاء، يجب أن تشكر السماء على ذلك، فإذا لم تفعل هذا كان ذلك تحدياً للسماء". وحاول السيد ميزوجوتشي أن يوقفها عن متابعة مثل هذا الكلام بقوله: "أيتها الجدة، إن في وجهك دمل صغير". فردت عليه السيدة سائيكى وهي تهرش حول موضع الدمل: "أنه صغير جداً، ولكنه يؤلمني، غير أنى لا أكثرث

18 تقع سينو إلى الجنوب الشرقى من هيروشيما في الطريق إلى كورى.

له". ثم إستطردت تحكى قصتها مع البيكا فقالت: "أما بالنسبة لى فقد كنت أنظف ماكينة الخياطة أمام المستشفى وفجأة لمع ضوء أبيض أمام عيني، فإنبطحت أرضاً، ثم أظلمت الدنيا من حولى وظننت أن المستشفى قد إنهار فوقى، وحاولت ان أجعل جسدى ينكمش بقدر المستطاع، وبعد قليل نظرت من خلال أصابعى فإكتشفت أننى لازلت أستطيع الرؤية، ولا تدرى مقدار سعادتى عندما تبينت أننى لا أزال على قيد الحياة، فقد ظننت أننى فارقت الحياة". وإرتسمت على وجهها إبتسامة سعيدة.

15 أغسطس 1945

هذا يوم إذاعة البيان الهام، وعلى الرغم من إحجامى عن المشاركة فى التنبؤ بمضمون البيان، فقد توصلت فى النهاية إلى إستنتاج شخصى مؤداه أن البيان الذى سيذاع سوف يعلن غزو العدو لشواطئنا، وأن القيادة العامة للجيش ستأمرونا بالقتال حتى النهاية. ياله من أمر ميئوس منه!

وفى هذه الحالة بإستطاعتى الهرب إلى المنطقة الجبلية القريبة، ولكن ترى أى طريق أسلك؟ إذا سرت بمحاذاة خط سانويو فقد أتعرض للخطر، وربما كان من الأسلم لو إتبعنا خط هامادا أو خط جى إيبى إلى قلب جبال تشوجوك، فإن لى أصدقاء كثيرين فى المدن الجبلية الصغيرة بتلك المنطقة مثل ميوش وشوبارا وسيجو طوجو وأوجى ويوشى. وربما كان من الأفضل أن أذهب إل أوجى حيث كنا فد هجرنا ولدنا هناك، أو إلى يوشى حيث تقيم والدتى، ولكن ما الفرق بين الأمرين؟ لقد سمعت صديقى القديم الدكتور أكي ياما الذى اشترك فى عمليات سان شى العسكرية يقول أكثر من مرة أن الجانب الذى يلتجئ إلى الجبال هو الذى يخسر الحرب.

لقد بدأ الجيش يخسر منذ أبريل، وفقد معظم الجنود أسلحتهم وهبطت معنوياتهم، ولم يسمح سوى بتهجير الأطفال والمسنيين من المدن، وتم تنظيم فرق الدفاع الشعبى من بين الذين بقوا بالمدن وكانت أعمارهم لا تتجاوز الأربعين، وإذا دعا الأمر يمكن تحويلنا جميعاً إلى قوات دفاع شعبية، ولكن الشرطة العسكرية كانت تراقب تعليقات الناس وتصرفاتهم خلال الشهور الأخيرة، وأصبحت سلطة الشرطة العسكرية أكثر إستبداداً من ذى قبل، وفى المناطق التى تقرر إتخاذها ممرات لفرق الإطفاء أو منافذ لتقهقر القوات أزيلت المنازل دون إكتراث لأحد، كان الخطأ يعالج بالمزيد من الأخطاء، والآن يوشك العدو على النزول فوق أرض اليابان، إن مجرد توارد هذه الفكرة فى خطارى يجعلنى أحس بالألم.

لقد حطمت هيروشيما، ونحن نعمل الآن بأقصى طاقاتنا للمحافظة على حياة الناس وسط الدمار، لم يعد لدينا ثكنات للجيش، بل أصبحنا بلا جيش، فقد هرب الجيش وتركنا بلا حماية، حتى العدد القليل من الجنود الذين أسندت إليهم مهمة الحفاظ على الأمن تركوا مواقعهم عندما كانوا يسمعون أصوات صفارات الإنذار، كما إختبأ الكثير منهم خلف مبنى المستشفى.

وحتى قبل حدوث البيكا كانت الترسانة البحرية ومعظم الثكنات العسكرية خالية من الجنود، وتم إجلاء عائلات الضباط عن المدينة منذ أبريل، أما المواطنين فلم يسمح لهم بالهجرة إلا بعد شهر أبريل، وحين تقدمت بطلب للهجرة خارج المدينة رفض طلبى.

وسواء كان للجيش ثكنات وقلاع فى منطقة الجبال أو لم يكن، فإن ثمة حقيقة مؤكدة هى أننا تركنا دون دفاع أو حماية، وأخذت المسائل التى كان على ألا أفكر فيها تتزاحم فى رأسى.

سمعنا من بنادى بالتجمع بمبنى مصلحة المواصلات حيث تم تدبير راديو لينقل إلى الحضور البيان الذى سيذاع، وعندما وصلت إلى القاعة كان المكان غاصاً بالناس فوقفت مقابل المدخل أنتظر سماع البيان، وماهى إلا دقائق حتى بدأ صوت الراديو يعلو محدثاً ضوضاء لا يمكن تمييزها، ولم تستطيع أذنانى سوى إنقاط عبارة من هنا وأخرى من هناك، وسمعت فيما سمعت عبارة تبدو وكأنها "تحمل ما فوق الطاقة"، ثم سكنت الجلبة وإنتهت إذاعة البيان.

وإلتفت إلينا أو كاموتو الذى كان يقف بجانب الراديو وقال: "كان البيان يذاع بصوت الإمبراطور نفسه، وقد ذكر لتوه أننا خسرنا الحرب، وأننى أطلب منكم أن تنصرفوا إلى أداء واجباتكم حتى يصدر إشعار آخر".

كنت مستعداً لسماع بيان يطلب منا أن نحفر الخنادق ونواصل الحرب حتى النهاية، ولكن هذه الرسالة غير المتوقعة تركنتى فى حالة ذهول، لقد كان الذى سمعناه صوت الإمبراطور، وقد قرأ على مسامعنا الإعلان الإمبراطورى بالإستسلام! لقد عجز ذهنى عن مواصلة التفكير، وجمدت الدموع فى مآقى وإنتهت كغبرى من الموجودين بالقاعة عند سماع أن البيان قد أذيع بصوت الإمبراطور، فلبتنا بعض الوقت بلا حراك صامتين، وأظلمت الدنيا فى عيني، وإصطكت أسنانى، وأحسست بالعرق البارد ينحدر فوق ظهري، وبعد قليل عدت بهدوء إلى المستشفى ورفدت فى فراشى، بينما كانت تتردد فى أذنى أصداء عبارة "معركة خاسرة". وأخذ هذا الصوت يعلو ثم يعلو.

وخيم السكون على القاعة لوقت طويل، ثم حطم السكون فجأة صوت نحيب، ونظرت حولى فلم أجد نظرات الكبرياء تبدو فى أعين رفاقى، ولكن تعابير اليأس والخذلان كانت ترتسم على وجوههم، وبالتدريج بدأ الناس يهمسون، ثم ارتفعت أصواتهم بالكلام. وتناهى إلى أسماعنا صوت شخص يصيح فى الخارج "كيف خسرنا الحرب؟!"، وتبعته أصوات أخرى تردد عبارات غاضبة متباينة:

"إن الجبان وحده الذى يفر الآن!"

"لابد أن تكون لخديعتنا حدود!"

"إننى أقبل أن أموت، ولا أرضى أن أهزم!"

"من أجل ماذا كنا نتحمل المعاناة؟!"

"إن أولئك الذين ماتوا فى الحرب لن تتمتع أرواحهم بالسلام فى السماء بعد الآن!"

وتحول السكون فى المستشفى فجأة إلى زئير، ولكن الناس كانوا أعجز من أن يستطيعوا شيئاً، أصبح الكثيرون ممن كانوا من كبار دعاة السلام، وأولئك الذين فقدوا حماسهم للحرب بعد البيكا، يصيحون مطالبين باستمرار الحراب، ولكن الإستسلام أصبح حقيقة مؤكدة لا مناص منها. ولم يكن هناك ما يستطيع تهدئة روح الناس الذين تلقوا النبأ، ولما كانوا قد فقدوا كل شىء، ولم يعد لديهم ما يخشون من فقده، فقد إستسلموا للخذلان واليأس. وإنتابنى نفس الشعور، إن علينا ان نحارب حتى الموت، كيف نعيش فى ظلال الخوف والرعب؟ أليس من الأفضل أن يموت الإنسان من أجل بلاده، ومن أجل عزة تاجها، بدلاً من أن يعيش للعار والخذلان؟

إن كلمة "إستسلام" كان لها وقعاً أليماً على النفس يفوق بكثير وقع قصف مدينتنا بالقنبلة الذرية، وكلما تعمقت فى التفكير كلما إزدادت إحساساً بالمرارة واليأس.

ولكن أمر الإستسلام صدر عن الإمبراطور، فعلياً أن نصدح للأمر، إن إقدامه على تحمل ما فوق الطاقة لا يحمل سوى معنى واحد، إننا كأمة يجب أن نتذرع بالصبر، رددت كلماته مرات بينى وبين نفسى، ولكن لم يغير هذا من الواقع الأليم شيئاً، ولم أستطع التخلص من اليأس الذى إعترانى، وأخيراً وجدتنى أفكر فى أمر آخر.

عندما أعلنت الحرب منذ أربع سنوات، لم يكن هناك من لا يشعر بالإطمئنان إلى ما سوف تسفر عنه من نتائج، ولكن أحداً لم يفكر عندئذ فيما حدث اليوم. ترى لماذا لم يطلب من الإمبراطور أن يتحدث إلى الأمة عندئذ؟ لم يطلب منه ذلك لأن طوجو كان وحده المسيطر على الأحداث، يصنع كل ما يحلو له، إن صدق نبرات صوته الحادة لا تزال تتردد فى أذنى.

وبدأت ألوم الجيش بينى وبين نفسى: "كيف كنتم تعاملون الإمبراطور؟ لقد أعلنتم الحرب برغبتكم عندما بدا لكم ان نتيجتها ستكون لصالحكم ولكنكم عندما بدأتم تفقدون الحرب أخفيتم خسائركم عن الشعب، وعندما عجزتم عن مواصلة الحرب إتجهتم إلى الإمبراطور، هل يمكن أيها القوم أن تعتبروا أنفسكم جنوداً؟ ليس أمامكم الآن سوى أن تقدموا على "الهرაკيرى"¹⁹ لتضعوا حداً لحياتكم.

وسمعت شخصاً يصيح وكأنه يردد صدق افكارى: "الجنرال طوجو كان عظيماً وعندياً وغبياً، عليك أن تشق بطنك بيدك يا طوجو وتموت!"

أثارتنى الإنفعالات والضوضاء التى سادت المستشفى، ففكرت فى الهرب، وماكدت أصل إلى البوابة الخلفية بمنى المصلحة حتى سمعت صوتاً ينادينى: "يا دكتور، ماذا حدث؟" وأعاد إلى هذا السؤال رباطة الجأش التى فقدتها، وخجلت من نفسى لأننى كنت على وشك الهرب، وعدت إلى مبنى المصلحة وإلى مرضاى.

كانت جولتى اليوم بعيدة كل البعد عن الطابع المهني، فلم أستطع التركيز ذهنياً على مشاكل المرضى، ولكنى وقفت عند فراش كل مريض، وبذلت أقصى الجهد لتهدئة مخاوفهم، وكررت القول لكل شخص رأيته: "بيبو أن الأمور لا تسير على مايرام، ولكن الإمبراطور أصدر أمراً، وعلينا واجب الطاعة".

كانت الممرضات تنصرفن إلى أداء واجباتهن وكان شيئاً لم يحدث. لقد جعلتنى هذه الوجوه البريئة التى تعمل بهدوء أشعر بأن جواً من الكبرياء لا زال يحيط بنا، وهذا كثيراً من روعى.

إفتقدت السيدة العجوز التى كانت ترقد بالقرب من مدخل المستشفى، فذهبت إلى مكتب العمل، وسألت السيد سيرا والسيد كيتاءو عنها، فترددت لحظة ثم قال لى: " لقدماتت ليلة أمس، ماتت دون أن تعلم نبأ الإستسلام ونحن سعداء لذلك ". وإستوقفتنى جندى فى الممر ليسألنى: "يا دكتور ماذا عساي أن أصنع؟" فأجبته بقولى: "إننى لا أعرف موقع قيادتكم، ولكنك تستطيع البقاء حتى تشفى، ولا عليك، دع المسئولية لى". فسألنى: "متى سينزل العدو قواته؟" فأجبت: "إننا لا نهتم بذلك، فأنت مريض على أى حال، ودعنى أشرح ظروفك إذا إقتضى الأمر، وإذا دعت الحاجة إلى فرارك، فسأيسر لك سبيل الهرب، ولكنى أستحلفك بكل عزيز ألا تياس، فقد يتأثر بحالتك بقية الجنود، ويتفشى اليأس بينهم". فأجابنى الجندى وقد إرتسمت علامات الإرتياح على وجهه: "سيدى سأطيع أوامرك". وحياتى بلطف، ومضى يجر بنظونه الملتح بالدماغ.

¹⁹ تقليد يابانى متوارث من العهد الإقطاعى يقدم فيه الفارس المهزوم على الإنتحار بشق بطنه بسكين علانية قبل أن يقع فى يد خصمه، وقيل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بقوم أحد رفاقه بفصل رأسه عن جسده ليخفف عنه آلام معاناة سكرات الموت.

قدم لنا طعام العشاء، ولكنى إكتفيت بتناول كوب من الماء الساخن لفقدانى للشهية، وأويت إلى فراشى، وبدأت بقايا الروح المعنوية التي كنت أحتفظ بها تتلاشى مع غروب الشمس، كان كل رفاقي في القاعة قلقون على الإمبراطور، وشاركتم أيضاً نفس الشعور، كنت أشعر بالأسف كلما تذكرت، وتركت فراشى وذهبت إلى الشرفة وإتكات على سياجها، ويمت وجهى شطر الشرق، ثم صليت من أجل إستقرار نفس الإمبراطور.

أخذت أتمشى قليلاً، ثم إلتصت مجلساً، وأخذت أحملق في الخرائب المحيطة بالمكان، كان القمر يبدو وحيداً، ويتألق فوق مياه نهر أوتا تاركاً حزاماً باهتاً من الضوء، بينما كان يطل فوق المدينة التي يلفها الظلام، وبدأت ملامح جبل فوتا باياما الداكنة تبدو مقابل السماء المظلمة تجاه الشرق. إذا هزمت أمة من الأمم فإن مظهر الأنهار والجبال فيها يبدو حزناً، وتملكنى إحساس شديد بالوحدة، وأخذت أعانى إنفعالات الهزيمة ومرارتها، وإستغرقت في التفكير في المستقبل.

16 أغسطس 1945

كان اليوم منذ بدايته صحواً.

لم ينعم كل من في قاعتنا بالراحة ليلة أمس، فإن أمل مواصلة الحرب بدده الحزن والألم اللذان سببتهما لنا الهزيمة، وأخذنا نتقرب وصول العدو إلى بلادنا، وكان الجميع يشعرون بالضيق وخلال الليل ألفت طائرات (دوبل زيرو) التي إنطلقت من قاعدة هيرو²⁰ منشورات تدعو إلى الإستمرار في الحرب وعدم الإستسلام.

وبلغتنا ضمن مظاهر المقاومة أنباء قيام الأسطول الإمبراطورى بهجوم في مياه شيكوكو، وظنها البعض أنباء تبشر بالخير، ولكنى كنت أخشى أن تكون هذه محلولة من جانب الضباط الصغار لإظهار الشجاعة وإرضاء كرامتهم العسكرية وهنأ بعض المرضى فرحين عندما بلغتهم تلك الأنباء، ولكنى شعرت بالرتاء لأولئك الذين فضلوا الموت على الإستسلام، وإنقسمت المستشفى فريقين حيد أحدهما الإستسلام بينما رفضه الفريق الأخر.

زارنا هذا الصباح أحد زملاء الدكتور ساسادا في الدراسة وكان يعمل بمحطة الإذاعة في طوكيو قبل الإستسلام، وأخبرنا أن المفاوضات التي إنتهت بالإستسلام بدأت في 10 أغسطس، وأنة ترك طوكيو في محاولة لتحويل ما لدية من أموال إلى أموال منقولة عن طريق شراء بعض الأشياء خشية تجميد العملة اليابانية وتخفيض قيمتها مثلما حدث في ألمانيا، ولم يكن لدى ما أخشى عليه، فقدت كل شيء، ولم يكن يشغلنى سوى أمر الهزيمة المحزنة، فإستطاعتى أن أعيش دون هموم، وأن أتمتع بكرم ومعونة أصدقائى. وقيل قصف المدينة بالقبلة الذرية كان لدى ما يعوضنى عن المكاسب التي يحققها زملاي الأطباء الذين كانوا يزاولون المهنة دون الارتباط بوظيفة، فقد كانت وظيفتى لا بأس بها إذ كنت أعمل لدى الحكومة بمرتب كبير جعلنى لا أكثرث لأعباء المعيشة المتزايدة، كما أن عملى بالحكومة جعلنى أتخلص من جنون الصراع من أجل الكسب، فرغم أن راتبى محدود كنت أتوقع الحصول عليه كل شهر، أما إذا كنت رجل أعمال، أو طبيب حر، فربما لقيت هذه المسألة بعض إهتمامى، وباعتبارى موظفاً حكومياً إرتاح بالى من هذه الناحية.

كنت مشغولاً هذا الصباح بمحاولة إعداد سجل لكل مريض من المرضى الذين لا زالوا بالمستشفى، فقد كان من الصعوبة بمكان أن نفكر في إعداد مثل هذه السجلات قبل ذلك، لأن كل واحد من العاملين بالمستشفى كان يبذل أقصى ما يستطيع من جهد للعناية بالمرضى وتلبية طلباتهم العاجلة، لن أنسى ما حيببت الجهد الخارق الذى بذله الدكتور كوياما ومعاونيه في إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالمستشفى دون أن يفكروا في أنفسهم أوفى أن ينالوا قسطاً من الراحة، وإستجاب الدكتور كاتسوى لطلبى فأخذ على عاتقه مسئولية إعداد السجلات الخاصة بالمرضى، وأوصيته أن يسجل فيها كل ما يمكن تسجيله من ملاحظات موضوعية، وتولى معاونته الدكتور هانا أوكا والدكتور أكي ياما. لم يكن لدينا مجهر أو أدوات معمل أوحى مختبر، ولكن تسجيل تاريخ وأعراض الحالات التي نتولى علاجها قد يصبح يوماً ما أمراً في غاية الأهمية، فلم يحدث قبل ذلك في تاريخ العالم أن قصف شعب بقبلة ذرية نتج عنها مثل هذا الدمار الذى كنا نعانيه.

تدهورت حالة السيدة يوشيدا، وإستدعت لرؤيتها قبل القيام بجولاتى العادية، وبلغت حالتها ذروة السوء، فقد تورم فمها من الداخل وتقرح، وتورمت لوزتها بصورة حادة، وفتحت جروحها التي كانت تبدو من قبل في طريق الإلتئام، وتجلط فيها الدم الفاسد، وتغطى جسدها ببثور مديبه إنتشرت تحت الجلد، وإزاداد وجهها شحوباً وزرقه، كما أن نبضها كان منخفضاً بدرجة كبيرة، وبدأت في حالة ميؤوس منها.

ذهب السيد ميزوجوتشى والدكتور هينوى بإحدى العربات منذ الصباح الباكر لإحضار الطعام اللازم للمستشفى، حين إجتمعت والسيدة سائيكى العجوز والأنسة كادو وزوجتى لتناول العشاء لم يكونا قد عادا بعد، فأحسست بالقلق على سلامتهما، وأخذت السيدة سائيكى العجوز تحاول طمأنتى مؤكدة أنهما سيعودا بعد حين.

وبينما كنت في الظلام بلغتنى أنباء وقوع شغب عند محطة هيروشيما بعد إعلان الإستسلام، ويبدو أن ناظر المحطة وموظفيها ظلوا يعملون بهمة ونشاط لتسهيل نقل المعدات العسكرية بأقصى سرعة ممكنة، ولكن بعد الإستسلام شرب

²⁰ قاعدة جوية تابعة للبحرية كانت مركزاً للتدريب والإمدادات والوقود، وتضم مصنعا لتجميع الطائرات، وتقع هيرو في ضاحية بالقرب من كورى على بعد نحو 25 ميلاً إلى الجنوب من هيروشيما.

ناظر المحطة ومعاونيه كمية كبيرة من (الساكي)²¹ حتى الثمالة، وأثاروا الشغب، ولما كنت أعلم أن ناظر المحطة العجوز رجل يحب الشراب فقد تخيلت مدى ما يمكن أن يحدث منه في مثل تلك الحالة، وأيقنت أن حفلات شراب جماعى كهذه لا بد أن تكون قد أقيمت في مختلف أنحاء اليابان.

عادت الأنسة كادو وزوجتى إلى القاعة، بينما جالساً بحجرة الطعام، على حين كانت الجدة العجوز تغسل الأطباق. إنه من السهل أن يشعر الإنسان بالإنشراح خلال النهار حيث يكثر المحيطون به، ولكن عندما يحل الليل يقيم الظلم جداراً من الكآبة حول الإنسان، ويصبح من الصعوبة بمكان تفادى الأفكار السوداء. ترى أى فوضى يمكن أن تحدث فى طوكيو الآن؟ هل إنقسم الجنود على أنفسهم، وأصبح يقاتل بعضهم بعضاً بعدما فقدوا الإنضباط وأخذوا يعملون السلب والنهب؟ وهل قام الضباط والجنود الذين لم يستطيعوا مواجهة الهزيمة والإستسلام بالإنتحار على طريقة "الهراكيرى"؟ ترى ما الذى يفكر فيه الإمبراطور الآن؟

ويبدو أن صدى أفكارى قد تبينته السيدة سانيكى العجوز لأنها توقفت عن غسل الأطباق وقالت وهى تشير بأصبعها إلى السن الوحيدة التى بقيت فى فمها: "يا دكتور، كم أشعر بالأسى من أجل الإمبراطور، إنه لم يكن مسؤولاً عن إعلان الحرب".

وصدقت على كلامها، وأحسست بالكراهية الشديدة للعسكريين الذين كنت أتحمس لهم بالأمس، لقد خدعوا الإمبراطور والأمة اليابانية، بعد ما حدث لهيروشيما حاولوا إخفاء الحقيقة عن الشعب فلم يعلنوا أن المدينة قد دمرت بقتيلة ذرية، وعلى حين كانوا يعلمون أنهم فى الطريق إلى الهزيمة تجاهلوا الشعب رغم أن واجبهم كان يحتم عليهم إطلاع الشعب على حقيقة الأمر.

عاد السيد ميزوجوتشى فى ساعة متأخرة من الليل مثبط الهمة وأخبرنا أن الإضطراب والفوضى يعمان المدينة.

17 أغسطس 1945

يوم صحو آخر.

نمت لماما ليلة الأمس لأننى كنت قلقاً على مصير الإمبراطور، وأعترف أنى هولت الأمر وأعطيته أهمية أكبر من الهزيمة ذاتها، فقد كان ضحية العسكريين الذين لم يتروعا عندما لحقت بهم الهزيمة عن إلقاء المسئولية كلها على كاهله، فقد إستطاع العسكريين الذين إدعوا الولاء للإمبراطور أن يسيطروا تدريجاً على الأمة كلها.

لقد إستخدم إسم الإمبراطور كرمز للولاء الوطنى وكوسيلة للسيطرة على مقاليد الأمور قبل أن يستطيع الشعب تبين الحقيقة، كما أن طبقة الضباط التى كان عليها أن تخصص وقتها كله للإستيسال فى القتال تحولت إلى طبقة مستعلية متعجرفة، حتى تلاميذ المدراس العسكرية كانوا ينشئون على الإعتقاد بأنهم فئة ممتازة ينتمون إلى طبقة معينة، ولذلك كان يملأهم الغرور والصلافة والتعالى على كل من هم دونهم، ولم يكن تلاميذ المدارس العسكرية بمجرد إلتحاقهم بتلك المدارس يخاطبون الجنود العاديين بأكثر من عبارة "انت" أو "انت هناك"، ولم يراعوا يوماً ما كرامة الإنسان ولم يعيروها إهتمامهم، وإذا حاول جندى عادى أن يثبت شخصيته لجأ الضابط إلى إذلاله إلى حد استخدام العقوبة البدنية، فإذا إعترض أحد الجنود على هذه المعاملة كان الضباط - حتى أولئك الذين يحملون أدنى الرتب بما فى ذلك تلاميذ المدارس العسكرية - يواجهونهم بعجرفة قائلين: "أوامرنا هى أوامر الإمبراطور يجب أن تفهموا ذلك دائماً".

لذلك كان العسكريون ينفذون مشيئتهم سواء كانت حقاً أم باطلاً، أما كبار الضباط فكانوا يشبهون الآلهة، وفى ظل نظام كهذا كان أكثر الضباط صلافة وعجرفة واستعلاء وقدرة على البطش يصل إلى أعلى الرتب، ومن بين هؤلاء الضباط الكبار كان يختار رؤساء الأركان العامة للجيش، فلم تعرف الحنكة والحكمة وبعد النظر طريقاً إليهم، وتصرفوا مثل الخنازير البرية تماماً فى كل عمل تصدوا له، فخيم الجهل على عقولهم حتى فقدوا كل حيوية لديهم ولكنهم رغم ذلك لم يسلموا بالأمر الواقع، ولم يستمعوا إلى صوت العقل خشية فقدان السلطة والهيبة.

وعاش الجنود والشعب ومعهم الإمبراطور تحت نير هؤلاء وعانوا منهم الشئ الكثير، وإلا لما إضطرت الامبراطور أن يعلن الإستسلام بنفسه، ولما أخذ المسئولية كلها على عاتقه بدلاً من تلك الطغمة العسكرية الطاغية.

بدأت جولتى مبكراً هذا الصباح، كانت السيدة يوشيدا لا تزال على قيد الحياة ولكنها كانت أشد وهنا من ذى قبل، وعندما سألنى السيد أوشيو رأيى لم أملك الشجاعة الكافية للتعبير عن رأيى فى حالتها بصراحة، وتركت الغرفة وأنا أشعر بالتهرب من صديقى.

كانت مفاجأة سارة بالنسبة لنا حين حضر الدكتور هيروشى مورى يا زميلى القديم فى الدراسة الذى يعمل بمستشفى المواصلات فى طوكيو ومعه كمية كبيرة من الإمدادات الطبية والمعونة، لقد كان عريف الصف عندما كنا بالمدرسة الإبتدائية منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً حين رأيته آخر مرة، وقال حين رأنى مندهشاً: "عظيم أن أراك على قيد الحياة فأننا

²¹ خمر مصنوع من الأرز تتوافر منه ثلاث درجات حسب نسبة الكحول فى كل منها ويعد شراباً وطنياً فى كل من اليابان والصين وكوريا يتناوله الناس فى مناسبات الحزن والبهجة على حد سواء ويحمل معنى المشاركة.

لم تكن نعلم في طوكيو ما إذا كنت حياً أم ميتاً، كل ما علمناه، أن هيروشيما قد دمرت عن بكرة أبيها، وقد إستبد القلق بالدكتور هاسيجاوا والدكتور ميكي على مصيرك، وسيسران كثيراً عندما يعلمان أنك لازلت حياً، لقد أحضرت لك بعض الإمدادات الطبية". وشرح يعرض أمام ناظري محتويات بعض اللقافات التي جاء بها، وكانت تضم الملقط الطبية والمقصات وبعض المستلزمات الطبية المصنوعة من المطاط، وكان يحمل معه آلة تصوير، وحين علم بما أصابني من جروح طلب مني أن أسمح له بالتقاط بعض الصور وأنا في الفراش، فحذرت قائلاً: "يا دكتور موري يا حذار أن تراك الشرطة العسكرية أثناء إلتقاطك الصور لهيروشيما فقد يسبب لك ذلك المتاعب"، غير أنه لم يكتفرت لتحذيري، وبعد أن إلتقط لي بعض الصور وأنا عار تماماً، إلتقط بعض الصور الأخرى من النوافذ كما إلتقط صور بعض العاملين بالمستشفى، ثم غادر المستشفى للتجول في المدينة لإستطلاع ما آل إليه حالها.

علمت من الدكتور موري يا أن الحال قد هدأت في طوكيو، وعلمت منه فوق ذلك أن الإمبراطور أعلن بيان الإستسلام على مسؤوليته الخاصة لأنه أراد أن يجنب الشعب المزيد من المعاناة، فأثرت هذه المعلومات في تأثيراً شديداً وكانت تخالف تماماً إفتراضاتي السابقة.

جاءنا عدد من الزوار بعد الظهر ولست أدري إذا ما كانوا قد جاءونا بأنباء صحيحة أم مجرد إشاعات، فقد أخبرني أحدهم أن أحد صغار الضباط قد طارد وزير الحربية، وأنه إضطر إلى الإختباء في أحد مراحيض القصر الإمبراطوري حيث إنتحر هناك على طريقة (الهرايري). كما أخبرني آخر أن المجلس الإمبراطوري قد دعى للاجتماع لمناقشة شروط الإستسلام، وحاول وزير الحربية أن يثنى الإمبراطور عن إعلان الإستسلام، وأن الإمبراطور رفض ذلك على أساس أنه مسئول بالدرجة الأولى عن سلامة الأمة أكثر من مسؤوليته عن نفسه أو عن الجيش.

قمت بجولات أخرى في المستشفى بعد الظهر، وإكتشفت أن واحداً على الأقل من بين كل خمسة أو ستة من المرضى أصبح يعاني من البثور المدببة تحت الجلد التي بدت من قبل على جسد السيدة يوشيدا، وكانت تلك البثور كبيرة عند البعض وصغيرة عند البعض الآخر، ولم يستطع المرضى الذين يعانون من البثور الصغيرة إكتشافها، فقد كانت تبدو كنفقات حمراء تحت الجلد، أما أولئك الذين كانت بثورهم كبيرة فقد سألوني عنها، وما لبثت أن إكتشفت أن الإصابة بتلك البثور تنتشر بشكل واضح بين أولئك الذين كانوا بالقرب من مركز إنفجار القنبلة، وأن الكثير ممن لم يصابوا بجروح قد بدت عليهم أعراض تلك البثور، ولما كانت تلك البثور لا تصحبها الحكمة أو الألم فقد كنت في حيرة من أمرها، وعجزت عن تشخيصها، وأخبرت الدكتور ساسادا والسيد شيبوتا عن هذا التطور الجديد عندما عدت إلى فراشي، فإقترحوا على أن أفحص نفسي ففعلت وأحسست بالراحة حين إكتشفت أن جلدي نظيف تماماً.

وأثناء تناول العشاء علمت أن فرقة من الطالبات ستأتي من الريف إلى المستشفى في الغد لمعاونتنا، كما أن المحافظات الأخرى وعدت بمدنا بالمساعدين اللازمين لتدعيم الهيئة الطبية بالمستشفى، كما علمت أيضاً أن الناس يتوافدون على هيروشيما لإزالة الأنقاض من الطرقات.

18 أغسطس 1945

بدأ اليوم صحواً، ثم ما لبثت السماء أن تلبدت بالغيوم وأمطرت السماء مطراً كنا في أمس الحاجة إليه.

بدأت جولاتي التفقدية مبكراً، وقد تناقص عدد الموتى بشكل واضح، ولكن في كل يوم كان يتوفى شخص أو شخصان من بين المرضى، وفي كل حالة من تلك الحالات كانت البثور التي تبدو على شكل نقاط تحت الجلد تتزايد قبل وقوع الوفاة، وأخذ عدد المرضى الذين بدت عليهم تلك الأعراض يزداد، وقد إزدادت تلك الأعراض عند السيدة يوشيدا عما كانت عليه بالأمس، وإرتسمت على وجهها علامات الموت، وأصبحت جروحها جافة لا تنزف دماء، وأخبرت السيد أشيو أنني لا أعتقد أنها سوف تعيش حتى المساء.

كما بدت تلك البثور الحمراء على مرضى العيادة الخارجية اليوم، وظهر أحد الأعراض الأخرى، فقد بدأ شعر الكثير من هؤلاء المرضى يتساقط دفعة واحدة، كما أن لون بشرتهم تغير، ولو كان لدينا مجهر لإستطعنا تحيل الدم لعننا نتوصل إلى خيط يقودنا إلى حقيقة تلك الأعراض.

عندما عدت إلى فراشي وجدت الدكتور ساسادا يفحص صدره، وعندما رأني غطي نفسه كما لو كان لا يريدني أن أعرف ما يفعله، فلم أحاول أن أتدخل في أموره الخاصة رغم أنني أعرف أن أعراض البثور بدأت تظهر عليه، وكان يحاول إخفاء هذه الحقيقة عني وهو أمر كان من السهل تبينه عندما ينظر المرؤ إلى وجهه، فلم أشأ إزعاجه، وتظاهرت بالبحث عن شيء ما في فراشي ثم غادرت القاعة.

وفي الطابق الأرضي قابلت السيد هيروهاتا الذي كان يجلس على أريكة فجلست بجوراه، وكان السيد هيروهاتا يعمل بمصلحة التليفونات، وقد حدث إنفجار القنبلة أثناء مزاولته العمل، وعلى الرغم من أن مبنى المصلحة يقع على بعد نحو 400 متر من مركز الإنفجار فإنه لم يصب بسوء فسأته: "كيف إستطعت أن تنجو من الإصابة بينما قتل وأصيب كل من تواجدوا في مكان؟".

فأجاب: "لقد حممتني حوائط المبنى الخرسانية من الإصابة، ولكن الأشخاص الذين كانوا يقفون بالقرب من النوافذ لقوا مصرعهم على التو أو ماتوا بعد ذلك بقليل نتيجة إصابتهم بالحروق أو الجروح، وكانت نوبة الليل تغادر المبنى لتحل محلها نوبة النهار عندما حدث الانفجار وقد مات نحو أربعين شخصاً قرب مدخل المبنى، كما مات على التو نحو خمسة عشر موظفاً من العاملين بقسم الإنشاءات كانوا يمارسون التمرينات الرياضية الصباحية ولا يرتدون سوى سراويل قصيرة". ثم استطرد قائلاً: "يا دكتور إن الإنسان الذي يموت حرقاً يتضائل حجمه، أليس كذلك؟ إن هؤلاء الأشخاص بدت جثثهم بعد الانفجار وكأنها جثث أطفال، هل هناك سبب لسقوط شعري وإحساسى بالوهن؟ إننى قلق يا دكتور لأننى علمت أننى سوف أموت حتماً فقد حدث ذلك لبعض الأشخاص الذين نجوا من الإصابة عند حدوث البيكا".

فأجبت به بقلوبى: "ياسيد هيروهاتا أعتقد أنه لا داعى للقلق، لقد مررت كغيرك من الأشخاص بتجربة فظيعة، وبالإضافة إلى ذلك فقد واصلت العمل ليلاً ونهاراً بالمصلحة بعد كل ما حدث، فماذا كنت تتوقع؟ عليك أن تذهب إلى منزلك وتلزم الراحة بالفراش دون أن تفكر فى شئ، وتناول ما لذ وطاب من الطعام".

لم يكن هناك ما يمكن أن يقال لهذا الرجل، فطريقة جلوسه وحديثه ولون جلده كانت تشير إلى أنه مشرف على الموت، ولكنى كنت عاجزاً عن إنقاذه.

وصلت فرقة الطالبات التى سنتولى معاونتنا هذا الصباح، وقمنا بتنظيف عناصر المرضى تحت إشراف الممرضات، وأصبح كل شئ بالمستشفى نظيفاً مرتباً.

مطر خفيف يسقط بالخارج.

نقل فراشنا إلى غرفة أخرى هذا الصباح حتى يمكن الإستفادة بالقاعة الواسعة التى كنا نشغلها لإيواء بعض المرضى الذين يشغلون الدور الأرضى، وكانت حجرتنا الجديدة صغيرة ولكنها أحسن ترتيباً، فقد أعد فراشاً لخمسة أشخاص على شكل صف بجوار النوافذ، وفراشاً لثلاثة أشخاص بجنب الحائط الملاصق للممرور، وشغل الدكتور ساسادا فراشاً من تلك المجاورة للحائط حتى يكون بعيداً عن لفحات الهواء، فقد كانت جروحه لا تزال تؤلمه ولا يناسبه سوى هذا المكان، ووضع فراشى فى مواجهة الدكتور ساسادا حيث كان بإستطاعتى أن أحظى بالنسيم، ووضع فراش زوجتى يانكيو بجوارى يليه فراش الأنسة كادو يليه فراش آخر ترك شاغراً لىستخدمه الطبيب المناوب فى المساء أو فى الليل وليستخدم كمقعد للزوار فى النهار. أما السيد شيويتا والأنسة ياما والأنسة سوسو كيدا فقد وضع فراشهم فى الممر. وكان لحجرتنا الجديدة مدخلان، ووضع كرسى محطم ومكتب بجوار فراشى لأستخدمهما عندما أستقبل الضيوف، وكان المكان يبدو مريحاً ووجودنا بجوار بعضنا البعض أعطانا إحساساً بالإنتماء والإطمئنان. أما النوافذ فكانت تقع إلى شرق الجنوب الشرقى أى أن موقعها يختلف عن موقع الغرفة الأخرى التى كنا نشغلها بنحو 90 درجة فأصبح بإستطاعتنا أن نرى محطة هيروشيما ومحطة كائيتا التى تقع خلفها وهى المحطة الثالثة فى الطريق من هيروشيما إلى كورى، كما أن قريتنا سينو وهاتشى هن ماتسو أصبحتا على مرمى البصر، كما كان بإستطاعتنا أن نرى الجبال التى تقع إلى جانب خط سانيو والقرى المتناثرة عند سفوحها. وذكرنى منظر الجبال التى تقع وراء الأفق بتلك القرية الجبلية التى تقع بالقرب من أوكاياما حيث كانت تقيم أمى وولدى، ولما كان كل شئ قد دمر تماماً فيما بين المستشفى ومحطة هيروشيما فقد كان بإستطاعتنا أن نرى قطارات السكك الحديدية وهى تمر بالقرب من الطرف الشمالى الشرقى للمدينة، وبينما كنت أرقب المحطة من النافذة رأيت قطاراً يصل إليها ويقف عندها وقد إكتظ بالبشر، وبلغ الزحام درجة كبيرة حتى بدا الناس من بعد وقد تعلقوا بالقطار من الخارج، فكان منظر القطار يبدو وكأنه خلية نحل أو شجرة مثقلة بالثمار، حتى مخزن الفحم الملحق بالقطار كان مغطى بالركاب، وما كاد القطار يصل إلى المحطة حتى بدأ الركاب يتبولون من النوافذ بينما نزل آخرون للتبول بجانب القطار، وبينما كنت أرقب هذا المنظر الغريب وأحمد الله لأننى أوجد بعيداً عن هذا الزحام الشديد، إنطلقت صفارات القطار وبدأ السير من جديد دون أن يخلف وراءه إلا القليل من الركاب غير أنهم لم يكثر ثرواً لذلك وواصلوا السير على أقدامهم بيضاء وهم يتألمون. كم يصبح الإنسان ذليلاً عندما يخسر الحرب!

كانت القطارات تأتى كل يوم مكتظة بالركاب حتى قطارات البضائع كانت تنوء بحمولة من البشر.

كانت نافذتى الجديدة تقع فوق مدخل المستشفى، وبذلك كان بإستطاعتى أن أرى كل قادم ومغادر دون أن أترك مكانى، وجاءت إلى مدخل المستشفى سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها تحمل شكوى من زوجها الذى يعمل بمصلحة المواصلات مؤداها أن راتبه أقل من أن يغطى نفقات الطعام، لقد كان الناس يقاسون من نفس الشئ طوال الحرب ولكنهم بعد وقوع الهزيمة رفعوا أصواتهم بالشكوى، وكانت المرأة تصرخ وكأنها فقدت عقلها.

بلغتني أنباء سارة مفادها أن زوجة السيد أوكورا لا تزال على قيد الحياة، إذ عندما حدث الانفجار تقوض المنزل فوق السيد أوكورا وزوجته ولكنه إستطاع أن ينجو بنفسه، وسمع زوجته تصرخ طلباً للنجاة، وقبل أن يعود لإنقاذها كان البيت قد أصبح شعلة متأججة من النيران فاضطر إلى العدول عن محاولة إنقاذها، وعندما خدمت النيران عاد إلى حطام المنزل فوجد بعض العظام المتفحمة فى المكان الذى سمع منه صوت زوجته وقت الحادث، فأحضر تلك العظام وإحتفظ بها خلف المستشفى، ثم حمل العظام ليلة أمس إلى عائلة زوجته بالريف، وهناك وجد زوجته صحيحة معافاة، فقد إستطاعت بوسيلة أو بأخرى أن تنجو من الحريق، وإلتقطتها دورية عسكرية ساعدتها فى الوصول إلى قريتها وكانت هذه القصة أغرب من الخيال، ولكنها جعلتني أوقن أنه لا يجب أن يستسلم المرؤ لليأس.

عندما حل المساء قمت بجولات أخرى في المستشفى فوجدت أن حالة مرضى البثور تزداد سوءاً، وكان كل واحد من المرضى يفحص جسد زميله بحثاً عن تلك البثور الحمراء، وبدا الجميع وكأنهم يعانون من (عقدة البثور)، وانتقل الخوف إلى فحوصت كل مكان في جسدي عندما عدت إلى فراشي وشعرت بالطمأنينة عندما وجدت جلدى خالياً من تلك الأعراض، أننى حتى الآن لا أزال بخير.

19 أغسطس 1945

كان اليوم صحواً بصفة عامة وإن تخلله بعض السحاب وترددت أصداء الرعد من بعيد.

كانت القطارات تمر على بعد نحو مائة متر من المستشفى وكنت أسمع بين الحين والآخر صوت قطار قادم، فجلست في فراشي وأخذت أرقب القطارات التي كانت تسير في كلا الإتجاهين مكتظة بالجنود المسرحين، لقد كان منظرها يؤكد وقع الهزيمة.

حتى الجنود الذين كانوا يعسكرون بجوار المستشفى بأعداد كبيرة نسبياً تركوا مواقعهم ورحلوا إلى قراهم، وزادت رغبة الناس في مغادرة المكان والرحيل إلى مدنهم وقراهم، وابتقلت العدوى إلى المرضى المدنيين فغادر المستشفى الكثير منهم ممن كانوا يقدرون على الحركة بالكاد، ولجأ الكثيرون إلى الهرب حتى يتحاشوا رؤية وجوه الأعداء.

ارتفعت اليوم معنويات السيد شيوتا، فقد أصابه الإمساك لعدة أيام ثم عادت أمعائه إلى طبيعتها اليوم فشعر بالإرتياح، وكنت قد نصحته أن يتجنب الإنفعال والتوتر حتى يتخلص من تلك الحالة، وفي كل يوم كنت ألقى عليه محاضرة في كيفية التخلص من تلك الحالة، وكان يضحك هو والمحيطون به عندما أتحدث إليه في مثل هذا الموضوع، فإذا كان قد إستمع لنصحتي لتجنب الكثير من المعاناة.

أما الأنسة ياما فكانت حروقها كثيرة وغطت الضمادات جسدها، وكانت تصرخ كلما غيرت شقيقتها - وهي ممرضة أيضاً- ضماداتها، وكنت أقدر لها ما تعانيه من آلام ولكنى أحسست بالرتاء لحال شقيقتها أكثر من حالها.

أما السيدة سوسوكيدا التي كانت جروحها أقل خطورة من جروح الأنسة ياما فكانت تجز بأسنانها دون أن تنبس بكلمة أثناء تغيير ضماداتها، فقد كانت أقل عناداً من الأنسة ياما على الرغم من أن حروقها كانت تسبب لها الآلام وتهدد حياتها بالخطر، وكانت إبنتها هي التي تتولى تغيير ضماداتها، غير أنها لم تصرخ ولو مرة واحدة. ومن الطريف على أى حال أن ترى إمرأتان تعانيان من نفس الآلام تصرخ إحداهما دائماً بينما تتحمل الأخرى الألم بهدوء.

قام الدكتور كاتسوبي بتغيير ضمادات الدكتور ساسادا وضمادات زوجتى وضماداتى وتألمت أثناء رفع الضمادات لأن الشريط اللاصق كان ينتزع الشعر معه، فقد حاول الدكتور كاتسوبي ألا يؤلمنى وأخذ ينتزع الشريط ببطء ولكن إنتزاع الشريط بسرعة كان من الممكن أن يجنبنى آلام إنتزاع الشعر.

ماتت السيدة يوشيدا اليوم وكان آخر ما شكت منه العجز عن الرؤية، وإزداد عدد المرضى المحتضرين في المستشفى، وكانوا جميعاً يشكون من البثور، غير أننا كنا عاجزين عن إكتشاف أسباب تلك الأعراض.

بينما كنت أرقد في فراشي الليلة سمعت أصوات حشرات بالدور الأرضى، إذ كانت الصراصير الصغيرة تصفر، وبدا المكان موحشاً. وبينما كنت مستلقياً في فراشي سمعت صرخة مدوية في الدور الأرضى فأسرت بالنزول لأجد سيدة من مرضانا قد أصابها مس من الجنون، كانت تفق كالشبح وسط العنبر المظلم وقد تهدل شعرها وتصرخ بأعلى صوتها مما جعل المرضى الذين يقيمون معها في نفس العنبر يشعرون بالفزع، بينما كان شقيق تلك السيدة يحاول تهدئتها فيقول لها هامساً: "يا أختاه إن الجميع نائمون أرجوك أن تهدئى أنك تزعجين الناس"، وحين أيقنت من إستحالة تهدئتها أمرت بإعطائها حقنيتين من المورفين، فقتيات مرتان بعد وقت قصير ثم غطت في نوم عميق، ورثبت لأخيها الذى كان يعتقد أن ما أصابها علامة على دنو أجلها.

ولما كان النوم قد فارق جفونى فقد أخذت الأفكار تتزاحم في رأسى، بعد البيكا كنا نعتقد أن الذين أصابتهم الحروق أو الجروح سيتماتلون إلى الشفاء عندما نعالجهم، ولكننا إقتنعنا الآن بعدم صحة هذا الإعتقاد، فبعد أن تحسنت حالة بعض المرضى بدت عليهم أعراض جديدة عجلت بوفاتهم، ومات الكثيرون دون أن نفهم سبب موتهم، فتملكننا اليأس، إذ لم يكن بإستطاعتنا تشخيص الأعراض التي بدت على المرضى خلال الأيام الأخيرة وخاصة تلك النقط الحمراء والبثور.

لقد توفى المئات من المرضى في الأيام الأولى التي أعقبت الحادث، ثم إنخفض معدل الوفاة، ولكنه الآن أخذ في الإنفاج من جديد. وكانت الأعراض التي بدت على من توفوا في الأيام الأربعة أو الخمسة التي أعقبت البيكا هي: الضعف الشديد، وفقدان الشهية للطعام، والتجشؤ والإسهال والقيء، وكانت أعراض الضعف العام وفقدان الشهية أكثر شيوعاً بين المرضى يليها الإسهال ثم القيء، أما المرضى الذين كانت حالتهم بالغة السوء فقد عانوا من تلك الأعراض الخمسة مجتمعة. ويمرور الأيام كان فقدان الشهية والإسهال هي الأعراض البارزة التي بدت على المرضى الذين لم تتحسن حالتهم.

وملاحظة أخرى نتبينها من متابعة تلك الحالات هي أن أعراض الإضطرابات المعوية الشديدة لا صلة لها بالحروق والجروح، فقد أخذ بعض المصابين بالحروق يشفون بسرعة! أما المرضى الذين بدت عليهم تلك الأعراض ولم تلحق بهم

إصابات فقد ساءت حالتهم وماتوا، وكان الكثير ممن توفوا يعانون من الإسهال الدموي الشبيه بالدوسنطاريا، بينما كان الآخرون يشكون من البول الدموي والبراز الدموي. كما أن الإلتهابات الرحمية الشديدة عند المريضات التي كنا قد شخصناها خطأ على أنها إضطرابات وظيفية كانت تنتشر عند النساء، وبعض من ظلوا على قيد الحياة لمدة أسبوع ماتوا نتيجة التهاب الفم واللوزتين، والآن عادت أعراض التهاب الفم إلى الظهور من جديد إلى جانب البثور وارتفع معدل الوفاة مرة أخرى. وسارات حالات البثور على نفس النهج الذى لاحظناه على المرضى الذين أصيبوا بأعراض الإضطرابات المعوية، ولا تربطها أى علاقة بنوعية الجروح التى أصابت المرضى، كما أن أولئك الذين لم تلحقهم أى إصابات وكانت حالتهم طبية لدرجة معاونتهم للمرضات فى تمريض زملائهم المصابين أخذت تبدو عليهم أعراض النقاط الدموية تحت الجلد، وكان لدينا نماذج عديدة من حالات الأفراد الذين كانوا أصحاء ثم ظهرت عليهم أعراض البثور وماتوا قبل أولئك الذين كانت حالتهم الصحية متدهورة منذ البداية، لقد كانت تلك البثور نذير شؤم بالنسبة لنا.

ومن الواضح الآن أن الدوسنطاريا الوبائية لا علاقة لها بالأعراض المحيرة التى رأيناها، وإزاد احتمال إرتباط تلك الأعراض بتناقص عدد كرات الدم البيضاء الذى يمكن إرجاعه إلى تأثير إلتهاب اللوزتين، غير أننى لم أعلم من قبل أن التهاب اللوزتين ناتج عن نقص فى كرات الدم البيضاء.

ترى ماسبب ظهور تلك البثور؟

كان هذا ما يجب أن نتوصل إلى معرفته، ولكن لم يكن باستطاعتنا التخلص من المأزق الذى وقعنا فيه، فماذا نستطيع أن نفعل؟ وماذا سيحدث بعد ذلك؟ أليست هناك إجابة شافية لكل هذه التساؤلات؟ وهكذا حرمتنى تلك الأفكار من النوم حتى الصباح.

20 أغسطس 1945

طقس صحو بوجه عام، غائم نسبياً.

وصل هذا الصباح المجهز الذى كنا فى أمس الحاجة إليه من مستشفى المواصلات بطوكيو مع رسول خاص أرسله الرئيس إيكوتا أحد الرؤساء السابقين لمصلحة المواصلات. ولم أضيع وقتاً فى إستخدامه فى فحص دماء المرضى بأدنا بالأفراد الستة الذين تضمهم قاعتنا، وكان عدد كرات الدم البيضاء فى حالتهم يبلغ نحو الثلاثة آلاف كرة فى السنتيمتر المكعب، أى أقل من المعدل الطبيعى الذى يتراوح بين ستة آلاف وثمانية آلاف كرة فى السنتيمتر المكعب وتولى الإشراف على فحص الدم الدكتور كاتسوبي والدكتور هانا أوكا حيث عمل كل منهما على فحص دماء أكبر عدد ممكن من المرضى، وكان عدد الكرات عند بعض المرضى 600، بينما كان عددها عند الغالبية العظمى منهم يبلغ نحو الألفين، وكان عدد الكرات عند أحد المرضى الذين بلغت حالتهم حدّاً كبيراً من الخطورة 200 كرة فقط، وقد توفى هذا الشخص بعد أخذ عينة الدم منه. وبدا واضحاً لأول وهلة أن المرضى الذين تتناقص عندهم عدد كرات الدم البيضاء هم الذين يعانون أعراضاً حادة، أما عن المرضى الذين أصابتهم الحروق والجروح فقد كنا نتوقع أن يكون عدد كرات الدم البيضاء عندهم أكثر من غيرهم غير أن الفحص لم يثبت صحة ذلك الإعتقاد، وتأكدت شكوكى حول هذا الموضوع، وقد شخصنا حالة من يعانون مرض الدم على أنها (أجرانولوسيتوسيس) أو بعبارة أخرى حالة إندحار لكرات الدم البيضاء، وفى مثل تلك الحالة لا بد أن يكون ثمة مادة سامة سببت حدوثها، ولم يكن الإستنتاج الذى وصلت إليه دليلاً على فطنتى، فقد كنا بصدد حالة (أجرانولوسيتوسيس) نتجت عن شئ مجهول وإليها يرجع سبب أورام اللوزتين والتهاب الحلق.

وقد فحصت حالة كل واحد من المرضى الذين يشكون من تلك الأعراض وتبينت أن معظمهم كانوا يسكنون بالمنطقة القريبة من المستشفى، كما إكتشفت أن عدد أقارب المرضى أكثر من المرضى أنفسهم، ولم أدر ماذا نفعل إزاء هذا الموقف، فقد كان من الصعب علينا أن نوفر الطعام للمرضى، فما بالنا ونحن مطالبون بتوفير الطعام لأقاربهم الذين لم يكن لهم مأوى سوى المستشفى، ولا نملك سوى إبقاءهم بها لأنهم لا يجدون مكاناً آخر يلجأون إليه، فلاعجب أن أصبحت المستشفى مكتظة بالسكان. وكانت تلك الحال لا تختلف عن غيرها فى الأماكن الأخرى، فقد علمت من السيد ساجادا وهو صديق من جى جوزن زارنى اليوم وأحضر لى معه قميصاً وبنطلونا جديداً وحذاء، علمت منه أن كل هيكل ومعبد ومدرسة ومنزل يكتظ بضحايا "البيكا"، وأن حالة هؤلاء الضحايا كانت أسوأ من حالتنا بكثير، فلم يتلقوا علاجاً طبياً أو ملابس أو ضمادات ولم يقدم لهم سوى القليل من الطعام، وعلى النقيض من ذلك كان يقيمون بمستشفانا موضع رعاية الأطباء والممرضات، كما أن الدكتور هينوى والسيد ميزوجوتشى بذلا أقصى جهدهما لتوفير الدواء والطعام لهم.

وغمرنى إحساس بالغبطة والزهو وأنا أرتدى البنطلون الذى لا يكاد يبلغ الركبتين والقميص المحاك باليد اللذان تركها لى صديقى، فقد سرنى أن المرضى الذين يقيمون بالمستشفى وعائلاتهم أحسن حظاً من غيرهم ولذلك يفضلون البقاء معنا.

21 أغسطس 1945

يوم صحو السماء.

إزداد عدد الزوار بمرور الأيام وكان كل منهم يقص علينا ما رآه أو سمعه كما كانوا يطلعوننا على وجهات نظرهم فيما حدث، وسمعت القصص التى كانوا يصرون على روايتها لنا من الصباح حتى المساء، وكثيراً ما سئلت عن مكان وجودى

ساعة حدوث البيكا، وقيل أن يعطوني فرصة الحديث كانوا يروون لي تجاربهم الخاصة مع ذلك الحادث الجلل، ويحاول كل منهم أن يضيف على تجربته الخاصة طابعاً فريداً، كما أن بعضهم كانوا يقصون حكايات غريبة.

وقد ذكر لنا أحد الزوار أن محطة الإسعاف التي أقيمت بمكتب العمل في هيجي ياما كانت في حالة فوضى، تفوح منها رائحة الحروق التي أصابت المرضى الذين كانوا يشبهون الأخطبوط²² المسلوق، وأكد أنه لم ير في حياته أجساداً متقرحة مثل أجساد أولئك المرضى، وإستطرد هذا الرجل قائلاً: "يا دكتور هل تعتقد أن بإستطاعة الإنسان أن يرى بعين برزت من موضعها؟.... لقد رأيت رجلاً خرجت عينه من موضعها نتيجة إصابة لحقت به وكان يقف وقد وضع عينه على راحة يده، وجمد الدم في عروقي حين لاحظت أن تلك العين تبدو وكأنها تحملق في، هل تعتقد يا دكتور أن تلك العين كانت تراني؟".

ولم أحر جواباً ولكني سألته: "هل رأيت صورتك بوضوح على حدقة العين؟".

فأجاب الزائر: "لا فلم أكن قريباً من ذلك الرجل إلى تلك الدرجة".

ولحسن الحظ قطع المناقشة وصول صديق قديم هو الدكتور ياسوهارا الذي يقيم في تاماشيما وكان كبير الجراحين بمستشفانا منذ عامين أو ثلاثة أعوام مضت، وما أن رأني حتى قال: "يا دكتور إن هذا مكان غير آمن، ويجب ألا نظل هنا، تعال معي إلى بيتي، إنك لا يمكن أن تشفى في مثل هذا المكان". وكنت على يقين أن الدكتور ياسوهارا عاطفي إلى حد بعيد وأنه قد يأخذني رغم أنفي إلى حيث يريد، غير أن حماسه قد فتر عندما رأى زوجتي والسيد شيوتا والأنسة سوسوكيدا، فقد أكد له منظر أولئك الأصدقاء القدامى أنني لست وحدي الذي يعاني من تلك الحالة، فإستدار إلى صندوق كان يحمله وقد تفرقت الدموع في عينه وقال بصوت مؤثر لقد أحضرت لك هدية صغيرة، صندوق من الخوخ، وبعد أن سألنا عن بقية الأصدقاء في المستشفى والمصلحة أخبرنا أن ابن عمي الكابتن أوراب قد مات، وأن أصدقائنا القدامى ورفاقنا في الدراسة الدكتور أكاماتسو والدكتور أوسوجي يعتبران في عداد المفقودين. لقد إعتدت على سماع مثل تلك الأنباء المحزنة فلم تعد تؤثر في نفسي.

تناولنا خوخ أوكاياما اللذيذ الذي أحضره لنا الدكتور ياسوهارا مع وجبة الغذاء.

عقدت العزم على تسجيل تطور حالة المرض عند أكبر عدد ممكن من المرضى خلال جولاتي التفقدية بعد ظهر اليوم، ولكن الأمور كانت مربكة محيرة فلم أدر من أين، وقد إستيقظت المرأة التي أصابها الجنون ليلة أمس وأخذت تصرخ بكلمات غير مفهومة، وزاد عدد المرضى الذين بدت عليهم أعراض البثور، وشكا البعض من تساقط الشعر بكميات كبيرة فقامت بتسجيل بعض الحالات:

السيد ساساكي، في الثالثة والخمسين من عمره، ذكر، دخل المستشفى يشكو من إنباض في الصدر إنتشرت البثور في ذراعيه بعد ذلك وحجم كل منها مثل بصمة أصبع الخنصر، حرارته 39° مئوية، فقد جزءاً كبيراً من شعره، حالته سيئة.

السيدة هامادا، أنثى، في السابعة والأربعين من عمرها، أصيبت في منزل يقع في تيو- تشو على بعد كيلو متر واحد من مركز الانفجار، كانت تشكو من القي والضعف العام والصداع والعطش الشديد فور وقوع الانفجار وإستمرت تلك الأعراض لمدة أربعة أيام مصحوبة بفقدان الشهية والإسهال، تحسنت حالتها تدريجاً وإعتقدنا بشفائها في 15 أغسطس فيما عدا فقدانها للشهية من حين لآخر ثم تفاقمت تلك الحالة في 18 أغسطس 1945 وأخذت تنتقل من سئ إلى أسوأ، وعندما دخلت المستشفى بالأمس كان جلدنا جافاً وتغطي البثور صدرها وأكتافها وذراعيها وتشكو من عدم القدرة على الإبتلاع، ورائحة أنفاسها كريهة، حالتها بالغة السوء.

الأنسة كوباياشي، أنثى، في التاسعة عشر من عمرها، أصيبت في شارع بحى هاتشوبوري على بعد 700 متر من مركز الانفجار، تقبأت عدة مرات أثناء محاولتها الهرب، عانت من الضعف العام خلال الأيام الثلاثة التي أعقبت الحادث بالإضافة إلى الإسهال والإضطرابات المعوية وأخذت حالتها في التحسن بعد ذلك وإستعادت شهيتها، غير أنها ظلت ملازمة الفراش بسبب الضعف العام، ثم ساءت حالتها بشكل عام في حوالى 18 أغسطس وأدخلت المستشفى، وبعد دخولها ظهرت عليها أعراض البثور، نبضها عادي، لا تعتبر حالتها سيئة.

سقوط الشعر عرض غريب ولكننا لا نفهم كنهه، ودون أن أدري أمسكت بحفنة من شعر رأسي وأخذت أشدها، لم يكن برأسي الكثير من الشعر ولكني حين إنتزعت بعضه بالقوة شعرت بالألم، وأخذت أفحص رؤوس المرضى بعناية فتبينت أثر الشعر المتساقط بدرجات متفاوتة في كثير منهم، وكانت حالة الأنسة كوباياشي والسيد ساكاي من أبرز تلك الحالات، لقد ظهر عرض جديد يجب تأخذه في الاعتبار، وكنت أكثر الناس قلقاً بسبب هذه الظاهرة.

أما الفتاة الجميلة الشابة التي إحترق جسدها كله دون وجهها فلم تبد عليها تلك الأعراض الجديدة، وكانت لاتزال ترقد في بركة من التفحيق، وحالتها تميل إلى الثبات لا يبدو عليها التحسن أو التدهور، ونظراً لعدم وجود من يعتنى بها من أقاربها فقد أوليتها عناية خاصة في كل جولة من جولاتي، وحاولت أن أحث المرضى الآخرين على العناية بها، وكانت تقدر لي

²² يأكل اليابانيون الأخطبوط الصغير مسلوفاً أو طازجا دون طهي ويبدو بعد سلقه غضروفي المذاق.

إهتمامى بها وتبتسم كلما رأته، ورغم أن جسدها كان أسودا متسخا غير أن إبتسامتها كانت تحمل الكثير من معانى الجمال، وزاد من جمال وجهها بريق سن ذهبية كانت تتألق مع إبتسامتها.

وعندما عدت إلى فراشى أخبرت رفاقي بظاهرة فقدان الشعر التى بدت على المرضى، وحاولت أن أجد كمية أكبر من شعري، وفعل رفاقي نفس الشيء، أصبح كل إنسان بالقاعة يشد شعر رأسه، ولكن شعرهم لم يسقط، كما أننى عجزت عن إنتزاع بعض الشعر هذه المرة من رأسى، حين تأكدنا من أننا لا نعانى من ذلك العرض الجديد، إقتنعنا أننا فى طريقنا إلى الشفاء وإحتفلنا بهذه المناسبة بتناول بعض الخوخ وعندما أكلت الثمرة التى أصابتنى أحسست أنها قد أزلت المرارة من حلقى، وكلما تذكرت ذلك الخوخ اللذيذ يسيل لعابى.

ظهرت أعراض الحمى على زوجتى يائيكو وأعطيتها قرصاً من الأسبرين.

22 أغسطس 1945

يوم صافى السماء.

إستيقظت قبل طلوع النهار بوقت طويل، ولم أستطع مواصلة النوم، بينما غرق رفاقي فى سبات عميق، تركت فراشى ووقفت فى الشرفة أرقب الشمس عند شروقها، كانت السماء صافية والجو حاراً! ولبثت بالشرفة حتى اكتمل شروق الشمس، وفكرت فى الخروج لإستطلاع الخرائب التى تقع مكان قيادة الفرقة الثانية التى كانت تعسكر بالجزء الملحق بقلعة هيروشيما.

وفى الطريق إلى تلك الخرائب شعرت بالحاجة إلى التبول فتألفت حولى بحثاً عن مكان لقضاء الحاجة فعثرت على مرحاض نظيف، سررت لأن ذلك المرحاض كان أنظف بكثير من مرحاض المستشفى الذى لم يكن سوى حفرة فى الأرض محاطة بحوائط من الحصى كما ذكرت آنفاً، ولما كان هذا المرحاض الذى إكتشفته يقع على مسافة قريبة من المستشفى فقد عقدت العزم على إستخدامه من الآن فصاعداً.

توقفت عند خرائب مخازن الجيش إلى الجنوب من المستشفى فعثرت على بقايا درجتين ناريتين مغطاة بالحجارة المهدامة وقرميد الأسقف، ولكن لم تكن هناك أسلحة، وعجبت كيف إستطاع الجيش أن يجلو عن ذلك المكان، كان هناك قبل حادث القنبلة مخزن خشبي بالقرب من الجانب الجنوبي من مبنى المصلحة، وقد إشتعلت النار أول ما إشتعلت فيه فلم يبق منه شئ سوى قطع مبعثرة من قرميد السقف، وإنتقلت النار من ذلك البناء الخشبي إلى المستشفى والمصلحة، ورغم أن الجيش كان قد دمر دواج العديد من المنازل فى المنطقة تحسباً للحرائق ترك هذا البناء الخشبي القابل للإشتعال فى موضعه، على الرغم من أن جميع المنازل التى كانت تقع على بعد خمسين متراً من المستشفى قد أزيلت جميعاً، ولهذا السبب لم يحترق المستشفى عن آخره ولكن هذا المخزن الخشبي الذى لا قيمة له ترك فى موضعه ليكون سبباً فى الدمار الذى حدث لمبنى المستشفى والمصلحة والإصابات التى حدثت لنا.

ومن السهل أن يفهم القارئ سر كراهيتنا لقادة الجيش، فقد كانت غلظتهم وغباؤهم لا يعرفان حدوداً، ولم تراخ حقوقنا الشخصية، ولم تكن ندرى متى سيسمح لنا بإيقافهم عند حدهم والتعبير عن إرادتنا، وحدث ذات مرة أن أوقف السيد ميزوجوتشى عند محطة هيروشيما وإستجوبه أحد أفراد الشرطة العسكرية، وعندما تأكد من عدم وجود سبب لمؤاخذته صفعه على وجهه لمجرد أن سحنته تشبه الكوريين.

بعدما غادرت خرائب هذه المنطقة المهجورة التى ترمز إلى الإستبداد عدت إلى المستشفى لتناول طعام الإفطار، وحين كانت السيدة سائيكى العجوز تقدم لى الأرز بادرتنى بالحديث وقد ارتسمت على وجهها علامات الإهتمام: "يا دكتور لقد سمعت أن فرق سلاح المهندسين مستعدة أن تعطيك ما تريد من القمصان والبزات العسكرية فلماذا لا تذهب أنت والسيد ميزوجوتشى لإحضار ما يسد حاجة المرضى والمستشفى؟ إن لديهم الكثير فالجيش يملك كل شئ"، ثم فتحت ذراعها إلى أقصى ما تستطيع، واستطردت تقول: "سيعطونك مثل هذا القدر، فلديهم البطاطين والبزات العسكرية والأحذية المخزونة فى تلال ضخمة، صدقتى إن لديهم كل شئ فالجيش يملك الكثير!".

ولما كان السيد ميزوجوتشى قد تحقق من مدى صدق تلك الإشاعة فقد أدلى بدلوه فى الحديث قائلاً: "أيتها الجدة، لقد كان بعض تلك الأشياء متاحاً حتى الثامن عشر من هذا الشهر، ولكنهم الآن لن يعطونا شيئاً، ورغم ذلك يمكننا أن نحاول معهم". ثم إلتفت نحوى وقال: "لازال لديهم مخزون كبير فإذا توجهنا إلى ضابط القيادة بسلاح المهندسين وشرحنا له مدى حاجتنا إلى تلك الأشياء من أجل المستشفى ربما إستطاع أن يفعل شيئاً من أجلنا، وعلى أى حال فلا بأس من المحاولة". فوافقت على إقتراح السيد ميزوجوتشى وعزمتنا على التوجه إلى قيادة سلاح المهندسين بعد ظهر اليوم.

إمتلأت العيادة الخارجية بالمرضى الذين جاءوا يطلبون فحص دمائهم وشاهدت بين من ينتظرون دورهم فى الممر إثنان لم يبق فى رأسهما إلا القليل من الشعر، كما رأيت السيدة مائى أوكا التى كانت تعمل من قبل ممرضة بالمستشفى وقد فقدت زوجها خلال الحادث وجاءت إلى المستشفى لفحص حالتها حيث كانت تشكو من الإعياء، ونظرة واحدة إلى تلك المرأة المسكينة الواهنة الهزيلة ذات الوجه الكالح والعينين الذابلتين كانت كافية للتأكد من دنو أجلها، لقد جاءت إلى المستشفى تنشد العون، غير أنه لم يكن بإستطاعتنا أن نصنع شيئاً من أجلها.

لم يطرأ تغير ملحوظ على حالة مرضى القسم الداخلى اليوم، ولما كنت أقوم بجولات مستمرة بالمستشفى، فقد استطعت أن أميز بين المرضى وأقاربهم الذين يلازمونهم ولم يكن ثمة مشكلة سوى أن عدد أقارب المرضى كان يفوق عدد المرضى أنفسهم، وكان هؤلاء الأقارب يغادرون المستشفى فى الصباح بحثاً عن العمل ثم يعودوا إليها فى المساء، وبذلك كانت عنابر المستشفى أشبه ما تكون بمنطقة سكنية مليئة بالمرضى، ونظمت كل عائلة من العائلات حصيد "التتامي" الذى تتخذه فرائشاً لها بصورة تسمح بجمع أفراد الأسرة الواحدة بجوار بعضهم البعض، وكانت تلك التتامي تحيط بموضع الموقد وأتية الطبخ، وتولى السيد نوماتا الإشراف على عنابر المرضى بالملحق، بينما تولى السيد كيموتو الإشراف على عنابر المرضى بالمستشفى، وكان عملهما نموذجاً لما بذله رجالي من جهد لتوفير مكان الإقامة لهذا الخليط من الناس تحت سقف واحد.

أصبحت حالات الصلع التى إنتشرت بين المرضى تثير مخاوفنا الآن أكثر من حالات البثور، وقد ساءت حال السيدة هامادا اليوم فقدت شعرها جميعاً وازدادت البثور تحت جلدها، أما الأنسة كوباياشى فقد سقطت صريعة الحمى وتورمت حنجرتها وأخذت تشكو من الإعياء وضيق التنفس والألام المعوية وأصبح رأسها الأصلع يشبه القرع الأصفر وغطت البثور جسدها بأحجامها المختلفة وأصبحت حالتها هى والسيدة هامادا فى غاية السوء، أما السيد ساكاي المريض الذى تحدثت عنه بالأمس فقد بدأ رأسه وكأنه حليفاً، أما الأنسة كوباياشى التى كانت قد فقدت شعرها فى وقت مبكر فقد بدأ ينبت لها شعر أسود وجعل رأسها يبو وكأنه مطلى بالحبر، واشترك هؤلاء المرضى الثلاثة هامادا وكوباياشى وساكاي فى المعاناة من الصلع والبثور، فتساءلت: "ترى من سيموت منهم قبل صاحبه؟"

لم تكن لدينا وسيلة لتقدير حجم الإصابة بالبثور لأنه ما لم تبد أعراضها على المرضى فقد تمر دون أن نلاحظها، كما أننا لا نملك وسيلة للتأكد من العلاقة بين ظهور البثور وحدث الصلع لأن كلتا الحالتين كانتا تظهران على المريض الواحد خلال ساعات وعندما يصاب بهما المريض دفعة واحدة تصحبهما أعراض إعياء شديد.

بعد تناول الغذاء قمت والسيد ميزوجوتشى بزيارة قائد سلاح المهندسين، وحاولت أن أبود حسن الهيئة ولكن ذلك كان من الصعوبة بمكان، فقد كان بنطولنى وقميصى متسخان، وكانت قيادة الفرقة الخامسة بسلاح المهندسين تقع فى ضاحية ها كوشيما على شبه جزيرة بين فرعين من فروع نهر أوتا إلى الشمال مباشرة من المستشفى، وكان منزلى يقع بنفس الضاحية، وقبل حادث القصف كنت أظن أن تلك الضاحية كبيرة المساحة، ولكنها بدت أصغر مما كنت أظن بعدما قوضت معظم منازلها ودمر مابقى من المنازل تدميراً شديداً، وكانت المخازن الرئيسية للفرقة تقع عبر النهر ويصلها بالضاحية جسر كوهى، وقابلنا عند نهاية الجسر جندى يعرف السيد ميزوجوتشى من قبل عرض علينا أن يقودنا إلى مكان القائد.

سرنا عبر منطقة كانت تحيط بها الأسلحة والمعدات من الجانبين حتى بلغنا مدخل مغارة حفرت فى بطن التل حيث طلب منا الجندى الانتظار ثم دخل المغارة وعاد بعد قليل وبصحبه قائد الفرقة، وقد دهشت عندما رأيت الجندى والقائد عزل من السلاح فشعرت بالإكتئاب حين أيقنت أن جنودنا قد جردوا من سلاحهم، إن هذا المنظر يرمز إلى الهزيمة التى منينا بها.

كان القائد متقدماً فى السن تبدو الكآبة على وجهه، فشعرت بالرتاء لحالته، ولم أدر كيف أبدأ الحديث إليه، إنحنيت محيياً، وتولى السيد ميزوجوتشى تقديمى له، ثم إستعدت رباطة جأشى وأخذت أحدثه عن المستشفى وما يقع على عاتقى من مسؤوليات بادئاً بذكر تفاصيل ما حدث يوم البيكا حتى اليوم، وأنهيت حديثى بطلب المساعدة.

واستمع الضابط العجوز إلى حديثى بأدب جم، وعندما فرغت منه أجابنى بصوت خفيض ونبرات ضعيفة قائلاً: "حتى يوم 17 كانت لدى أوامر بتوزيع ملابس الجيش وبعض المعدات الأخرى. أما الآن فقد تغيرت هذه السياسة وتلقيت أوامر أخرى تقضى بتسليم تلك الأشياء إلى إدارة المدينة لتتولى مسؤولية توزيعها على المواطنين".

فسألته: "أليس من الممكن أن تقدم لإدارة المدينة الملابس والبطاطين والأشياء الأخرى الضرورية لتغطية حاجة مانئين من المرضى وأن تشير إلى وجوب تسليم هذه الأشياء إلى مستشفاً؟". فوافق الضابط العجوز على إقتراحى ووعد ببذل ما فى وسعه لتحقيق رغبتنا، فشكرناه على لطفه وأحينا رؤوسنا بالتحية ثم عدنا أدرأجنا.

فى الطريق إلى المستشفى أقيت نظرة على المعدات التى كانت تبدو كنوزاً بالنسبة لنا. كان هناك الكثير من الأشياء، بلط ومصابيح بحرية، وأوانى للطهى، ومكاتب ومقاعد وصناديق كتب عليها عبارة (أحذية) مكدسة فى أكوام تكاد تبلغ عنان السماء، بالإضافة إلى تلال من البطاطين والبزات العسكرية وصناديق كبيرة تحوى مصنوعات جلدية، بدا لنا أن هذه الأشياء كفيلاً بتوفير الكساء لجميع مواطنى هيروشيما، فإذا إستطعنا أن نحصل على بعض تلك الأشياء لمستشفانا لوجدنا حلاً لإحدى مشاكلنا الرئيسية. وأثناء عودتنا أخذت أبحث فى ذاكراتى عنى يستطيع من بين معارفى أن يتوسط لنا فى هذا الموضوع، ولكنى لم أتذكر أحداً، ولهذا قررت أن أوفد السيد ميزوجوتشى إلى إدارة المدينة ليبلغ المسؤولين هناك بما دار فى مقابلتنا مع قائد فرقة المهندسين، ويلتمس منهم العون قبل أن يخرج الأمر من أيديهم.

وبعد العشاء أطلعنى الدكتور كاتسوبى والدكتور هناوكا على النتائج الأولية لتحاليل الدم التى قاموا بإجرائها، ولم يكن بإستطاعتهم إستخدام المجهر فى الليل لإنقطاع الكهرباء عن المستشفى منذ حادث القصف، ولذلك إقتصر عملهما طوال

اليوم على فحص 50 حالة فقط، وتراوح عدد كرات الدم البيضاء عند الأشخاص الذين أصيبوا بمنطقة أوشيما على بعد ثلاثة كيلو مترات من مركز الانفجار ما بين 3000 و 4000 كرة، أما المرضى الذين كانوا أكثر قرباً من مركز الانفجار فكان عدد كرات الدم البيضاء عندهم أقل من ذلك، فبلغ عدد كرات الدم البيضاء عندهم ألفاً، أما المرضى الذين إشتد بهم المرض فقد كانت كرات الدم البيضاء عندهم أقل من الألف، وكلما كان موقع الإصابة أقرب إلى مركز التفجير كلما نقص عدد كرات الدم البيضاء، فإذا إستطعنا فحص دماء بضع مئات من المرضى لكان بمقدورنا أن نبين العلاقة بين البعد عن مركز التفجير وعدد كرات الدم البيضاء. غير أن موقع مركز التفجير لم يكن محددًا بدقة لأن القنبلة الذرية لم تنفجر على الأرض²³ وإنما انفجرت في الهواء ولذلك لم تترك أثراً محددة في موقع بيعنه. وقد ذكر البعض أن القنبلة انفجرت فوق جسر أيوتى بينما ذكر البعض الآخر أنها انفجرت فوق مكتب بريد هيروشيما أو مستشفى شيما أو متحف العلوم والصناعة أو مدخل هيكل جوكوك، ولما كنا لا نستطيع ترجيح أحد تلك الآراء فإنه لا يمكننا أن نحدد مركز التفجير بدقة. وقد أجمعت معظم الآراء على إعتبار مدخل هيكل جوكوك مركزاً للتفجير، ولكنى أعتقد أن ذلك المركز يقع إلى الجنوب من الهيكل، ولذلك إفترضنا أن تلك المنطقة هي مركز التفجير.

وقد دفعتنا النتائج الأولية لفحوص الدم إلى المزيد من حب الإستطلاع فتلك هي المرة الأولى التي نواجه فيها عدواً مجهولاً هو قنبلة الذرية، وأثارتني نتائج التحاليل حتى أننى لم أستطع النوم طوال الليل إلا لماماً.

23 أغسطس 1945

يوم صافى السماء وإن بدت بعض السحب فى الأفق وتهب نسيمات علية.

بدأت يومى بزيارة المرحاض الأنيق الذى إكتشفته بالأمس، وعندما عدت إلى الحجرة كان السيد شوتا متجمهاً يرقبني من النافذة، والسيد شيوتا هذا هو مديرنا السابق الذى أعيد إلى وظيفته منذ بضعة أيام، وكلما أتيت له فرصة الخروج من المصلحة كان يعود إلينا بكيسين بكل منهما خمسين علبه من الساجير، ولا أدري من أين أو كيف كان يحصل على تلك الساجير، ولكننا كنا نسعد بها، ولم أر مثل هذه الكمية من الساجير إلا فى محلات البيع، ولم أحلم يوماً بالحصول على مثلها، وكنا نحفظ بتلك العلب لنستمتع بكرم السيد شيوتا، وقد شاركنا الإستمتاع بها مدمنوا التدخين من المرضى، وساعدت تلك الساجير معاونينا من الطلبة على أداء خدماتهم على الوجه الأكمل، فلم يكن بإستطاعتنا أن نفعل شيئاً دون أن يؤمن لنا السيد شيوتا مؤونتنا من الساجير، وهو أمر لم يكن متاحاً لمواطنى هيروشيما فى تلك الأيام.

تحسنت حالة الدكتور ساسادا اليوم فأصبح بإستطاعتنا أن نرى وجهه البرئ وراء تلك القشرة التى يختلط لونها بالأحمر والنبى، وكان تحسنه طفيفاً، كما أن البثور التى ظهرت فى صدره والتى حاول أن يخفيها عنا شفيت تماماً، أما حروق الأنسة ياما فما زالت تؤلمها ولكن لم تبد عليها أعراض البثور أو الصلع، وقل الرشع من حروق الأنسة سوسو كيدا وتحسنت حالة وجهها، وهبطت درجة حرارة زوجتى غير أنها لا تزال تعاني من القشعريرة ولكنها لا تبدو فى حالة سيئة، وقد إبتهجنا جميعاً لإختفاء البثور من صدر الدكتور ساسادا لأن ذلك يعنى أنها لا ترتبط دائماً بالموت، وهو إستنتاج جعلنا نمثلئ بهجة وتفاؤلاً.

وحولى الساعة العاشرة زارنى صديقى السيد إيسون، وكان نبأ تعيينه رئيساً لمصلحة المواصلات مفاجأة لى، وكان يشغل من قبل منصب رئيس القسم الطبى بوزارة المواصلات عندما إنتقلت بخدمة المصلحة، ونال إحترامى لعلمه وكفائته فى إدارة المستشفيات، وكان قلقاً بسبب الإشاعات التى تواترت عن أن هيروشيما لن تصبح صالحة للسكن قبل 75 عاماً فلم أتوان عن بث الطمأنينة فى نفسه.

كان الجو فى العنابر الأخرى يختلف تماماً عن الجو فى قاعتنا هذا الصباح فإن المرضى الذين لم يصيهم الصلع كانوا قلقين على مصيرهم يشدون شعرهم من حين لآخر، أما أولئك الذين أصابهم الصلع فقد ظنوا أنهم قد أصبحوا على أعتاب الموت، ويجب أن أعتزف بمشاركتهم هذا الشعور رغم أن إختفاء البثور من جسد الدكتور ساسادا قد أقتنعنى أنه لا صلة بين تلك الأعراض وبين الوفاة. وحدث أثناء مرورى بالمستشفى أن إستوقفتنى أحد المرضى قائلاً: "يا دكتور، أن شعرى قد خف أليس كذلك؟" فأجبتته بقولى: " لقد ولدت بشعر خفيف وقضى الزمن على جزء آخر من شعرى ولعلك تعلم كما أعلم أنا أيضاً أنه لا علاقة بين الشعر وطول العمر". ولكن هذه الإجابة كانت تخفى ما أعانية من الخوف، فلم أقل للمريض أننى كنت أشد شعرى مثل الجميع لأتأكد من أنه لن يستقط، كنت فى قرارة نفسى قلقاً إلى حد كبير، ولم ينظر تظاهرى بالشجاعة على أحد، وكلما حاولت أن أخفى حقيقة شعورى فضحتى تعابير وجهى.

واكتشفت خلال جولاتى أن أولئك الذين لم تبد عليهم أعراض أخرى غير الصلع قد بدأوا فى التحسن، وأصيب أحد مرضى العيادة الخارجية بالصلع تماماً ولكنه لايشكو من الإعياء، غير أن الصلع لا يعنى أن وفاة المريض أمر لا مفر منه. وقد تجولت بين المرضى مرات ومرات، أطيب خاطرهم، وأهدأ من روعهم، دون أن أستطيع أن أقدم لهم العلاج الناجع. أما المرضى الثلاثة الذين وصفت حالتهم بالأمس فقد إزدادوا وهناً على وهن، وإنتشرت البثور فى أجسادهم، وكان السيد

²³ انفجرت القنبلة على إرتفاع ما بين 500: 700 فوق البحر وربما كان مركز التفجير بالقرب من مستشفى شيما، فكما ذكر الدكتور هاتشيا وجدت الأعمدة الخرسانية التى شكلت دعائمات بناء المستشفى غائصة فى الأرض ولاينتج ذلك إلا عن قوة ضاغطة من أعلى وإلا لكانت تلك الدعائمات قد سقطت على الأرض بدلاً من الغوص فيها.

ساساكي أشد الثلاثة مرضاً وإعياء، ربما ذلك بسبب تقدمه في السن، فأصبح أصلاً تماماً هو والأنسة كويباتشي، أما شعر السيدة هامادا فقد خف قليلاً، ومن الصعب أن نقرر إذا كانت ستصبح صلعاء تماماً أو لا.

وكان بين مرضى البثور من إختفت بثورهم مثل الدكتور ساسادا، بينما كانت البثور عند البعض الآخر تتناقص، وليس لدينا دليل حتى الآن أن ثمة علاقة بين سقوط الشعر والبثور المنتشرة تحت الجلد، ربما إرتبط الصلغ بالحالة الصحية العامة للمريض أو العكس.

قمت هذا الصباح بإضافة حالة جديدة إلى سجل العيادة:

السيد أوتاني، ذكر، السن خمسون عاماً، أصيب في الطابق الثاني بمبنى إدارة التموين في هاتشوبوري على بعد 750 متراً من مركز التفجير، تقياً نحو خمسة عشرة مرة فور سقوط القنبلة، وكان يشكو من الصداع والإعياء، تحسنت حالته بعد أسبوع وأصبح قادراً على المشى مرة أخرى، يشكو من التهاب اللثة، منذ يومين أو ثلاثة أيام أصبحت حالته سيئة، لا تبدو عليه أعراض الصلغ ولكن البثور تنتشر في جسده.

وتعد حالة هذا الرجل مماثلة لحالة الكثيرين الذين تماثلوا للشفاء ثم تدهورت صحتهم بعد ذلك، وإذا صح ذلك فإنه يعني أن الأشخاص الذين يبدون الآن في حالة طيبة قد يمروا بنفس المرحلة.

انتهيت من جولاتي وذهبت لتناول طعام الغذاء، ولم يكن هناك بحجرة الطعام سوى السيدة سائكي العجوز، فقلت لها أثناء جلوسى لتناول الطعام: "أيتها الجدة، إن عدد المرضى الذين ساءت حالتهم في إزدياد، أننى لا أهتم كثيراً لحالة أولئك الذين فقدوا شعرهم، ولكنى قلق على أولئك الذين يشكون من تورم الحلق والحمى إذ لا يبدو عليهم التحسن ولا أمل لهم في النجاة، حتى إذا تحسنت حالتهم نوعاً ما فإنها لا تلبث أن تسوء من جديد". وإستمعت إلى الجدة التي تحملت كل مشاكلنا بصبر وتوقفت برهة وهي تعد الشاي لتقول: "يا دكتور، يجب أن تعتنى بنفسك أولاً، فالإرهاق في العمل في مثل تلك الظروف غير مستحب، وأنت تعمل فوق طاقتك، إن لون وجهك أصبح لا يعجبني، يجب عليك أن تبحث عن يساعذك ويخفف عنك بعض العناء". ووضعت الجدة كوب الشاي أمامي وبعد أن شربته دخنت سيجارة ثم عدت إلى غرفتي. وقلت للدكتور ساسادا والسيد شيوتا: "إن السماء تبارك هذه القاعة، إن السماء تباركها، ولكن مرضى الطابق الأرضى حالتهم سيئة إنه أمر مزعج، فالذباب ينتشر بينهم، ويغطي السقوف مثل بذور السمسم، وإذا إقتربت من المرحاض رأيتهم يتدفقون عليه في جلبة كبيرة، حتى أن السيدة سائكي العجوز تسميهم الذباب الأدمى (نيمباي)، أتدرون لماذا؟ لأنها رأت الناس يذبنهم كما يذبنون الذباب"، وضحك رفاقي غير أنى واصلت الحديث بضيق: "إذا كنتم لا تصدقوني أنزلوا إلى الطابق الأرضى وإنظروا بأعينكم" فرد السيد شيوتا قائلاً: "أنا نعلم هذا جيداً ولم نضحك منك، ولكننا ضحكنا من التعبير الساخر الذى أطلقته السيدة سائكي عليهم، ربما كانت على حق ولهذا السبب رأيناك تختار المرحاض الذى يقع خارج المستشفى". فأجبت: "جربة مرة يا سيد شيوتا وقارن بينه وبين مرحاض المستشفى لتعرف أيهما الأحسن، ولكنى أضحك أن تنتظر حتى يحل الليل إذا أردت أن تقضى حاجتك".

وجاء الدكتور كوياما بينما كنا نضحك ونمزح حول موضوع المرحاض والذباب الأدمى الذى حدثتني عنه السيدة سائكي، وبدا عليه الضيق فقال متعجباً: "كدت أفقد صوابي فإن محاولة تنظيم فرق الإسعاف من الصعوبة بمكان، ولا أستطيع أن أحصل منهم على عمل مفيد، لأنهم يجلسون ويثرثرون في مسائل لا تتصل بعملهم، ألا يكفي هذا العبث؟".

وشرع الدكتور كوياما في إعطائي بعض التفاصيل حول نظام العمل بالمستشفى حتى يغير موضوع الحديث، فذكر لى أن الدكتور فوجي طبيب الأسنان يتولى الإشراف على عيادة الجراحة الخارجية، أما الدكتور هانا أوكا فيدير العيادة الطبية الخارجية، بينما كان الدكتور أكي ياما يشرف على عنابر المستشفى وملحق المستشفى بمبنى المصلحة، ويتولى توجيه الأطباء الخارجيين الذين جاءوا لمساعدتنا، وتفرغ الدكتور كاتسوبي لغرفة العمليات والعناية بالمرضى في العنابر الداخلية، أما الممرضات فقد مارسن عملهن في هذا المكان أو ذاك كلما دعت الحاجة إلى الإستفادة بجهودهن، وتولى الدكتور كوياما إدارة عيادة العيون بالإضافة إلى واجباته الإدارية.

وسألت الدكتور كوياما عن ملاحظاته حول مرضى عيادة العيون فذكر لى أن قاع عيون المرضى الذين كانوا ينظرون إلى الطائرة ساعة إلقائها القنبلة قد إحترق، ويبدو أن بريق الضوء الناجم عن تفجير القنبلة إختراق حدقات عيونهم وأصابهم بالعمى، وأن معظم حالات حروق قاع العين من الدرجة الثالثة ولذلك لا أمل في شفائهم، أما أولئك الذين أصابتهم الحروق في وجوههم أو أجسامهم فكانوا أحسن حظاً، فاذا كانت وجوههم قد شوهدت فإنهم على الأقل لا زالوا يحتفظون بنعمة البصر.

عانت زوجتى من الحمى من جديد وازداد ارتجاجها فأعطيتها أقرصاً من الأسبرين والبيراميدون.

24 أغسطس 1945

جو لطيف بشكل عام.

كان الليل مرتعاً للبعوض، ونتيجة لذلك لم أنق طعم النوم إلا لماماً، ورأيت فيما يرى النائم حلماً مزعجاً، رأيتنى في طوكيو عقب وقوع زلزال مدمر أسير وسط تلال من أشلاء الموتى، وكانت جميع الجثث تنظر إلى، ورأيت عيناً فوق

راحة فتاة، ثم طارت تلك العين في السماء فجأة وإتجهت نحوى وحين نظرت إلى السماء رأيت العين أكبر بكثير من حجمها الطبيعي، وأخذت تحوم حول رأسى بينما كانت حدقتها متجهة نحوى، ولكنى كنت عاجزاً تماماً عن الحركة.

وإستيقظت على إحساس بضيق التنفس، وكان قلبى يدق بعنف، ويبدو أنى كنت ألتقط أنفاسى بصعوبة بعد هذا الحلم المفزع، لقد تأثرت كثيراً بالقصة التى سمعتها عن ذلك الرجل الذى كان يحمل عينيه على راحة يده فى نقطة اسعاف هيجى ياما.

وإستقيت على فراشى محاولاً أن أتذكر إسم الرجل الذى قص على تلك القصة، ولكنى لم أستطع تذكر إسمه، كنت أعرف الرجل تمام المعرفة، وأعرف مكان عمله ولكنى لا أذكر إسمه، وقد أزعجنى عدم القدرة على تذكر الأسماء وهى ظاهرة بدأت بشكل واضح بعد البيكا، وكانت الأسماء تطرأ على ذهنى أحياناً ثم تختفى تماماً أحياناً أخرى، وكثيراً ما كنت أتذكر الأسماء ولا أكاد أتذكر الملامح، فإذا إستمر الأمر على ذلك الحال ربما بلغت حد الجنون.

وتذكرت تقرير الدكتور كوياما عن المرضى الذين فقدوا البصر نتيجة تركيزهم النظر على القنبلة ساعة البيكا، وحالتهم لها ما يبررها، فقد تلفت أعصاب عيونهم تماماً، ولكنى لم أصب بشكل مباشر، رأيت البريق حقاً، لكن الإشعاعات المحرقة لم تصبنى بسوء، وظلت عدسات عيني سليمة. وربما كان البيكا يسبب تلف الأجهزة حتى لو أصابها بشكل غير مباشر، ولعل الضعف أصاب عيني نتيجة البيكا، ولا أعتقد أنى أعانى حالة إعياء رجعى، ترى هل من الممكن أن يحدث ذلك بالنسبة للعيون؟ وهل هناك علاقة بين تلك الظاهرة وعدم القدرة على تذكر الأسماء وملامح الوجوه؟ وهل ستتحسن حالتى أم ستلازمنى هذه الحالة حتى نهاية العمر؟ وعندما أشرق الصباح كنت فى حالة سيئة، أوفن أن الشفاء لن يعرف طريقة إلى.

ولم يخفف الإفطار كثيراً مما أعانيه ولذلك عدت إلى فراشى بعد الإفطار، وأخذت أحملق عبر النافذة شارد الذهن، فوقعت عيناي على شاحنة تتجه نحو المستشفى، ونسيت كل متاعى، كانت الشاحنة محملة باللوازم التى طلبناها من فرقة سلاح المهندسين وبعد تفرغها أصبحت هناك كومة هائلة من الأشياء أمام باب المستشفى تشمل المناشير والبلط وأوانى الطبخ والحبال والدلاء والمصابيح والأحذية والفؤوس والسكاكين والمكاتب والعديد من الأشياء الأخرى، يا لها من معونة ثمينة!

وساهم فى تفرغ تلك الحمولة كل قادر على الحركة من المرضى وأقاربهم، ونالوا كل ما يحتاجون إليه، وكان إقبالهم كبيراً على أدوات الطهى، ولم أشأ أن أتخلف عن الراكب، فحصلت لنفسى على إناء أبيض للارز تتوسطه نجمة زرقاء، وطبق أبيض تزيينه رسوم الكريز، وعم الفرح والإبتهاج جميع من بالمستشفى، وإنقلب سكون عابري المستشفى إلى ضوضاء وصخب لم نعشهما منذ البيكا، فتعالت الأصوات والضحكات، وأصبح المرضى الذين كانوا يظهون طعامهم فى علب الصفيح يقتنون الآن أوانى جديدة وأطباق جديدة وضعوها بجوار سائدهم، وسعد فريق الصيانة بالمستشفى بالحصول على المناشير والبلط فيمقدروهم الآن أن يوفروا لنا كل ما نحتاجه من أخشاب للوقود، وأصبح لدينا معدات للطهى وأوانى للطعام لأول مرة منذ وقع البيكا، كما تتوفر لدينا الآن الآلات والأدوات اللازمة لتوفير حاجتنا من الأخشاب.

ولم أستطع أن أقوم بجولاتى المتعادة هذا الصباح، فقد إختلط الحابل بالنابل فى المستشفى، ولذلك قمت بتلك الجولات بعد الظهر.

توفى السيد ساكاي بعد أن إشتكى فى لحظات الأخيرة من ضيق التنفس وفقدان الرؤية، كما ماتت السيدة هامادا بنفس الطريقة، أما الأنسة كوباياشى فقد بلغت درجة حرارتها 41 ولكنها كانت لا تزال على قيد الحياة، وساءت حالة فمها المتقيح وأخذت تعاني من ضيق التنفس، ومنذ الصباح داهمتها آلام معوية حادة ولم نستطع التحقق مما إذا كانت تعاني من التهاب بريتونى أو تهتك فى المعدة، أما السيد أونومى فقد زاد وهنا على هن، وغطت البثور جسده، كما أخذ يعاني من سقوط الشعر هذا الصباح، أما المرضى الذين أصبحوا صلعي تماماً أو الذين كانوا فى طريقهم إلى الصلغ، فلم تبد عليهم أعراضاً جديدة. وأكد هذا إستنتاجنا أن الصلغ لا يعنى بالضرورة دنو الأجل. وتحسنت حالة الدكتور ساسادا والسيد شيوتا، أما الأنسة ياما والأنسة سوسو كيدا فلم تتجاوز حالتها حد الخطورة، وإن كانت تميل إلى الثبات، وإستمرت زوجتى تعاني من الحمى والرعدة، ولم أملك من وسيلة لعلاجها سوى الإسبرين. وبعد العشاء تبادلنا أطراف الحديث مع السيد ميزوجوتشى والأنسة كادو والسيدة سائيكى العجوز بحجرة الطعام، وعلمت منهم أن الناس هاجموا مخاؤون سلاح المهندسين، وكانوا مثل قبائل البربر يجرون العربات ويحملون فوقها كل ما تصل إليه أيديهم. وعلمت أن جانباً من الإمدادات التى وصلتنا اليوم وتركت أمام المستشفى قد سرق. لقد أصبحت هيروشيما مدينة مضطربة، ولكنى لم أدعش لسماع تلك الأخبار، فلم تكن هناك قوات لحفظ الأمن بالمدينة غير أنى شعرت بالخجل لأعمال السلب والنهب التى حدثت.

رأيت ضوءاً يتراقص أمام نافذتى فى وقت متأخر من الليل، وحين نظرت من النافذة تبينت أنهم يحرقون جثتى السيد ساكاي والسيدة هامادا، وكان ظل الحمام يتأرجح خلف محرقة الجثث.

25 أغسطس 1945

غيوم فى الصباح الباكر ما لبثت أن إنقشعت ثم أصبح السماء صحواً.

استيقظت وذهبت إلى مرحاضى الخاص، وفي طريق العودة إلى المستشفى توقفت عند المكان الذى أحرقت فيه جثتا السيد ساكاي والسيدة هامادا، ولم تكن عظام الجماجم تحترق تماماً من قبل لعدم توافر الأخشاب لدينا، أما الآن فقد توافرت الأخشاب بعد حصولنا على المناشير والبلط ولم يبق من الجثتين سوى رماد أبيض.

عسكرت جيوش من الذباب حول مدخل المستشفى، وكلما خطا المرؤ خطوة طار الذباب فى سحب سوداء، وكان صوت طنينه فظيماً، ورأيت كومة من الذباب فوق بعض عظام السمك، فمددت عصا وحركت تلك العظام لأجد تحتها كميات ضخمة من الدود الأبيض، وما كدت أرفع العصا بعيداً عن موضع العظام حتى عاد الذباب يتكرم فوقها بشكل مخيف، ولم يكن ذلك الذباب ذباباً آدمياً (نمباى) على حد تعبير السيدة سائيكى العجوز، ولكن ليس ثمة فرق على أى حال، فالذباب يتواجد داخل المستشفى كما يتواجد خارجه، ولا نملك وسيلة للقضاء عليه، فمع رداءة الجو وانتشار القاذورات إلى درجة كبيرة يتهيأ له مرتعاً خصباً، وكان الذباب أقل مضايقة بالطابق الثانى منه بالطابق الأرضى. كنا لا نرى ذبابة واحدة حولنا بعد البيكا، ولكننا الآن نغرق فى خضم من الذباب والبعوض، وقد ناقشنا هذه المشكلة أثناء تناول الإفطار على أمل أن نجد فكرة عند أحدنا تفيد فى التخلص من تلك الحشرات، ولكن السيدة سانكى العجوز ضربت رأسها بيدها وقالت: "إنه ذباب آدمى تقمصته أرواح الموتى، لذلك لا يمكن مواجهته، إنه يملأ الطابق الأرضى والمطبخ، حتى أن المرء لا يكاد يفتح فمه دون أن ينفادى إندفاع الذباب فيه". وفكرنا فى إحراق المناطق التى يتوالد فيها الذباب حول المستشفى بالبنزين، ولكن من أين لنا به وقد أصبح البترول أثمن من دم الإنسان، ولذلك عدلنا عن الفكرة، كما أن الذباب كان يتكاثر فى الخرائب المنتشرة فى المدينة كلها ولذلك لا يحتمل أن تثمر الجهود التى تبذلها فى هذا الصدد.

تلقينا اليوم حمولة جديدة من المعونة العسكرية التى قدمها لنا سلاح المهندسين ولكن تلك الحمولة كانت أقل نفعاً من حمولة الأمس فيما عدا بعض أواني الطهى وأحد المواقد وبعض المكاتب القديمة المتأكلة، وتضمنت حمولة اليوم صناديق ممتلئة بأعلام اليابان الصغيرة وأخرى تحتوي على بعض الأدوات ذات اللون الكاكي، كما ضمت بعض الصناديق أشياء صغيرة كان من بينها مصابيح تعمل بالبطارية داخل أكياس من الجلد.

وكان الأشخاص الذين يأتون إلى المستشفى أو يغادرونها يأخذون بعض الأعلام وبعض الأدوات ذات اللون الكاكي، وكان الأطفال يلعبون بالأعلام ويجرون هنا وهناك ملوحين بها متصايحين ضاحكين بسعادة غامرة. وراقبت من نافذة غرفتي الناس وهم يأخذون بعض تلك الأشياء التى كومت أمام المستشفى كان بعضهم ينظر ذات اليمن وذات الشمال خلسة قبل أن يلتقط ما يريد، بينما كان البعض يلتقط الشئ ثم ينظر ذات اليمن وذات الشمال وينصرف، على حين كان البعض الآخر يهجم على تلك الأشياء يجوس بينها بطريقة تبعث على الإشمزاز ويختطف ما تصل إليه يده ثم ينصرف مسرعاً. كانت تلك الدراما الصغيرة تعكس طبيعة وتربية هؤلاء وأولئك، وكان القليل من الناس يقف أمام كومة المعدات ثم يسأل بعض العاملين بالمستشفى عما إذا كان بإستطاعته أن يأخذ بعضها منها، وجعلنى هذا النوع الأخير من الناس أشعر أن الخير مازال موجوداً فى هذا العالم، كما جعلنى أعقد العزم على مراجعة نفسى قبل الإقدام على سلوك أى مسلك.

وفى جولتى هذا الصباح إكتشفت أن جميع مرضى القسم الداخلى يعانون الآن من البثور والصلع، ورغم ذلك لم تتدهور أحوالهم، مما جعل التفاؤل يعم جميع عنابر المستشفى، وقد سألتى الكثيرون عما إذا كان شعرهم سينبت من جديد، ورغم أننى لم أكن على يقين من ذلك كنت أرد بالإيجاب، ولم يكن من الأمانة أن أتصرف على هذا النحو، ولكن عزائى الوحيد أن كلماتى كانت تبعث السرور فى نفوس هؤلاء المرضى.

وقليل من بين مرضى البثور والصلع من جفت حلوقهم وارتفعت حرارتهم وكانت حالة هؤلاء المرضى سيئة وعدد كرات الدم البيضاء عندهم أقل من غيرهم أما السيد أونومى فكان يعانى ألماً مبرحاً نتيجة سقوط الشرح، وإزدادت البثور فى صدره، وساعت حال فمه وإرتفعت درجة حرارته، وبدت حالته سيئة بوجه عام، غير أن الأنسة كوباياشى كانت أسوأ منه حالاً فلا زالت تعانى ألماً معوية وحالتها سيئة بوجه عام، ورغم أنها لم تقاوم يدى حين قمت بفحصها إلا أن لمسات أصابعى كانت تسبب لها ألماً مبرحاً، كان فمها وحلقها جافان متورمان، ولم يكن بإستطاعتها ابتلاع أى شئ، وبلغت درجة حرارتها 41، ورجتني أن أيسر لها سبيل الموت.

وكان كلا من السيد أونومى والأنسة كوباياشى قد إشتكيا من التجشؤ وفقدان الشهية بعد البيكا، ثم عانيا من القي والإسهال بعد ذلك، ولكن حالتهما تحسنت بعد أسبوع، ثم أصابتهما البثور والصلع منذ أربعة أو خمسة أيام، وإزداد شعورهما بالألم المصحوب بالتهاب الفم وتورمه، وأصبح واضحاً أن هذه المجموعة من الأعراض بالإضافة إلى إنخفاض عدد كرات الدم البيضاء الذى إتفقا فيه تحدد جميعاً تشخيص حالتهما.

أما الدكتور ساسادا فكان أخذاً فى التحسن، وفكرنا فى السماح له بمغادرة المستشفى، وإستمرت حالة الأنسة ياما والأنسة سوسوكيدا على ما كانت عليه دون تحسن.

دخل السيد كادويا مدير إدارة الشؤون الاجتماعية بمصلحة المواصلات المستشفى بعد أن ظهرت عليه أعراض الإسهال، وكان قد نقل إلى مصلحة المواصلات بهيروشيما بعد البيكا، فنقلت زوجتى إلى فراش فى الممر حتى نخلى مكانها للسيد كادويا وكان الإسهال عنده مصحوباً بالألم معوية شديدة، وظننت أن حالته ستتحسن لأنه لم يكن موجوداً بهيروشيما عند إنفجار القنبلة.

وبعد تناول العشاء تبادلنا أطراف الحديث حول الآثار التي ترتبت على تفجير القنبلة الذرية، وكان الاعتقاد السائد بيننا أنه إذا كانت تلك القنبلة تحوى غازا ساما فان الموت لابد أن يكون ظاهرة عامة، ولاحظ البعض أن من جاءوا إلى هيروشيما بعد البيكا ظهرت عليهم أعراض شبيهة بتلك الأعراض التي ظهرت على أهالي هيروشيما الذين كانوا يقيمون بها عند وقوع الكارثة، وذكرت حالة رجل جاء من جيون إلى هيروشيما بعد البيكا ثم مات بتلك الأعراض، كما لاحظت أن التهاب اللوزتين والحلق وجفاف الفم كان عرضاً سائدا بين أولئك الذين نجوا من الإصابة وظهرت عليهم تلك الأعراض بعد قيامهم بتمريض المصابين، وأشيع أن الكثير من الناس الذين كانوا يحتمون داخل مابنى خرسانية قرب مركز التفجير قد نجوا من الإصابة فى بداية الأمر ثم ماتوا بتلك الأعراض بعد ذلك نتيجة قيامهم بالعمل وسط الخراب. وعاد القلق يسيطر على الجميع من جديد، وعجزنا عن بعث الطمأنينة فى نفوس من أصيبوا بالصلع والبثور، فمخاوفهم لها ما يبررها.

إنقضت ستة أيام على الفحص الأول الذى أجريناه للدم، وعلينا أن نكرر الفحص مرة أخرى فى الغد، وعقدت العزم على أن أعد تقريرا بنتيجة الفحص فى كل عنبر من عنابر المستشفى وأن أضمن تلك النتائج فى تقرير شامل يتضمن العلامات والأعراض التى بدت على مرضانا مع وصف ما يطرأ على حالتهم من من تطور، فقد يساعد ذلك على إستعادة الطمأنينة إلى النفوس، وإقتنع أن مثل ذلك التقرير الذى يعتمد على ملاحظتنا سيفعل الكثير لإزالة مخاوف المرضى. وأويت إلى فراشى لأنعم لأول مرة بنوم عميق.

26 أغسطس 1945

جو غائم ممطر طوال اليوم.

كنت منهمكا فى كتابة ملاحظاتي حول أعراض المرض بعد تناول الإفطار عندما إندفعت إحدى الممرضات إلى الحجرة لتبلغنى نبا إحتضار الأنسة كوباياشى، وما كدت أصل إليها حتى كانت قد فارقت الحياة.

وكانت تشكو بإستمرار من آلام باطنية مبرحة منذ الصباح الباكر، رغم أن بطنها كانت قد ترهلت قليلا، ولم نلاحظ عليها أعراض الإلتهاب البريتونى، ترى هل كانت تشكو من إلتهاب البنكرياس أو من فتق نتيجة حمل خارج الرحم؟ لقد كان المرضى الآخرون يشكون من آلام البطن ولكن حالتها كانت أكثر إيلاماً من غيرها، وقد تناقشت مع الدكتور كاتسوى حول الإحتمالات المختلفة للمرض ولم نصل إلى نتيجة أفضل من تلك التى بدأنا بها، وكان ثمة سبيل واحد للوصول إلى الحقيقة فقلت للدكتور كاتسوى: "يجب أن نشرح الجثة فهذا هو السبيل الوحيد للتعرف على هذه الحالة"، فوافقنى الدكتور كاتسوى على هذا الإقتراح وهو مستغرق فى التفكير.

حل ميعاد فحص الدم بالنسبة لنا، فنزلت مع الدكتور كاتسوى إلى العيادة الخارجية بالطابق الأرضى، وعلما من الدكتور هانا أوكا أن أولئك الذين كانوا بالقرب من مركز التفجير لا زال عدد كرات الدم البيضاء عندهم منخفضاً، أما أولئك الذين كانوا على بعد يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة كيلو مترات من مركز التفجير فقد كان عدد كرات دماهم البيضاء متزايداً. وسررت حين علمت أن عدد كرات دمي البيضاء أخذت تتزايد من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، وربت الدكتور هانا أوكا على كنفى وقال: "إن كل شئ على ما يرام الآن يادكتور".

وحين عدت إلى جحرتى أخبرت الجميع أن خلايا دمي البيضاء قد تزايد عددها وحثتهم على الذهاب لإجراء الفحص، وقد كان لهذا النبا وقع طيب عندهم، وبينما كنت أتحدث مع من حولى فرحاً جاءنى من يبلغنى أن الرئيس إيسونو يريد أن يرانى، فذهبت إلى مكتبه لأجده قلقاً مرتاعاً، وبادرنى بالسؤال دون تحية: "يادكتور هاتشيا هل أنت بخير؟ إن لون بشرتك لا يبدو طبيعياً، هل صحيح أن الناس الذين جاءوا إلى هيروشيما بعد البيكا سيلقوا حتفهم؟ وهل يجب أن نترك المصلحة ونذهب إلى مكان آخر؟ إن العاملين معى ينتابهم القلق ولا يقبلون على العمل كما يجب، فمارأيك؟" فأجبتته بقولى: "أيها الرئيس إيسونو، أعتقد أنك مزعج لأنك نقلت إلى هنا من مكان آخر، أما نحن الذين لم نترك هذا المكان منذ وقع الحادث الأليم فقد إعتدنا الظروف التى نعيشها، ولم نعد نشعر بالضيق نحوها، وقد سمعت مثلك تماماً أن الناس لن يستطيعوا الحياة هنا طوال الخمسة وسبعين عاماً القادمة ولكنه هراء، أنظر إلى لقد عاصرت الحادث من بدايته ولم يبق مكان فى جسدى دون إصابة، وهأنذا أسترد صحتى، ويحدث نفس الشئ لبقية العاملين معى، فلم يمت منا أحد، وعدم إنتظام موظفيك فى مزاوله أعمالهم راجع إلى إرتباطاتهم المنزلية وإلى ما يقع على عاتقهم من مسؤوليات عائلية عاجلة، وأنت تعلم -كما أعلم أيضاً- أن كل بيت فقد واحداً أو أكثر من أفراد الأسرة أو لحقت بهم الإصابات، أما الذين قضوا نحبهم فقد كانوا أقرب الناس إلى مركز التفجير، وثمة علاقة بين تأثير القصف والأعراض التى بدت على المرضى والتى تطورت على شكل بثور أو صلع، وسنقوم بتشريح جثة أحد هؤلاء المرضى اليوم، ونحن قلقون على حال المرضى وليس على غيرهم ممن جاءوا إلى هيروشيما بعد سقوط القنبلة، وأعترف لك أننا لا نعرف سبب تلك الأعراض كما أننا لا ندرى ماذا نفعل".

وحاولت أن أطمئن الرئيس إيسونو غير أنى لم أنجح فى ذلك، فقد إستطرد قائلاً: "إذا لم يكن بإستطاعتك أن تصنع شيئاً فإن عدد العاملين سوف يتناقص ثم لا نجد بعد ذلك من يقوم بالعمل، وأعتقد أن ما يجب أن نفعله لإستعادة ثقة العاملين هو أن ننقل المصلحة إلى مكان أكثر أمناً، فربما كانت السموم لا تزال تنتشر فى المدينة".

فأجبتته بحدة: "إننى أعلم أن هناك من يقول إن جو المدينة مسمم، ولكنها أكذوبة، وهذا المستشفى خير مثال لعدم صحة هذه المعلومات، فلم يمت منا أحد بعد، ولن يدرك الموت أحداً".

فأجاب الرئيس إيسونو بلهجة تنضح بالشك: "إننى أعجب لذلك". فإستطردت قائلاً بحماس: "أيها الرئيس، ثق تماماً أن كل شئ سيصبح على مايرام وفي نيّتى أن ألصق تقريراً فى مكان يستطيع كل فرد أن يقرأه لإزالة مخاوف الناس التى ثارت نتيجة الإشاعات الكاذبة التى إنتشرت فى المدينة"، فأجاب الرئيس متعلقاً بالأمل: "حسناً، أرجوك أن تفعل هذا".

كان الرئيس إيسونو المكسين يحاول أن يصدقنى بصعوبة بالغة وأفكاره شاردة فقلت له وأنا أغادر المكتب: "دع الأمر لى".

عقدت العزم على ألا أأخر جهداً فى سبيل الوصول إلى الحقيقة، وأن نلصق بياناً بالنتائج التى نتوصل إليها حتى يصبح بمقدور كل إنسان أن يطلع عليه فى صبيحة الغد.

تناولت طعام الغداء وبينما كنت أهم بالذهاب إلى حجرتى نادتنى السيدة سائيكى العجوز قائلة: "يا دكتور، إن الدكتور كاتسوبى يبحث عنك، لقد تركته واقفاً أمام غرفة الأشعة، وتجده فى إنتظارك هناك".

وجدت الدكتور كاتسوبى فى حجرة الأشعة مع جثة المريضة المسجاة فوق منضدة، وكان يهم بتشريحها، فإتحنيت إحتراماً لروح المتوفاه، وإتجهت نحو المائدة، وفتحت بطن الجثة لأجدها ممتلئة بسائل دموى، فصحت متعجباً: "إنه أمر غريب يا دكتور كاتسوبى، فى حالة تهتك البنكرياس". فهز الدكتور كاتسوبى رأسه قائلاً وقد أخذت يده تجول داخل تجويف البطن: "لاأعتقد أن البنكرياس هو السبب".

كان الطحال ضامراً، أما الكبد فكان بنياً داكناً وقد إكتسى ببقع دموية صغيرة، وتمددت الشعيرات الدموية للمعدة والأمعاء، وإكتست الأمعاء ببقع مخاطية دموية كالكبد تماماً، ووجدنا بين الشريان الحرقفى كمية كبيرة من السائل الدموى، وكلمنا حرك الدكتور كاتسوبى يده داخل تجويف البطن إنبثق بعض هذا السائل الدموى خارجها.

وإتضحت أسباب ما كانت تعانيه تلك المرأة المسكينة من آلام باطنية، كما إتضحت أسباب وفاتها، فإن هذه البثور التى أخذت شكل النقاط الدموية الحمراء لم تكن منتشرة على الجلد فقط ولكنها كانت تكسو الأحشاء جميعاً، وتجلى ذلك بوضوح بعد فحص معدتها وأمعانها وكبدها وغشاء التجويف البطنى.

كما لاحظنا أمراً آخر، فإن الدم لم يتجلط داخل تجويف البطن رغم مرور بعض الوقت على الوفاة، ولعل السبب فى ذلك فقدان الدم خاصية التجلط، وذلك يرجع إلى تناقص عدد صفائح الدم بقدر ما يرجع إلى نقص كرات الدم البيضاء، وقد أبدت وجهة نظرى هذه للدكتور كاتسوبى فوافقنى عليها.

لقد علمنا من تشريح جثة واحدة الشئ الكثير، وإذا كنا قد لجأنا إلى التشريح قبل ذلك لما إحترنا فى تحليل الأعراض التى بدت على مرضانا، ولم أفتنع يوماً ما بأهمية التشريح مئماً إقتنعت به فى ذلك الحين.

وقضيت بقية النهار فى إعداد التقرير، وحين جاء المساء كنت لا أزال أعالج البيانات الخاصة بالعلاقة بين المسافة بين مواقع المرضى ومركز التفجير ونتائج فحص الدم لأقوم بإعداد تقرير مختصر يتضمن ما شاهدته وسمعتة وما إحوتوته سجلات المرضى. ووجدت صعوبة فى التعبير بالكتابة عما أريد، ومزقت الكثير من الأوراق، حتى إستطعت أخيراً أن أنجز التقرير فى ساعة متأخرة من الليل.

وفيما يلى نص البيان الذى دفعت به إلى السيد ميزوجوتشى ورجوته أن ينسجه على فرخ كبير من الورق يلصق نسخة منه فى كل مكان بالمستشفى والمصلحة قبل طلوع النهار:

بيان حول مرض الإشعاع الذرى

مستشفى المواصلات بهيروشيما

- 1- لم يحدث تغير فى دماء الأشخاص الذين يعملون فى المدينة بعد حادث سقوط القنبلة الذرية ممن لم يتواجدوا بها وقت حدوث البيكا، ولم يكتشفت أى تغير فى دماء الأشخاص الذين كانوا موجودين بيدروم مصلحة التليفونات عند حدوث البيكا، ويرجى من الأشخاص الذين تنطبق عليهم هذه الحالة الاستمرار فى عملهم كالمعتاد.
- 2- تبين أن الأشخاص الذين يعانون من نقص فى خلايا الدم البيضاء كانوا بالقرب من مركز تفجير القنبلة، وهم موظفوا مصلحة التليفونات، وموظفوا مكتب التلغراف، والأشخاص الذين كانوا يقيمون فى المناطق المجاورة لتلك المصالح، أما الأشخاص الذين كانوا يعملون بمصلحة المواصلات عند وقوع الانفجار فإن خلايا دمهم البيضاء طبيعية وقد تنقص قليلا عن المعدل الطبيعى.
- 3- لا يبدو ثمة علاقة بين الإصابة بالحروق البالغة وتناقص خلايا الدم البيضاء.
- 4- لا يحمل فقدان الشعر بالضرورة أية دلالة تنذر بالخطر.
- 5- على الأشخاص الذين يعانون من نقص فى خلايا الدم الأبيض تجنب الإصابة بالجروح والإجهاد لأن مقاومة أجسامهم ضعيفة.
- 6- على أولئك الذين أصيبوا بجروح أن يتأكدوا من عدم إصابتهم بمرض الإشعاع الذرى، أما المصابون فعليهم مداومة العلاج حتى لا تتسرب العدوى إلى مجرى الدم.
- 7- وفقاً للتقارير التى نقلتها السلطات عن جامعة طوكيو لا يبدو أن ثمة إشعاعات يورانيوم متبقية فى المدينة.

إنتهى

(توقيع)

متشهيكو هاتشيا

المدير

مستشفى هيروشيما للمواصلات

وجدت صعوبة بالغة فى النوم لأن فراشى كان مبتلا بسبب الأمطار وقضيت معظم الليل أطادر البعوض.

27 أغسطس 1945

جو غائم ممطر.

اليوم العاشر بعد المائتين يقترب²⁴، لذلك نتوقع هطول موجة من الأمطار وقد أصبح المبنى كله مبتلا نظراً لعدم وجود نوافذ زجاجية تقي الغرف من الأمطار، وكانت المياه تتساب على الأرض وأصبح الفرش مبتلا، وزاد البعوض والذباب من ضيقتنا ومتاعبنا.

لم أكن قد إغتسلت منذ وقع البيكا بسبب ما أعانيه من جروح وكان جرح فخدى متهتكاً حتى أن اللحم كان بارزاً خارج الجلد مثل ورق الشوجى الممزق، وأصبحت رائحتى كريهة بسبب العرق حتى أصبحت أتأفف من نفسى كلما اقتربت ذراعى أو ركبتي من أنفى، وكان جسدى لزجاً يتصبب عرقاً هذا الصباح، وبعد تناول الإفطار طلبت من السيدة سائيكى العجوز أن تعاوننى على الاغتسال بقطعة من الإسفنج وقليل من الماء الساخن، فلم يكن لدينا صابون للإغتسال، وإستغرق تنظيف جسدى من الأوساخ التى عقلت به وقتاً طويلاً وشعرت بعده بالراحة.

عندما أخلو إلى نفسى أتجه إلى التفكير فى أشياء كثيرة، فهاهى ذى السقوف السوداء المحترقة، والجدران التى أنت النيران على طلائها، والنوافذ التى تفتقر إلى الزجاج، بينما قبع (الكونزو) أو الموقد اليابانى الصغير الذى يعمل بالفحم النباتى يعلوه إناء الشاى المكسو بالهباب وقد تغطى بطبق بدلا من غطائه المفقود، ويجواره سلة من الغاب تختلط فيها أطباق الأرز التى كان الجيش يستعملها يوماً ما بأكواب الشاى دون تمييز، فذكرتتى هذه الأشياء بالأم الحرب.

²⁴ فى التقويم اليابانى القديم يوافق 210 من السنة مقدم الخريف، ويكون مصحوباً برياح شديدة وأيام ممطرة ولما كان هذا التقويم يبدأ حوالى 4 فبراير، فإن بداية الخريف وفقاً له تقع فى أول سبتمبر من التقويم الميلادى الحالى.

وأخذت أفكر من ناحية أخرى في تلك الحجرة التي تتعدد ألونها ويندر أن يجد المرء مثلها، إن كل ما نستعمله من أشياء يحمل بصمات القنبلة الذرية، فكل إناء أو وعاء كان إما مكسوراً وإما محترقاً، وكانت مائدة الطعام التي تناول عليها وجباتنا يوماً ما مكتباً قديماً متهاكاً، ترك الزجاج المتطاير على سطحه خطوطاً وفجوات ولا تزال بعض قطع الزجاج مرشوفة في سطحه، فبدا وكأنه مطعم بالزجاج بيد عامل محترف، وإحتلت الصناديق ذات اللون الأصفر التي تحتوى على بعض أعلام الجيش أحد أركان الغرفة، وكانت السيدة سانكي العجوز تستخدم هذه الأعلام لتجفيف الأطباق ومسح الأرض، وعلى أحد الأرفف كان هناك ترمس ممثلناً بالمشاشا²⁵ أحضره السيد ميزوجوتشى من بيته في سينو منذ يومين مؤكداً أن فيتامين "ج" الذى يتوفر فى هذا النوع من الشاي يفيدنى صحياً، وعندما شربت بعض الماتشا عادت إلى ذهنى ذكرى الأيام الخوالي، وحتى كوب الشاي المكسور أو الهاشى²⁶ القديمة التى إستخدمتها فى تقليب الشاي لم تفقد الماتشا نكهته وشذاه. تذكرت ذلك كله عندما رأيت الترمس الفارغ قابعاً فوق الرف، وجعلتني تلك الذكرى أفكر فى بيتى وأكواب الشاي التى كانت لدى قبل حادث القنبلة، أثارت تلك الذكريات الأشجان فى نفسى.

أثناء جولتى بالمستشفى أمس علمت أنه ليس لدينا تيتانوس نقدمه للمرضى ومن بينهم الجرحى الذين كانت جراحتهم ملوثة وكيف حدث ذلك؟ هل قضت البيكا على جراثيم التيتانوس؟ أم أننا أغفلنا التيتانوس فى غمرة الفوضى التى عانينا منها وعقدت العزم على أن أجد إجابة لهذه التساؤلات.

لم تتحسن حالة الإسهال التى عانى منها السيد كادويا، وإعتقد البعض أنه يعانى من الدوسنطاريا، بينما رأى آخرون أنه يعانى من نزلة قولونية، ومهما كان الأمر فقد كثر تردد السيد كادويا على المرحاض، وعلى الرغم من ذلك كان يتمتع بروح مرحة فكان يمزح مع رفاقه حول مكوثه فى المرحاض وقتاً طويلاً، ويبدو أن معاناة الناس من البيكا جعلت شر البلية عندهم ما يضحك.

غادر الدكتور ساسادا المستشفى بعد الظهر، ولما لم يكن هناك ما يأخذه معه لم يتطلب الرحيل إعداد مسبق، وإنتفت إلى السيد شيوتا قائلاً: "نحن السابقون ياسيد "شيوتا". فابتهج السيد شيوتا عند سماعه كلمة الوداع هذه.

جاءتنا اليوم فرقة الأطباء والمرمضات من كلية الطب بأوكاياما على رأسها الدكتور يادانى، وهو زميل قديم كان يدرس معى على يد الأستاذ إينادا، وكان هذا الفريق يتكون من ثمانية ممرضات وإثنين من طلبة الطب، وكان بين الممرضات بعض الوجوه المألوفة لى، وعندما علمت أن هذه المجموعة ستقيم معنا لمدة أسبوع وأنهم أحضروا معهم المجاهر، أحسست أن جيشاً كبيراً جاء لمعاونتنا، فإن الحصول على هذه المساعدة القيمة كان بالنسبة لنا كما يقول المثل اليابانى القديم بمثابة "تسليح الشيطان بقضيب من الحديد"، وقد أنساني الإبتهاج لرؤيتهم عبارات التحية الواجبة، ورأى السادة سيرا وكيتاوا وميزوجوتشى أن نقدم لهم أفضل ما لدينا من طعام وفراش، وتنازل الأصحاء من الأطباء والعاملون بالمستشفى عن فراشهم لأعضاء الفريق الذين خصصنا لإقامتهم ملجأً بالقرب من المستشفى، فقد ضاق المستشفى بمن فيه حتى أننا كنا نستخدم حجرات الكشف وحجرة العمليات بقسم أمراض النساء لإيواء المرضى.

وتخصيص مثل هذا المكان لضيوفنا ليس من اللياقة بمكان، ولكنه كان أفضل ما يمكن عمله لهم، إذا وضعنا فى الإعتبار رجلاً كالدكتور كاتسوبي مثلاً الذى كان يستخدم فراشا قديماً محترقاً بإحدى دورات المياه بالطابق الثانى، وكانت حوائط المرحاض الذى ينام فيه ملطخة بالدماء وتكسو أرضه قطع الزجاج والأنقاض، وكانت نافذته محطمة، ورغم ذلك ظل قانعاً بفراشه هذا دون أن يشكو أو يتأفف، أما بقية العاملين بالمستشفى فكانوا ينامون حيثما وجدوا مكاناً خالياً كل ليلة، إما فوق أحد المكاتب، وإما على أحد الكراسى، ونادراً ما كان المرؤ منهم ينام فى مكان واحد لىتان متتاليتين.

غير أن مشكلة توفير الفراش الكافى للضيوف ظلت مستعصية على الحل، فلجأنا إلى إدارة المدينة وطلبنا توفير ما يكفى لإيواء خمسة عشر شخصاً، فإستجابوا لنا وأرسلوا إلينا بعض البطاطين والملاءات، البزات العسكرية، وبذلك توفر لدينا بعض البطاطين التى تزيد عن حاجتنا، فوزعت علينا وأصابى منها إثنان ثبتت واحدة منها على النافذة لتقى فراشى مياه الأمطار، وإستخدمت الأخرى كسجادة فرشتها على الأرض المبتلة بجانب الفراش.

شغلتنى تلك المسائل اليوم عن القيام بجولاتى المعتادة بالمستشفى حتى حل المساء، وبعد أن خلوت إلى نفس قليلاً بدأت اشعر بالأم حاد فى فخذى الأيمن، ولست على يقين من مبعث هذا الألم فلعلها الرطوبة أو الإجهاد الشديد، غير أننى فضلت أن أخلد للراحة فى الفراش. وعندما عدت إلى حجرتى دهشت حين رأيت الدكتور ساسادا هناك فسألته متعجباً: "ماذا تفعل هنا؟ لقد ظننت أنك غادرت المستشفى" فأجابنى السيد شيوتا ضاحكاً: " لقد غادر المستشفى بالفعل، ألم تر السيارة السوداء الأنيقة التى أخذته من هنا؟" فسألته: "إذن ماذا حدث؟" فانفجر الدكتور ساسادا والسيد شيوتا فى الضحك وعلمت أطراف القصة خلال الفترات التى توقفا فيها عن الضحك ليلتقطا أنفاسهما، فقد تولى أحد الأشخاص مسؤولية تأجير سيارة لتنتقل الدكتور ساسادا إلى منزله بصورة لائقة، وما كادت السيارة تقترب من حدود مدينة هيروشيما فى طريقها إلى بلدته حتى أوقفها رجال الشرطة العسكرية عند أحد الجسور، وتم ضبط السيارة وقائدها، فقدا إكتشفوا أنها كانت تابعة للبحرية وأن السائق سرقها وإستخدمها كسيارة أجرة. وبعد إعتقال السائق ترك الدكتور ساسادا على الجسر، ولم يكن أمامه مفر من

²⁵ الماتشا نوع جيد من الشاي الأخضر الناعم، وهو صينى الأصل، أدخله إلى اليابان كهنة مذهب الزن البوذى فى العصور الوسطى، ويستخدم فى حفلات الشاي اليابانية التقليدية.

²⁶ العصى التقليدية التى يتناول بها الصينيون واليابانيون الطعام.

العودة إلى المستشفى. ورغم جو المرح الذى أحاط بالقصة فقد شعرت بالأسى لما أصاب الدكتور ساسادا من المتاعب غير أنى سررت لرؤيته مرة أخرى.

كنا أقل ضيقاً بالبعوض هذه الليلة، فقد عثر البعض على قطعة من خشب الكافور أحرقناها فى أوعية خاصة حول المستشفى، وحالت البطانيات التى إستخدمناها بين المطر و فراشنا، وعندما أويت إلى الفراش كانت فخدى تؤلمنى وماهى لحظات حتى أدركنى النعاس.

وفى ساعة متأخرة من الليل إستقيظت من النوم على وقع أقدام شخص يصعد الدرج ويتحدث بصوت مرتفع محدثاً جبلة مزعجة، كان هذا الشخص هو الدكتور تاما جاوا أستاذ الباثولوجى فى كلية الطب بهيروشيما، وإستطعت أن أميز صوته قبل أن يصل إلى الغرفة، وكان زميلاً لى بكلية الطب بأوكاياما، وأصبحنا منذ ذلك الحين صديقان حميمان، وقد كنا نتنافس معاً فى الثرثرة وتبادل الأحاديث لأن كلانا مغرم بالمناقشات. وما كاد الدكتور تاما جاوا يلتقط أنفاسه حتى وجه إلى الحديث دون أن تتبادل التحية: "هاتشيا، هل تعلم أننى ذهبت إلى إدارة المحافظة اليوم وعملت من أولئك الحمقى أنهم لن يسمحوا بتشريح الجثث فى هيروشيما؟، يالهم من أغبياء عتاه! فقلت له: "لقد تأخرت كثيراً يا تاماجاوا"، وطفق الدكتور تاماجاوا يعرض خطته فقال: "يالها من سياسة حمقاء أيمنعون تشريح الجثث؟ ألا تعتقد أن هذا التصرف يدل على الغباء؟ كيف نستطيع الوصول إلى حقيقة ما يعاناه الناس من أمراض إذا لم نلجأ إلى التشريح ألا توافقى على ذلك؟". فقلت له: "إهدأ بحق السماء أننى أوافقك على رأيك بكل تأكيد، ووجودك معنا منحة من السماء، وترحيبنا بك يفوق ترحيبنا بأى إنسان آخر". كان الوقت متأخراً فدعوته إلى النوم فى فراشى.

28 أغسطس 1945

السماء ملبدة بالغيوم.

كان البيان الذى أصدرته بالأمس بخلاصة تجاربنا مع مرض الإشعاع الذرى بالغ الأثر، فقد جاءتنا منذ الصباح الباكر مجموعة من الصحفيين وحاولت أن أجيب على أسئلتهم بقدر المستطاع حول المرضى، والأعراض التى يشكون منها وتشخيص تلك الأعراض، وخططنا التى رسمناها للعناية بهم فى المستقبل.

وزارنى بعد ذلك صديقى الحميم السيد ياماشيتا الذى كان يعمل بمصلحة البريد قبل البيكا، وكان معروفاً بذوقه الأدبى الرفيع وبمقدرته الفائقة على كتابة "الواكا27". وكثيراً ماكان يبدي ملاحظات قيمة حول ما كانت أكتب من مقالات فى إحدى المجلات المحلية التى كانت تصدر عن مصلحة المواصلات تحت اسم "هيروشيما تى يو"، ويوميات طبية كنت أنشرها تحت اسم "داروما طوطورا28". ويمكنك أن تتصور مبلغ سعادتى عندما رأيت هذا الصديق الأديب القديم. وبينما كنت أعد له كوباً من الماتشا، أخذت أقص عليه ماعانيتها من تجارب شخصية وغير شخصية سجلتها منذ كان حادث سقوط القنبلة الذرية، وبعد أن شرب السيد ياماشيتا، كوب الماتشا فى رشقات سريعة شرد ذهنه قليلاً ثم وجه إلى سؤال عما أكتبه، فإجبتة بقولى: "إنك تعلم أن الكتابة بالنسبة لى ليست أمراً سهلاً، فلا زلت أعانى من ذلك، ربما زادت معاناتى، فخيرتى بالكتابة محدودة ولاريب أنه ينقصنى الكثير، وأحياناً أكتب يومياتى أولاً بأول، وأحياناً أخرى أكتبها كلما سنحت لى الفرصة بعد مرور بضعة أيام، هل تكتب شيئاً لأن يا سيد ياماشيتا؟" فرد قائلاً: "لقد كنت أكتب يومياتى بانتظام حتى حادث البيكا، ولكنى توقفت عن الكتابة منذ الحادث، فقد مات ولدى ياشوشى، وتحطم بيتى، ولذلك أعيش حياة يأس وقلق". فسألته: "هل تسمح بالقاء نظرة على يومياتك فلاريب أنها ستساعدنى كثيراً فى متابعة الحوادث السابقة على سقوط القنبلة وأريد أن أعرف على سبيل المثال ماكان يجرى فى أوشيتا"، فأجابنى بركة: "يسرنى أن أطلعك على يومياتى وسأحضرها لك خلال أيام".

وبعد أن عاد السيد ياماشيتا أدراجه انصرفت إلى العمل، فقد خفف من أعبائى وصول الفريق الطبى من كلية الطب بأوكاياما الذين إضطلعوا بمسؤولية متابعة حالة المرضى، وتفرغت بذلك للإدارة، وتركت مهمة الخدمة الطبية لضيوفنا.

إتفق الدكتور كاتسوى مع الدكتور يادانى على أن يختص طالبا الطب بإستطلاع تاريخ المرضى والكشف الطبى وفحوص الدم ومتابعة إختبارات المعمل، وقد برهن هذان الطابان على كفايتهما ومقدرتهما، وكان أحدهما ابن الأستاذ هاتا الأستاذ بجامعة أوكاياما، أما الآخر فكان نجل السيد أوجاوا الكاتب المشهور.

أما ممرضات أوكاياما فكن متعاونات مقبلات على العمل بالاشتراك مع ممرضاتنا، وأصبح المستشفى بفضلهن قريب الشبه بالمستشفيات، فقد كان الأطباء والممرضات الذين ضمنهم الفريق يرتدون ملابس بيضاء ناعمة بينما كانت ملابسنا ممزقة متسخة.

27 الواكا ضرب من ضروب الشعر اليابانى يرجع إلى العصور الوسطى عرف بصوره البيانية البديعة.

28 وهى تعنى "داروما والنمر"، وداروما حيوان خرافى ليس له أطراف يمثل أحد الآلهة القديمة المعنبة بالعزيمة والصبر، وتقول الأسطورة القديمة أن دارما قضى أياماً وليالى عديدة فى التفكير والتدبر حتى غلبه النعاس، حين إستيقظ من نومه ألمه إنقطاع التدبير خلال النوم فقطع جفونه حتى تظل عيونه مفتوحة فلا ينام مرة أخرى وقد نبت الشاى اليابانى لأول مرة حيث سقطت الجفون، وبذلك قدم للناس ما يدفع عنهم النوم.

لقى الدكتور تاماجاوا ترحيب الجميع، ولكن قدومه جعلنا نواجه مشكلة تدبير المكان الذي يمكن استخدامه كمشرفة يزاول فيها عمله، فلم يكن هناك مكان خال بالمستشفى الذي يكتظ بمن فيه، وبقي مكان واحد لا مناص من التفكير فيه هو كشك خشبي تركه الجنود بالقرب من الباب الخارجى للمستشفى فصحبت الدكتور تاماجاوا إلى هناك، وحين رأى المكان أبدى إرتياحه وأكد صلاحيته للعمل كمشرفة، ودون أن يضيع وقتنا عمل الدكتور تاماجاوا على تحويل الكشك إلى مشرفة ومعمل للفحص الباثولوجي، وحول بعض النوافذ والألواح الخشبية إلى ماندة للتشريح، ولم يمض وقت طويل حتى تحول هذا الكشك إلى معمل لم أره مثيلاً من قبل، ولم يعد ثمة ما يضايق الدكتور تاماجاوا سوى عدم وجود مادة للدراسة.

وبعد تناول طعام الغذاء تبينت أن رصيدنا من السجائر يوشك على النفاذ، وسألت السيد شيوتا عما إذا كان باستطاعته حل هذه المشكلة، فأجابني بقوله: "لا عليك، إترك الأمر لى فسأحضر لك كل ما تحتاجه منها".

وشعرت بالإرتياح، ووزعت ما تبقى لدينا من الساجير على مدمنى التدخين بما فيهم الدكتور تاماجاوا الذى إرتسمت على وجهه علامات السرور فلم يكن باستطاعته متابعة التدخين بنفس القدر الذى إعتاده من قبل نتيجة إرتفاع أسعار السجائر إرتفاعاً جنونياً فى مدينة هيروشيما المدمرة كانت النقود أقل قيمة من السجائر، وإستخدمت السجائر كوسيلة للتبادل فى المعاملات.

مر يومان دون أن أقوم بجولات فى المستشفى، فقامت اليوم بإحدى الجولات، وكان البيان الذى أصدرته حول مرض الإشعاع الذرى معلقاً فى مكان بارز أمام مدخل مبنى المصلحة. أما عنابر المرضى فكانت نظيفة مرتبة، وتفقدت أحوال المرضى فوجدت أن السيد أونومى المريض الذى يعانى من البثور الدموية والتهاب الحلق وسقوط الشرح قد أصبح فى حالة يرثى لها، متورم الوجه، وعاد الجرح الصغير بجوار أذنه ينزف من جديد بعد أن كان قد إلتأم، فأدركت أنه على شفا الموت.

أما الفتاة الجميلة الشابة التى كان جسدها محترقاً فإلالت على حالها، ولم تظهر عليها أعراض الصلع أو البثور، وكان جيرانها بالعنبر يبذلون أقصى جهدهم لخدمتها. ووجدت أن ثمة مرضى جدد قد أدخلوا إلى المستشفى يشكون من البثور الدموية، غير أن حالتهم لا تبلغ حد السوء.

غادرت مبنى المصلحة إلى المستشفى، وإستنتجت من تلك الجولة أن عدد المرضى قد تناقص خلال اليومين الماضيين رغم أن عدد المقيمين بالمستشفى لم ينقص بسبب عائلات المرضى التى كانت تلازمهم، وكان بينهم عائلتى ياسونى وأواتانى اللتان أعرفهما منذ سنوات. وقبل أن أغادر العنابر إكتشفت حالة أمتنى كثيراً فبعد وفاة الدكتور تشودو فى الثالث عشر من هذا الشهر متأثراً بحرقه ظلت زوجته وطفلته فى المستشفى، ولم تكن تبدو على السيدة تشودو أى علامات المرض، كما لم تلحق بها أى إصابات وبدت عليها علامات الصحة، ولكنى دهشت حين رأيته اليوم راقدة فى الفراش فسألته عن شكاها فأجابت بصوت خافت - بلهجة أهل أو كيناوا أو كيوشو، لست أدرى - بما يفيد أنها تعانى من ضيق فى التنفس، هبوط فى النبض، فحاولت أن أواسيها مؤكداً لها أن كل شئ سيبصيح على مايرام، وأن عليها أن تكون رابطة الجأش من أجل طفلتها. ويبدو أن ورود ذكر الطفلة على لسانى فجر عندها جرحاً دفيناً، فإلتفتت نحو الطفلة المسكينة التى كانت ترقد بين أحضانها وأخذت تكيى، وفتت بكاء هذه المرأة المسكينة قلبى، ترى من يعتنى بطفلتها إذا أصابها مكروه؟ وتركت المكان حتى أهدى من روعى، ولكن أحداً لم يلاحظ النقاط الدموية الداكنة التى أخذت تنتشر على صدر المرأة المسكينة.

أضفى الدكتور تاماجاوا بروحه المرححة جوا من البشر فى المستشفى وحجرة الطعام، وقد إستطاع أن يجعل السعادة ترتسم على وجوه من حوله، حتى طعامنا بدا حلو المذاق بالنسبة له، وكثيراً ما كان ينهانى عن التذير إلى هذه الدرجة، وبعد تناول طعام العشاء تناول أطراف الحديث وراح يخبرنا عن المشاكل التى واجهته فى أو كاياما بعد حادث القنبلة، وكانت الطريقة التى يقص بها حكاياته والفكاهات التى تتضمنها تلك القصص تبعث البشر والمرح فى نفوسنا، وحدثنا عن نوادر كثيرة طريفة صادفته حتى غرق الجميع فى الضحك، ولم تكن تلك النوادر غريبة على، فقد سمعتها منه مراراً من قبل، ولكنها كانت جديدة على رفاقى، ولذلك لزممت الصمت طوال الحديث، وما لبث رفاقى أن نسوا أن الدكتور تاماجاوا أستاذ له مكانته وراحوا يتحدثون معه دون تكلف.

ساعت حالة زوجتى هذا المساء وبلغت حرارتها 40,5 درجة وكانت تشكو من ضيق فى التنفس، وبينما كانت الأنسة كادو تناولنى سماعه الكشف وأخذت أتفحص صدرها تظاهرت بعدم الإهتمام، وقلت لها: "يبدو أنك أصبت بنزلة برد مرة أخرى، لقد توقعت ذلك أمس عندما رأيتك تنامين مع الأنسة كادو فى فراش واحد".

وبينما كنت أستمع إلى صدرها أحسست بوجود إلتهاب فى الرئة اليمنى، فأسرعت بالبحث عن الدكتور هينوى رئيس الصيدالة لأسأله عما إذا كان لديه دواء التريونون أو أقراص السلفاميد، وقد أحسست بالراحة عندما علمت منه أن لدينا رصيد من هذا الدواء، وعندما عدت إلى الحجرة طلبت من الأنسة كادو أن تعاوننى فى نقل زوجتى إلى حجرة الدكتور ياتانى حتى تكون بمنأى عن الرياح والأمطار. كان يجب على أن أهتم بحالة السعال والبصاق التى كانت تعانى منها ولكن نظراً لم لأنها لم تكن تشكو ألماً فقد تغاضيت عن تلك الأعراض المبكرة للإلتهاب الرئوى.

ترى هل يمكن أن تنجو زوجتي من الإلتهاب الرئوى بعد أن عاشت مأساة البيكا؟ ولماذا لم أوليها عناية أكبر من قبل؟ كيف أستطيع الحياة وحيداً؟ وكيف أواجه عائلتي إذا حدث شئ لزوجتي؟.

قمت بترتيب العلاج لزوجتي يائيكو وطلبت من الأنسة كادو أن تحقنها بالجلوكوز والتريونون.

29 أغسطس 1945

طقس غائم تتخله بعض فترات من الصفاء.

لم أستطع النوم خلال الليل بسبب القلق على زوجتي، ترى لماذا لم أنتبه في الصباح إلى الرطوبة التي سببها المطر المتواصل والبرودة التي تنذر باقتراب الخريف؟ إذا لم تصب زوجتي بالرجفة ولم تبتل فربما نجت من الإلتهاب الرئوى.

يجب أن أفكر فى أمر بقية المرضى أيضاً فقد يحدث لهم نفس الشئ، فليس بينهم من يستطيع جسمانياً تفادى الإصابة بالإلتهاب الرئوى، لقد وزعنا حقا اليزات العسكرية الصوفية الثقيلة على المرضى من النساء وأعطينا اليزات الكاكية الخفيفة للمرضى من الرجال ولكن هذا لا يكفى، لا بد من الحصول على عدد آخر من البطاطين يكفى لتدفئة جميع الموجودين بالمستشفى.

وأخذت أفكر فى طلب معونة أخرى وقد وصلتنا كمية من أحذية الجيش وزعناها على المرضى من الرجال، بدأ الجميع قانعين، ولكن النساء ما لبثن أن جأرن بالشكوى لأنهن لم ينلن منها شيئاً وواصلن الإحتجاج حتى وعدتهن بأن تكون معونة الأحذية التالية من نصيبهن، وعجبت لطمع الناس وتطلعهم إلى المساواة مهما كان الأساس الذى تقوم عليه تلك المساواة، فالنساء يعلمن أن أحذية الجيش قد لا تناسبهن، وعندما قلنا لهن ذلك خلال المناقشات التي دارت معهن، قلن إنهن يردن نصيبهن من الأحذية ليأخذنها معهن لأزواجهن وأطفالهن أو يقمن بإهدائها لأقربهن، وقد ضابقتى هذا الموقف لأن أحدا لم يكن يدفع أجر الإقامة أو الطعام أو العلاج. وعندما وزعنا الملابس عليهم راعينا مبدأ المساواة ولكن هذا لم يكن كافياً، فالنساء يردن نصيبهن من أحذية الجيش كالرجال تماماً.

وكأن السماء إستجابت لدعائى الصامت، فقد تلقينا هذا الصباح شحنة جديدة من المعونة العسكرية، وسعدت حين عملت أنها تتضمن الناموسيات والبطاطين والأحذية والشباشب، وتأكدت من توزيع هذه الأخيرة على النساء.

لم تكن هناك بطاطين كافية لكل شخص، لذلك طلبت كمية أخرى منها ووزعتها على المرضى.

وعند الظهر سمعنا أن وثيقة الإستسلام بلا قيد أو شرط ستوقع فى أوائل سبتمبر على ظهر البارجة ميسورى فى خليج طوكيو، فسألت من نقل إلى النبأ: "هل سيحضر رئيس الوزراء وأعضاء مجلس الوزراء توقيع الوثيقة أم ان الإمبراطور سيوقعها بمفرده؟".

وقال احدهم متعجباً: "ترى ماذا يحدث لو أخذ الإمبراطور أسيراً؟" فإنزعجت السيدة ساتيكي العجوز، وإندفعت تقول: "لا تقل مثل هذا الشئ الفظيع، إن الإمبراطور لم يرتكب جرماً".

وقال آخر " يشاع أن الإمبراطور سيأخذ إلى ريوكيوس وسيظل حبيساً هناك".

فقالَت السيدة ساتيكي العجوز بنبرات حزينة وهي تضع خدها فوق راحتها وتشير كعادتها بإصبع يدها تجاه السن اليتيمة التي بقيت فى مقدمة فمها: "إنهم يريدون أن يأخذوه بعيداً تماماً كما فعلوا فى سالف الزمان".

ربما كان هذا الأمر مستحيلاً، وفكرت فى ذلك وأنا أستمع إلى المناقشات التي تدور بين من حولي، ولكن ما هو المستحيل؟ إننا نستطيع الرجوع إلى التاريخ لنبحث عن أمثلة مشابهة: لقد قضى نابليون أيامه الأخيرة فى سانت هيلانة، كما عوقب القيصرية والأباطرة بالنفى من بلادهم حين حلت بهم الهزيمة إن كل ما يجب أن نفعله هو أن ننتظر ونترقب فكل شئ ممكن أن يحدث لأمة نزلت بها الهزيمة.

وصلت من أجل الإمبراطور، ومن أجل بقائه على أرض الوطن موقفنا - أن أسره فوق تلك البارجة سيكون نهاية كل شئ.

وأخذت أتفقد المرضى بالمستشفى حتى أخلص ذهني من عناء هذه الأفكار السوداء وأنسى للحظات قلقى على حالة زوجتي، كان المرضى سعداء بالعونات التي وزعت عليهم خاصة النساء اللاتي حصلن الآن على نصيبهن من الأحذية تماماً كالرجال وإنحتن بعضهم أمامى شاكرات، ولما كانت حالتى النفسية لا تسمح بتقبل ثنائهن ومشاركتهن الإبتهاج فقد كنت أردعليهم بحة وخشونة قائلاً: "هذه الأشياء قدمتها لكن إدارة المدينة فتوجهوا بالشكر إليها وليس لى".

إزداد عدد المرضى الذين بلغت أواحلهم حد الخطورة، وكانوا جميعاً يعانون من شئ واحد هو البثور الدموية، ومات السيد أونومى بعد نزيف حاد من أنفه وشرجه، كما ماتت الأنسة نى شى التي دخلت المستشفى منذ يومين، وكانت لحظاتها الأخيرة مليئة بالألن والألم. وإنتهت جولتى التفقدية دون أن أرى السيدة تشودو وأصابنى الجزع حين عملت أنها ماتت، لم أصدق ذلك، فقد رأيتها فى الممر هذا الصباح ترى ماذا يمكن أن يحدث لطفلتها؟

كان الدكتور تاماجاوا يتأهب للعمل، سرت الهوينى نحو حجرة المشرحة، فراعنى منظر آلاف الذباب التى كانت تطير كلما أحست بموضع قدم لتسقر فوق الأرض من جديد، وكان الدكتور تاماجاوا منهمكا فى العمل يعاونه السيد أوجاوا طالب الطب بجامعة أوكاياما فى تسجيل الملاحظات، ووقفت لحظة أراقب الدكتور تاماجاوا وهو يعمل بخفة ومهارة لعله يستطيع أن يتوصل إلى سر وفاة مرضانا، فإذا استطاع التوصل إلى هذا السر فقد يكون بمقدورنا أن ننقذ المرضى الآخرين من هذا المصير.

وعقدت العزم على مقارنة نتائج التشريح بالأعراض الأكلينيكية، فعدت إلى المستشفى لدراسة سجلات هؤلاء المرضى الذين تشرح جثثهم. لقد ماتت الأنسة كوياباشى نتيجة نزيف باطنى حاد، أما السيد أونومى فقد مات نتيجة نزيف حاد من الأنف والشرج، ترى هل كان النزيف أيضاً السبب فى وفاة السيدة تشودو والأنسة نى شى؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف حدث هذا النزيف؟

وكان سجل الأنسة نى شى يتخلص فيما يلى:

نى شى إيميكو، أنثى العمر 16 عاماً، تم الكشف عليها لأول مرة فى 28 أغسطس 1945 تشكو من الإعياء الشديد والبيثور والأرق، وعند سقوط القنبلة كانت بالطابق الثانى من مبنى مكتب التليفونات المركزى وهو مشيد بالخرسانة المسلحة ويقع على بعد 500 متر من مركز التفجير، الأثر المباشر للإصابة: عدم وضوح الرؤية والضعف العام والقيء المستمر، ثم عانت فى الأيام الثلاثة التالية من الغثيان والإعياء، وتمثلت للشفاء تدريجاً، غير أنها لم تبرا تماماً، وعادت لممارسة الأعمال الخفيفة رغم إصابتها بالإسهال والضعف العام، وظهرت عليها أعراض الصلع الحاد فى 23 أغسطس 1945 وزادت وطأة حالة الإعياء التى أصابتها كما زادت حدة آلام البطن خلال ليلة 27 أغسطس حيث لوحظت البيثور لأول مرة.

نتيجة الكشف: متوسطة القامة، التغذية سيئة، لون الجلد شاحب ما بين الأسود والبني، جاف، عدد كبير من البيثور على الصدر والأطراف، تبدو على الوجه علامات الإحتضار، السطح الداخلى لحفون العين يشير إلى وجود أنيميا حادة، الفم طبيعى من الداخل، الأنفاس واهنة مع عدم تردد صدى الطرق على تجويف الرئتين، يبدو القلب متضخماً، النبض ضعيف وسريع بمعدل 130 فى الدقيقة، التنفس 36، درجة حرارة الجسم 41، تقلص، ماتت فى 29 أغسطس 1945 نتيجة ضيق حاد فى التنفس.

وحالة هذه الفتاة تمثل النموذج الشائع لحالة جميع المرضى الذين ماتوا خلال اليومين أو الثلاثة أيام الماضية، وكانوا جميعاً على مسافة أقل من ألف متر من موقع التفجير عندما سقطت القنبلة، وبناء على ذلك أصبح واضحاً تماماً أن المرضى الذين كانوا أكثر قرباً من موقع التفجير أكثر تعرضاً للوفاة من غيرهم.

كنت مثلها لمعرفة نتيجة تشريح جثة السيدة تشودو والأنسة نى شى والسيد أونومى، فعدت إلى غرفة التشريح قبيل المساء لأطلع على ما توصل إليه الدكتور تاماجاوا من نتائج، ولم أعرف منه سوى القليل لأن الأمر يتطلب عدة أيام حتى يستكمل التحاليل ويصل إلى نتائج نهائية، كما أن عدم وجود الكهرباء يجعل نتيجة التحليل تستغرق وقتاً طويلاً، وحتى أيسر له سبيل العمل ليلاً بحثت فى المستشفى عن شموع وطلبت من السيد سيرا أن يبذل قصارى جهده لتوفير مصدر للإضاءة بالكهرباء (وكنت قد لاحظت أن الكهرباء قد وصلت أخيراً إلى نيجتسو وأوشيتا على الضفة الأخرى من النهر).

لم تتغير الحالة العامة لزوجتى يانيكو، وكنت قد وضعت فوقها ناموسية تقيها عتو الرياح، وصرخت عندما حقتها بالجلوكوز والتريونون على ضوء شمعة، وصممت بعد ذلك أن أطلب من الأنسة كادو أن تتولى حقتها لأن الطبيب لا يحسن عادة علاج أفراد أسرته.

كنت والدكتور ساسادا والسيد شيوتا نجلس حول المائدة بعد تناول العشاء وقد لفنا الحزن، فقد بعثت حوادث الوفاة اليوم الإكتئاب فى نفوسنا ولكن وفاة السيدة تشودو كانت أشد وقعاً علينا، ولا زال منظرها حين رأيتها بالمر ماثلاً فى ذهنى، وقلت هامساً: "ترى ماذا يحدث لطفتها؟"، فأجاب السيد شيوتا: "ألم تسمع أن السيدة فوجى زوجة طبيب الأسنان ستبنى الطفلة؟" وكنت قد نسيت أمر السيدة فوجى، وجعلنى النبأ الذى سمعته من السيد شيوتا أحس ببعض الراحة، فإن التبنى قد يوفر حلاً لمشكلة الطفلة وللسيدة فوجى على السواء، فقد فقدت هذه السيدة المسكينة طفلاً ولد بعد البيكا بوقت قليل، كما أن إبنتها الكبرى ماتت محترقة.

وفى ساعة متأخرة من الليل إستيقظت على صوت الدكتور تاماجاوا الصاخب كعادته عندما عاد من المشرحة لينام، وقال دون أن يلقى على تحية المساء: "سأحتاج إلى عدد أكبر من زجاجات العينات يا هاتشيا، فثمة حالة وفاة الليلة".

فوعده بأن أبذل قصارى جهدى لتوفير ما يطلبه.

30 أغسطس 1945

جو ملبد بالغيوم ممطر بين الحين والآخر.

أحرقت جثة السيدة تشودو خلال الليل، ولما كان الجو يندثر بالمطر فقد ذهبت في الصباح الباكر إلى المحرقة لأجمع رمادها وبقايا عظامها، وقد جرت العادة على إستخدام قارورة خاصة لهذا الغرض، وهو ما لم يكن متوفراً لدينا، فجمعت الرماد والعظام في صندوق من الكرتون حصلت عليه من الصيدلية، وجمعت عظمة من كل من الرأس والوجه والصدر والأطراف ووضعتها في الصندوق وكتبت إسمها فوق بطاقة ثبتها عليه وسلمته لمكتب العمل.

حاولت تدبير بعض الأواني الخاصة بعينات التشريح تلبية لطلب الدكتور تاماجاوا، وتذكرت البطاريات الزجاجية القديمة (التي تستخدم في التليفونات) المكسدة قرب مدخل مصلحة المواصلات، فذهبت إلى هناك وإنتقيت نحو عشر منها، وتحولت هذه البطاريات إلى أنية للعينات بعد أن أفرغناها من أصابع الكربون وغسلناها جيداً لتنظيفها مما علق بها من حامض الكبريتيك، ثم جمعت من الصيدلية كل الزجاجات الخالية التي كان باستطاعة الصيدلي الإستغناء عنها. وفي نفس الوقت بحث الدكتور تاماجاوا بين أنقاض المنازل حتى عثر على أنية كبيرة (هيباتشي) تكفى لإحتواء عينات ثلاث جثث.

وظننت أن الوقت أصبح ملائماً للوقوف على نتائج التشريح، فسألت الدكتور تاماجاوا عما إذا كان باستطاعتي أن ألقى نظرة على ما دونه من ملاحظات فأجاب بعد لحظات من التفكير كعادة كبار العلماء: "من الأفضل أن تنتظر حتى تتوفر لدى الفرصة لدراسة خمس أو ست حالات". ولم تفلح محاولاتي في دفعه لتغيير موقفه.

المتنى فخذى بضعة أيام، ولكن جراح وجهي وكفى وظهري إلتأمت تماماً، ولم تعد تسبب لي المتاعب، غير أن جرح فخذى يؤلمني بشدة رغم أنه في طريقه إلى الإلتئام، وأدركت أن الطقس الرطب له علاقة بهذه الحالة، كما ان نشاطي الزائد عن الحد مسؤول عن هذه الآلام، وقد عانيت من جرح فخذى هذا الصباح بعد أن بذلت جهداً محدوداً، فصممت على التزام الفراش، ولما كنت لا أريد أن أبقي بلا عمل، فقد أرسلت إلى الدكتور كاتسوبي طالبا بعض عينات الدم حتى أقوم بفحصها بينما يتاح لفخذى قسط من الراحة.

وافق الدكتور كاتسوبي على طلبي وأرسل لي بعض الشرائح التي تحمل عينات الدم وأحد المجهرين اللذين حصلت عليهما المستشفى، فثبت المجهر فوق المنضدة أمام النافذة وجلست لمزاولة الفحص، وكنت أظن أنه من السهل الجلوس في الفراش وإستخدام المجهر، غير أنني عدلت عن الفكرة، فقد مضى وقت طويل لم أستخدم خلاله مجهراً، ولذلك إختطلت الأشياء أمام ناظري، ووجدتني عاجزاً عن التركيز، ولا أدل على ذلك من أن فحص ثلاث عينات فقط إستغرق مني ثلاث ساعات كاملة، وكانت هذه العينات قد أخذت من مرضى بلغت حالاتهم حد الخطورة، وقد وجدت في هذه العينات الثلاث أن عدد كرات الدم البيضاء يتراوح بين 70 و80 كرة، وحتى هذه لم تكن تبدو طبيعية، وبدت كرات الدم الحمراء طبيعية في البداية ولكن حين دقت النظر إكتشفت أنه تبدو عليها أعراض نمو غير طبيعي، ولم أعر على نواة لخلايا الدم الأبيض. لقد كان تناقص عدد كرات الدم البيضاء متوقعاً، ولكني حتى الآن لم أكن أدري أن كرات الدم الحمراء تتأثر هي الأخرى بالمرض وإستتجت أن الدورة الدموية كلها تتأثر بالمرض بشكل يؤدي إلى التأثير على النخاع والطحال والغدة الليمفاوية والكبد حيث يتم تكوين كرات الدم، وكلما نظرت إلى العينات عبر المجهر كلما وجدت صعوبة بالغة في ملاحظة كرات الدم، فقد كان بصري عاجزاً عن التمييز بين المرئيات، وإضطرت إلى النظر عبر النافذة بعض الوقت حتى تذايلني هذه الحالة، فكنت كالولد الذي يكره الإستنكار وينشغل عنه باللهو فلم أستطع الإنكباب على العمل وقتاً طويلاً، وكان ذهني يشرذم دائماً فيما يحيط بي من أشياء، فإذا مر شخص مثلاً إلتمست الغذر لنفسى وتجادبت معه أطراف الحديث.

وماهي إلا لحظات حتى فقدت الصبر على العمل وتركت المجهر فوق المائدة، وعجبت لما أصابني، أنني أرى الأشياء جيداً ولكني لا أستطيع التمييز بينها، وحاولت أن ألقى المسؤولية على عيني ولكن ذهني كان يتحمل نصيباً كبيراً من المسؤولية، فلم يصلق بالإطلاع لفترة طويلة، ولمت نفسي للإحتفاظ بالمجهر بينما هناك من يستطيع إستخدامه خير مني. وإستغرقت في التفكير فيما أصابني منذ يوم البكاء، فخشيت أن أكون قد فقدت الحواس الخمس، وتذكرت أنني لم أشعر بالآلام الجروح التي أصابتنى يوماً إلا عندما خيطت، وأكد جميع زوار المستشفى أن المنطقة كلها كانت تفوح بها رائحة كريهة، فأدهشني ذلك لأنني لم أشم تلك الرائحة، ويبدو أن حاسة الشم عندي كانت مفقودة، فلم أتأثر بالأوساخ والأقذار المحيطة بي ولا بالذباب والبعوض الذي كنت أتضايق منه قبل الحادث، كما أن حاسة الذوق عندي أصبحت أيضاً على قدر من الضعف غير أنها عادت إلى حالتها الطبيعية فيما بعد، كما أن أذني إستعادت قدرتها على السمع لأنني لم أعد أجد صعوبة في فهم ما كان يقال لي، وأحياناً كانت حاسة السمع عندي تبدو أكثر حدة، ولعل هناك حاسة سادسة جعلتني أوصل العمل رغم تعطل حواسي الأخرى مثل التمييز بين المرئيات.

وعند حلول المساء جاء السيد ميزوجوتشي إلى الحجرة وقد بدت على وجهه علامات الإنزعاج، فسألته عما وراءه من أخبار ملتصقاً في ذلك الفرصة للتخلص من المجهر ومن أفكارى المضطربة، فذكر لي أنه لا يستطيع أن يستمر في أداء واجه كمسؤول عن توفير الإمدادات للمستشفى والمرضى ما لم يستطع الحصول على سيارة خاصة بالمستشفى، وذكر لي أن هناك سيارات تقف أمام المستشفى تملكها بعض المصالح الحكومية الأخرى ولكنهم يرفضون إعارتها لنا إلا إذا حصلوا على نسبة معينة من الإمدادات الخاصة بالمستشفى، وقال لي أن جانباً كبيراً من معونة الجيش لا تزال خارج حدود المدينة ولا تتوافر وسيلة لنقلها، وستتعرض للتلغف بسبب الأمطار أو تذهب إلى جيوب الإنتهازيين الذين يثرون على حساب معاناة الناس.

وأسفت لهذه الأخبار، فمثل هذا المسلك يضيف عناء كبيراً إلى ما يعانيه شعب منى بالهزيمة، فالجشعين والانتهازيين أصبحوا الآن يحكمون المدينة، ولم يسبق لنا أن شهدنا مثل هذه الظاهرة، وأصبح أملنا الآن معقوداً على ظهر زعيم شريف يهب من بين هذا الركام والفساد ليعيد الأمور إلى نصابها، وتذكرت مثل صيني قديم يقول: "إن السمكة الكبيرة لاتعيش إلا في الماء العكر"، وقد كنا جميعاً أسماكاً صغيرة تعيش في المياه النقية التي جرت في عصور مايجى وتاشيو وشووا²⁹، ولعل مياه تاريخنا وقد أصبحت الآن مكدرة توفر البيئة الملائمة لنمو سمكة كبيرة، فقد تظهر بيننا شخصية ذات شأن تعيد بناء اليابان من جديد.

ورغم أن مثل هذه الأفكار الفلسفية لم تحل المشاكل التي واجهت السيد ميزوجوتشى وتيسر له سبيل العمل فقد جعلتني أشعر ببعض الراحة النفسية.

سعدنا بعد تناول وجبة العشاء إشاعة عن احتمال توصيل الكهرباء إلى المستشفى وأن ثمة أسلاكاً تم وأن المستشفى سيضاء بالكهرباء خلال أيام، وقد إنطلقت هذه الإشاعة عندما لاحظ أحد الأشخاص وجود سلك أصفر يمر بطريق هاتشوبورى في إتجاه المستشفى، ثم إتضح فيما بعد أن هذه الأسلاك كانت خطأ تليفونياً أقامه الجيش لإستخدامه الخاص.

أيقظني الدكتور تاماجاوا من النوم في ساعة متأخرة من الليل ليبلغني أنه وجد تغييرات كبيرة في جميع أعضاء الجسم في الحالات التي قام بتشريحها.

31 أغسطس 1945

جو ممطر في الصباح الباكر يترواح بين الصفاء والأمطار بقية اليوم.

كان أول ما فعلته هذا الصباح أن إتجهت إلى شرفة السطح وأحسيت رأسى نحو الشرق مصلياً من أجل الإمبراطور، فقد رأيت فيما يرى النائم حلماً أزعجني خلال الليل إذ شاهدت جمعاً كبيراً من الناس إحتشد ليشاهد الإمبراطور وهو يعتلى ظهر البارجة ميسورى الراسية في خليج طوكيو، وكان السيد جرو سفير الولايات المتحدة يقود الإمبراطور إلى غرفة المحاكمة، ثم بدأ البحارة يرفعون مراس السفينة إستعداداً للإقلاع، وماهى إلا لحظات حتى كانت السفينة قد إختفت من الأفق، ثم تغير المنظر فشاهدت السفينة عند الضفة الأخرى من نهر أوتا حيث تقع حديقة أسانو سنتاى وقد إمتلأ جسر النهر بالآلاف من ضاحيا القنبلة الذرية، وما كادت البارجة ميسورى ترفع مراسيها حتى ألقى هؤلاء بأنفسهم في النهر وأخذوا يسترحمون البحارة ويرجونهم إبقاء الإمبراطور على أرض الوطن، بينما سيح بعضهم في إتجاه السفينة بجنون محاولين منع البحارة من رفع مراسيها. وعند هذا الحد إستيقظت من النوم مفزعاً خائفاً وقد تفقد جسدى عرقاً، لقد كان عطفى الباطن نشطاً أثناء النوم، وإجتمعت فيه أطراف القصص التي سمعتها عن ضحايا القنبلة في حديقة أسانو سنتاى مع أطراف الأحاديث التي دارت حول مصير الإمبراطور والإستسلام، ولكن السفير جرو لم يتبادر إلى ذهنى منذ زمن بعيد ولكنه كان يرمز بالنسبة لنا إلى الجماعة التي حاولت أن تحول دون قيام الحرب عند بداية إندلاعها.

لم يكن الجو أقل رطوبة أو كآبة اليوم عنه في الأيام السابقة ولكن فخذى كانت آخذة في التحسن ربما لأننى إعتكفت طوال يوم أمس.

توجهت إلى العيادة الخارجية فوجدت المرضى يصطفون لفحص دمائهم وكان الدكتور هانا أوكا وطالبي الطب منهمكون في فحص العينات، ولمحت على المنضدة أمامهم زجاجة تحمل بطاقة كتب عليها "لفحص صفائح الدم" 30 فسألته الدكتور هانا أوكا عن ذلك فذكر لى أن الكثير من شرائح العينات تخلو تماماً من صفائح الدم، فسألته عما إذا كان الدكتور كاتسوى يواجه نفس المشكلة فأكد لى ان جميع الحالات التي فحصت كانت إما خالية من الصفائح أو تحتوى على عدد ضئيل منها.

وذكرتني ملاحظات الدكتور هانا أوكا بالحالات التي تم تشريحها، فعمل السبب في عدم تجلط الدم راجع إلى تناقص صفائح الدم، فأسرعت بإبلاغ هذه النتيجة إلى الدكتور تاماجاوا. فرد على متعجباً: "إذا كان الأمر كذلك فإننا نعرف الآن سبب عدم تجلط الدم بعد مرور سبع ساعات على حدوث الوفاة"، وتركت الدكتور تاماجاوا غارقاً في التفكير وكأن ملاحظتى قد أعطته مفتاحاً لحل لعز محير، وراح يقلب بعض الأعضاء التي إستخرجها من بعض جثث المرضى وقد إمتلأت بالبثور الدموية الحمراء وأكد لى أن نقص صفائح الدم مسئول عن إزياد البثور إلى هاذ الحد، وكانت تلك ظاهرة سائدة في الحالات التي تولى الدكتور تاماجاوا تشريحها وكذلك الحالة التي كان الدكتور كاتسوى قد قام بتشريحها، ويحدد الفحص الإكلينيكي لتلك الحالات الفوراق بين درجات الإصابة دون الحاجة إلى إستخدام المجهر، فإن نتيجة فحص وتشريح تلك الحالات أثبتت أن الوفاة نتجت عن نزيف داخلى ونقص في عدد صفائح الدم.

فالآنسة كوباياشى التي ماتت في السادس والعشرين من هذا الشهر نتيجة آلام باطنية حادة وضيق في التنفس كانت تعاني من نزيف حاد في البطن، وإنتشرت البثور داخل البطن وخارجها. أما السيدة تشودو التي ماتت في التاسع والعشرين فقد

²⁹ عصر مايجى يحدد بداية بناء الدولة الحديثة في اليابان والأخذ بمظاهر الحضارة الغربية ويبدأ بعام 1868 أما عصر تايشو فقد استمر من 1912 حتى 1926 عندما إعتلى الإمبراطور هيروهيتو العرش وتلقب بشووا.

³⁰ تلعب صفائح الدم الكروية أو البيضاوية دوراً هاماً في الدورة الدموية المعقدة وفي الحالات الطبيعية يبلغ عددها 300 ألف في السنتمتر المكعب من الدم، فإذا تأثرت الأعضاء التي يتكون منها الدم بالإشعاع فإن عدد هذه الصفائح يتناقص وقد تختفى تماماً وينتج عن ذلك حدوث نزيف من خارج الجسد (الأنف أو الفم أو الشرج) فصفائح الدم تساعد على التجلط وبدونها يفقد الدم قوامه.

كانت تعاني نزيفاً في جدار القلب، والسيد ساكاي الذي مات في نفس اليوم نتيجة ضيق في التنفس ثبت بالتشريح وجود البثور بالقص الصدري وتجويف البطن، أما السيد أونومى فقد مات إثر نزيف حاد من الأنف والشرح، والسيد ساكاي نبشى الذي مات بالأمس كان يعاني من بثور كثيفة بالقص الصدري، كما أن البثور كانت تكسور رنيته وجميع أحشائه، ولما كانت أسرته قد أصرت على عدم إستئصال مخه فلم نستطع أن نعرف ما إذا كان يعاني نزيفاً في المخ.

لقد كان النزيف سبب الوفاة في جميع الحالات التي تم فحصها، وكثافة البثور التي تعد بمثابة العرض الخارجى للنزيف لا علاقة لها بإتساع مصدر النزيف في الأحشاء، كما أن النزيف الداخلى كان يتفاوت من عضو إلى آخر داخل الجسد الواحد، فقد ينزف أحد هذه الأعضاء بينما لا يتأثر الآخر، وكانت أكثر الأعضاء تأثراً بالنزيف الداخلى الكبد والطحال، ففي الحالات التي تم تشريحها كان حجم الكبد والطحال فيها اصغر من المعتاد بوجه عام.

وحتى الآن كنا نعتقد أن تناقص عدد كرات الدم البيضاء هو السمة الغالبة على مرض الإشعاع الذرى، ولكننا تبينا الآن أنه واحد من تلك السمات التي تشمل صفائح الدم أيضاً، فإختفاء الصفائح مسئول عن النزيف، والنزيف هو السبب المباشر للوفاة.

لقد تغاضينا عن فحص صفائح الدم لأن تقديرها كان من الصعوبة بمكان، على حين كان تقدير كرات الدم البيضاء أقل صعوبة، ونحن نعلم الآن أن جميع أعضاء الجسم المكونة للدم ذات صلة بالمرض، فكرات الدم البيضاء وصفائح الدم وحتى كرات الدم الحمراء تتأثر جميعاً بالمرض، فقد إكتشفنا تغيرات غير عادية كثيرة طرأت عليها نتيجة المرض، ولكن هذه التغيرات قد تحدث بسبب الأنيميا الناتجة من النزيف، لذلك لم نكن على ثقة من إرتباطها بالمرض، أما الصلغ فراجع إلى اضطراب عملية تغذية بصيلات الشعر، لقد أصبحت الآن الصورة الباثولوجية لمرض الإشعاع تلقى الضوء على حقيقة ذلك المرض.

تنبهت على صوت السيدة سائيكى العجوز وهى تقول: "يا دكتور ماذا حدث لك لقد نسيت تناول طعام الغذاء وقد أصبحت الآن الساعة الرابعة، لا يجب أن تهمل نفسك إلى هذا الحد فلن نقيم الساجير أودك، إنك تؤذى صحتك بهذه الطريقة"، فأجبتها بركة: لقد إكتشفنا أيتها الجدة بعض المسائل التي كانت تحيرنا من قبل، فسألتنى عما إذا كنا نستطيع الآن علاج المرض غير أنى لم أحر جواباً.

وبعد تناول الغذاء الذى أعدته لى السيدة سائيكى أحضرت لى ماء مغلياً فقمت بإعداد الماتشا لجميع رفاقي بالحجرة، وقد بدت عليهم علامات التحسن اليوم، فتمائل الدكتور ساسادا والسيد شيوتا للشفاء، وتوقف الإسهال الذى كان يعاني منه السيد كادوياء، وتجاوزت السيدة سوسوكيدا والأنسة ياما مرحلة الخطر، أما زوجتى فقد زابلتها الحمى وتحسنت حالتها بشكل عام، وقد قضينا جانباً كبيراً من الليل مستغرقين فى الضحك بسبب الطرائف التي كان يقصها علينا الدكتور تاماجاوا.

أول سبتمبر 1945

يوم ممطر غائم.

إبتل فراشى من المطر هذه الليلة ولكنى كنت أعط فى نوم عميق فلم أكتشف ذلك إلا فى الصباح، وظهرت على نتيجة لذلك أعراض نزلة برد حادة.

عندما إستيقظت من النوم كانت السماء تمطر بإنتظام مطراً مداراراً، وزادت متاعبى عندما أحسست بالعجز عن بلوغ المرحاض الخاص الذى إعددت الذهاب إليه كل صباح، وبعدما إنتظرت وقتاً طويلاً حتى تخف حدة المطر لم أجد مفرأ من إستعارة مظلة والتوجه إلى مرحاض المستشفى، وقد راعتنى قذارة المكان والعدد الهائل من البعوض الذى كان يظله، وأيقنت أن هذه المسألة لا تحتمل البقاء بلا حل وإلا تعرضنا لوباء الدوسنتاريا الأميبية. وبعد تناول الإفطار ذهبت إلى مكتب العمل على الرغم من الصداع الشديد والسعال اللذان عانيت منهما، وناقشت المسألة مع السيد سيرا والسيد كيتاءو فعلمت منهما أنهما حاولا حل هذه المشكلة مع مصلحة المواصلات ولكنهما لم ينالا سوى وعداً ببناء مرحاض صحى، ولكن هذا الوعد لم يترجم إلى عمل جاد، فطلبت منهما أن يقوما بصب بعض المطهرات كالليزول فى تلك الحفرة لمنع إنتشار العدوى والقضاء على الذباب، فوافقا على ذلك ولكنهما إعتذرا لعدم وجود أى مطهرات من هذا النوع بالمستشفى وأنهما لم يستطيعا الحصول على كمية منها. وكان من الواضح أن هذان المسكينان يبذلان جهداً يفوق طاقة البشر لتلبية حاجات المستشفى. وأحسست بالتعب فسحبت صندوقاً خشبياً وجلست فوقه وسألتهما عن الأحوال بصفة عامة، فذكرا لى أن الأنسة تاكامى والسيد ياماموتو قد عادا الى العمل بعد أن شفيا من جراحهما، وأنهما حصلا على كمية من أسلاك الكهرباء، وأن عمال إدارة الكهرباء أبلغاهما أنه سيتم توصيل الكهرباء إلى المستشفى قبل نهاية هذا اليوم، فسعدت لهذا النبأ، لأن الإنارة الكهربائية ضرورة ملحة بالنسبة لنا. وتبادلنا معها أطراف الحديث لحظة وقبل أن أغادر مكتب العمل جاءتنى رسالة مفادها أن الدكتور تسوزوكى الذى ينتمى إلى قسم الجراحة بالجامعة الإمبراطورية بطوكيو سيزورنا فى الثالث من سبتمبر لمناقشة المشاكل المترتبة على إصابات الإشعاع الذرى.

زاد عدد العاملين بالمستشفى هذا الصباح بإنضمام طبييين من أطباء هيروشيما إلينا على سبيل التطوع، وكان أحدهما هو الدكتور ناجاياما الذى كان يزوال المهنة فى ضاحية هاكوشيما القريبة من هيروشيما، أما الآخر فهو الدكتور إيتاءوكو

الذى كان يبدر عبادة بأحد أحياء المدينة، وكلاهما فى مطلع العقد الخامس من عمره، وكانا قد أصيبا بالحروق ثم شفيا فرحبنا بهما.

وعندما حان موعد الغذاء لم أشعر بالرغبة فى الطعام، فأويت إلى فراشى بعد إرتشاف الماتشا وقد جعلنى مذاق الشاى المروءفته أحس ببعض التحسن.

زارانى بعد ظهر اليوم ممثل للجمعية الطبية بأوساكا يدعى الدكتور هورى، وقد إستاء لما أصاب هيروشيما من دمار ، ولا حظ أن حجم الدمار يفوق ما كان يتصوره وما ورد بالتقارير الرسمية التى أبلغت إليه قبل مغادرته أوساكا. وبعد أن أبدى أسفه لما حدث، سألنى عما فعلناه، لمواجهة ما ترتب على الحادث من مشاكل طبية فأجبته قلانلا: "يجب أن تعلم أن 72 طبيبياً من بين 190 طبيبياً كانوا موجودين بهيروشيما يوم البيكا قد قتلوا أو فقدوا، ومن ثم تستطيع أن تستنتج ما كانت عليه حال الخدمة الطبية فى المدينة بعد الحادث، ولكنى أستطيع أن أخبرك بالوضع بالنسبة لمستشفانا، فيفضل شجاعة وجهود هيئة المستشفى وموظفى المصلحة الذين كانت إصاباتهم طفيفة إستطعنا مواجهة الموقف، فقد تصدوا لخدمة المرضى الذين كانوا يتدفقون على المستشفى، وزاد من صعوبة مهمتهم إندلاع النار فى مبنى المستشفى ومبنى المصلحة المجاور له". فسألنى الدكتور هورى عما فعلناه بالمرضى الموجودين بالمستشفى عند سقوط القنبلة، فأجبته بأنه لم يكن لدينا مرضى بالقسم الداخلى لأننا قمنا بإخلاء المستشفى خلال الأسبوع الأول من يونيو ونقلنا المرضى إلى مكان أكثر أمناً لضمان سلامتهم حتى تصبح المستشفى خالية لمواجهة الطوارئ فى حالة وقوع كارثة.

فسألنى الدكتور هورى عن دواعى إقدامى على إخلاء المستشفى فقلت له: "ربما لم تكن الدواعى التى دفعتنى إلى إخلاء المستشفى بذات بال، ولكن الشك ساورنى عندما لاحظت أن الجيش قام بإخلاء المدرسة العسكرية المجاورة للمصلحة ونقل طلابها إلى منطقة المترفعات المجاورة للمدينة، كما أن الجيش أخذ ينقل مخازنه ومستودعاته التى تقع جنوبى المدينة، هذا بالإضافة الى تعدد الغارات الجوية على المدينة وترحيل الجنود خارجها، وترك عدد محدود منهم بالثكنات، غير أن هؤلاء كانوا بلا حيلة فإستنتجت من ذلك كله أن الجيش يفكر فى الجلاء عن المدينة فى حالة تعرضها للهجوم، كما أن ثمة شئ آخر دفعنى إلى إتخاذ قرار إخلاء المستشفى، فعندما كانت مدننا الكبرى تتعرض لقصف شديد، رددت الصحف بيانات تقول إن الخسائر المترتبة على هذا القصف محدودة، ودفعنى ذلك إلى القلق على مصير مدينتنا، كما أن هذا المستشفى يتمتع بموقع لا يحسد عليه إذ تحيط به المنشآت العسكرية من كل جانب، وفى حالة تعرض المدينة للقصف قد يصاب المستشفى بطريق الخطأ بدلا من القيادة العسكرية، ولم تكن هناك إستعدادات كافية للدفاع المدنى، ألا تعتقد أن هذه كلها مبررات كافية لإتخاذ قرار الإخلاء؟ لقد طلبت أيضاً من مرضى العيادة الخارجية أن يغادروا المدينة إذا إستطاعوا، وعندما سقطت القنبلة الذرية كان المستشفى خالياً إلا من بعض الحراس المدنيين الذين إستخدموا الطابق الثانى من المستشفى كمأوى لهم". ثم سألنى الدكتور هورى عن الجراح التى تبدو فى جهى فقضت عليه قصة تلك الجروح، وأجبت عن أسئلته التى دارت حول ظروف الإصابة، وقد راقنى الحديث إليه فهو رجل هادئ الطبع ذكى متعاطف معنا، فشعرت بالارتياح لهذه الزيارة.

قبيل المساء بدأت أتفقد عناصر المرضى، والتقيت فى الممر الذى يقع بين قسم الأشعة وحجرة الفراشين بالسيد كيتاءووالسيد يامازاكي وبعض الممرضات وهم يلاعبون إنبة السيدة تشودو التى توفيت، وعلمت أنهم سيرسلون الطفلة إلى دار حضانة فى أوجينا لأن السيدة فوجى التى تبنت الطفلة لا يتوافر لديها الحليب الكافى لإطعامها، وقد ثبت السيد يامازاكي صندوقاً فوق دراجته ليحمل فيه الطفلة إلى دار الحضانة، فلم أتمالك نفسى من الإنفجار فى البكاء، فإن حال هذه الطفلة اليتيمة التى مات والداها بعد معاناة الألم ذكرنى بظروف وفاة أمها، ولكنى شعرت بالطمأنينة لأن هذه الطفلة تتمتع بحب الناس، ولأنها قد تجد الراحة فى الدار التى ستأويها.

بعد تناول طعام العشاء، جلسنا حول المائدة وتجادبنا أطراف الحديث، وكانت إشاعة نفى الإمبراطور هى الموضوع الرئيسى لحديثنا، حتى بدأ رفاقى ينصرفون الواحد تلو الآخر إلى حجرة النوم وتركونى وحدى فى حجرة الطعام، ولما لم أجد من أتحدث إليه أويت إلى فراشى، ولكنى لم أستطع النوم لأن الفراش كان لايزال رطباً، كما أن مشكلة طفلة السيدة تشودو سيطرت على تفكيرى، وجرنى التفكير فى أمر هذه الطفلة إلى تذكر اليتامى الذين خلفهم حادث القنبلة، لقد كان بالمستشفى طفلة فى الثامنة من عمرها فقدت جميع أقاربها كما ماتت جدتها التى كانت آخر من بقى على قيد الحياة من أسرتها، وصبى فى الثالثة عشر من عمره مع أخته التى تبلغ الثامنة من عمرها جاء إلى المستشفى لبيحتنا عن والديهما فعثرا على أمهما وشقيقهما الأكبر، ولكنهما ماتا بعد ذلك وتركنا هذين الطفلين وحدهما فى هذا العالم، وقد تبنى السيد ميزوجوتشى أولئك الأطفال المهذبين الأذكىاء الذين أصبحوا موضع إهتمام كل فرد فى المستشفى، وجرنى التفكير فى هؤلاء اليتامى إلى تذكر ولدى وأمى التى تتولى رعايته وزاد إحساسى بالوحدة والحزن، ولم يطرق النوم جفونى إلا فى ساعة متأخرة من الليل.

2 سبتمبر 1945

زخات مطر.

كان المستشفى هادئاً هذا الصباح، وقضيت وقتاً طويلاً مستلقياً على فراشى محملاً فى الأفق عبر النوافذ المحطة فى قوس قزح الذى إرتسم فى السماء إيداناً بسقوط زخات المطر، وقطعت السيدة سائيكى العجوز خلوتى حين جاءت إلى الحجرة تناديني قائلة: "ماذا حدث لك يا دكتور، طعام الإفطار جاهز، ولا زلت راقداً فى الفراش حتى الآن!".

تمتطيت وثناءبت ثم نهضت من الفراش في إثر السيدة سائيكى العجوز في الطريق إلى حجرة الطعام، حاولت أن أكل ولكن الطعام كان لا طعم له بالنسبة لي، فأعددت كوباً من الماتشا ولكنه كان عديم الطعم، فلم أستسغ طعاماً أو شرباً، وكلما حاولت أن أتناول شيئاً عافته نفسي، فتجرت دواء للمعدة وتحاملت على نفسي حتى عدت إلى حجرتي لأرقد من جديد، كان أنفي مزكوماً وأحسست بثقل في رأسي، فقد أصابتنى نزلة برد حادة، ولكني لم أكن أستطيع الرقاد حتى أبلو من المرض، فغادرت الفراش قاصداً مبنى المصلحة. كان كل شيء هادئاً هناك كما هو الحال في المستشفى، وحين سألت عن سر ذلك الهدوء قيل لي أن اليوم هو الأحد، حتى الآن كانت الأيام بالنسبة لي لا معنى لها، وكان هذا اليوم عندي أول يوم منذ وقع البيكا يترك أثراً في نفسي دون غيره من أيام الأسبوع، لقد أصبح يوم الأحد منذ الآن يوم الراحة بالنسبة للعاملين بالمستشفى، غير أني لم أسترح له. فقد إعتدت على الجبلة والضوضاء اللذان عاشهما المستشفى، وهذا السكون المطبق يجعلني أشعر بالإنقباض.

كان السيد أوشيو رئيس الشؤون العامة يجلس وحيداً في حجرته وقد بدا أكثر تقدماً في السن أكثر من ذي قبل، ولم يكن مكتبه أحسن منه حالاً، فقد كان يشغل حجرة أنيقة جميلة قبل البيكا، ولكنه الآن يقيم في حجرة كئيبة إكتست جدرانها بالهباب تشبه تماماً غرفة المطبخ في منزل حقير، لقد كان رجلاً عجوزاً أصابته الحروق يشغل حجرة تحمل آثار الحريق. وحاولت أن أشيع جواً من البشر رغم الأفكار التي جالت برأسي، فإمتدحت علامات الصحة التي إدعيت وجودها على وجه السيد أوشيو، وقلت له إنه محظوظ لأن مكتبه لم يدمر تماماً كما دمرت بقية حجرات المصلحة، فرد على عباراتي هذه بقوله: "كيف لا أكون محظوظاً وأنا أنام في فراش جاف فكما ترى أضع فراشي بجوار الحائط المقابل للنافذة حتى أتفادي مياه المطر، لماذا لا تنقل فراشك إلى هنا فكم يسعدني أن تكون معي؟"

فشكرته ووعدته بأن أنتقل إلى غرفته إذا لم يتوقف المطر، وتحدثنا قليلاً ثم عدت إلى المستشفى.

وجدت الدكتور تاماجاوا جالساً في حجرة الطعام يعد بعض الملاحظات حول نتائج التشريح، ونظر إلى من فوق نظارته قائلاً: "يوافق غداً عيد ميلادي كما يوافق موعد محاضرة الدكتور تسوزوكي". ثم عاد إلى الإنشغال بمذكراته دون أن يزيد شيئاً، فعدت إلى حجرتي حتى لا أعطله عن العمل حيث كان الدكتور ساسادا والسيد شيوتا يتحدثان عن الطقس، وعلمت أن السيد ميزوجوتشي قد دبر مسكناً في سينو لقيم فيه الدكتور ساسادا، وأن الدكتور ساسادا يعتزم مغادرة المستشفى من جديد عندما يتوقف المطر عن الهطول، كما أن السيد شيوتا يتأهب لمغادرة المستشفى بدوره، ففكرت في مغادرة المستشفى أيضاً، ولكن يقيني أن مكاني هنا جعلني أطرد هذه الفكرة من رأسي.

3 سبتمبر 1945

زخات مطر.

لم تلح في الأفق علامات توقف المطر، ولذلك خيم على المستشفى جو من الكآبة، فقد أصبح كل شيء مبتلاً، وكنا جميعاً نرتجف حتى العظام، ونضحت حوائط المبنى بالمياه وإبلت ثيابنا وفراشنا وأخذت رائحة العطن تفوح من كل شيء، وبالأمس قام السيد إيماتشي والسيد يامازاكي بإقامة حمام خاص للعاملين بالمستشفى قرب مدخل المطبخ وقد إستخدما في إقامته أنبوب حديدي قديم وبعض الصخور وصفائح الزنك، وبإستطاعتنا أن ننع من الآن بحمام ساخن يجعلنا نتمتع براحة الأعصاب والذهن إذا توفرت لدينا الأخشاب الجافة، لأن معظمنا لم يغتسل منذ وقع البيكا، فإذا إستطعنا أن نغتسل كل يوم وننع بدفء الحمام فإن ذلك سيعيننا على تحمل متاعب المطر.

أثناء عودتي من المرحاض هذا الصباح لمحت كلباً هزيراً كئيب المنظر يسير فيما بين مبنى المصلحة وسور المستشفى وقد أمسك في فمه شيئاً عثر عليه إكتشفت أنه بعض الخضروات التي ربما يكون قد عثر عليها بالقرب من مطبخ المستشفى، ياله من منظر يدعو إلى الأسى!، لقد أصبحت الكلاب في هيروشيما نباتية، وكان معظم شعر الكلب قد تساقط فإستنتجت أنه يعاني من مرض الإشعاع الذري أيضاً. لقد كان هذا الكلب بمنظره الكئيب يرمز إلى ما أصاب المدينة بعد سقوط القنبلة.

ذهبت إلى حجرة الطعام مبكراً لتناول الإفطار والتمتع بالحديث مع السيدة سائيكى، فقد كان تفاولها وإشرح صدرها يبعثان القوة في نفسي.

لما كان الدكتور تسوزوكي يعتزم إلقاء محاضرة حول مرض الإشعاع الذري بعد ظهر اليوم، فقد ذهبت إلى عنابر المرضى بعد الإفطار وقضيت معظم الوقت في مراجعة بطاقتنا وإستطلاع أحوال المرضى وكتابة بعض الملاحظات حتى أكون على إستعداد للتعقيب على محاضرتهم إذا سنحت الفرصة، فوجدت أن هناك بعض المرضى الجدد الذين أدخلوا إلى المستشفى ممن يعانون البثور ولكنهم يختلفون عن المرضى الآخرين لأنهم يصرون على أن حالتهم كانت طبيعية بعد سقوط القنبلة، ولم يشعروا بأعراض المرض إلا منذ ثلاثة أو أربعة أيام، وكان بعضهم قد بدأ يفقد شعره.

بعد تناول الغذاء قصدت خرائب بنك جي إيبى في ياما جوتشي بصحبة طالبي الطب وأطباء المستشفى سيراً على الأقدام لنتسمع إلى المحاضرة التي بليها الأستاذ الدكتور تسوزوكي، وكان قد إنقضى وقت طويل منذ تجولت آخر مرة في المدينة المدمرة المخربة، فتأثرت كثيراً عندما رأيت أكواخاً أقيمت وسط الحطام هنا وهناك، ومعظم هذه المنازل كانت مقامة من عروق الخشب وألواح الصاج.

وبعد قليل بلغنا المبنى الخرساني الذي يشغله بنك جي إيبي على خط الترام بالقرب من إيناري باشي، وكان من المقرر أن تلقى المحاضرة بإحدى حجرات الدور الثاني التي كانت نوافذها تطل على خزائب هيروشيما من جهة الخليج، ولاحت في الأفق جزيرة نينو شيما بوضوح تام كما لو كانت تقع على الجانب المقابل لمبنى البنك، وبدت أحياء أوجينا وإيبا واضحة للعيان صوب الجنوب وكأنها تقع على بعد خطوات من مبنى البنك فشدي منظر مدينة هيروشيما المحطمة وقد بدت صغيرة المساحة وكأنها إحدى القرى الصغيرة التي يسكنها الصيادون، وكأنها لم تكن يوماً ما تلك المدينة الكبيرة التي تطل على خليج هيروشيما.

أدهشتني أن أجد عدد الحاضرين محدوداً، ويبدو أن ظروف المطر منعت الناس من الحضور للإستماع إلى المحاضرة، وإن كانت قلة عدد الحاضرين ترجع إلى تناقص عدد الأطباء في مدينة هيروشيما وكان بين الحاضرين بعض الأصدقاء القدامى فتبادلنا التهنة بالبقاء على قيد الحياة.

جاء الدكتور كيتا جيما رئيس الإدارة الطبية بصباحة الأستاذ تسوزوكي ومعهما الدكتور مياكي أستاذ الباثولوجي وآخرون لم أكن أعرفهم من قبل، وبعد مقدمة قصيرة بدأ الدكتور تسوزوكي أستاذ الجراحة بجامعة طوكيو الإمبراطورية في إلقاء محاضرتة، فبدأ بمناقشة النظريات التي تكمن وراء تطور القنبلة الذرية، ثم تحدث عن مدى القوة التي تنجم عن تفجيرها، وانتقل إلى الأثر الذي تركته قنبلة هيروشيما، والإصابات التي نجمت عن إرتفاع درجة الحرارة بعد التفجير، وآثار الإشعاع، ثم ناقش أخيراً موضوع إمتصاص الإشعاعات.

وبعد أن إنتهى الدكتور تسوزوكي من إلقاء محاضرتة قام الدكتور مياكي بإلقاء محاضرة حول النتائج التشريحية التي ترتبت على فحص جثث مرضى الإشعاع الذري ولم يخرج ما ذكره عما توصلنا إليه في مستشفانا، وقد ضايقتني بعض الشئ لسبقه في إعلان هذه النتائج قبلنا، غير أني شعرت بالإشفاق عليه لأنه واجه نفس المتاعب التي واجهناها، وقد إستمتعت بصفة خاصة بحديثه عن تأثير الإشعاع في الدم، فقد كانت لدينا الكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع، وبذلك جاءت خلاصة أفكار المحاضر مطابقة تماماً لما توصلنا إليه في المستشفى ومؤكدة له.

وأثناء عودتنا إلى المستشفى فكرت في ضرورة تلخيص وتنظيم النتائج التي توصلنا إليها، فقد كان الدكتور تاماجاوا منهمكا في أبحاثه الباثولوجية ولم أشأ أن أخذله بالتوقف عن الأبحاث الإكلينيكية، وعندما عدت إلى حجرتي جمعت ملاحظاتي وحاولت ترتيبها، وكلما بذلت الكثير من الجهد كلما بدت المهمة صعبة، وأخيراً عدلت عن محاولتي بعدما تملكني اليأس، ولعلني أستطيع مواصلة العمل بصورة أحسن إذا إكتفيت بتحليل الإحصاءات وتخليص ما توصلنا إليه من إستنتاجات بدلا من محاولة ترتيب ملاحظاتي المبعثرة المختلطة ببعضها البعض.

بعد تناول العشاء قصصت على الدكتور ساسادا والسيد شيوتا ما سمعناه بعد ظهر اليوم، وكان الدكتور ساسادا يريد مغادرة المستشفى بفارغ الصبر، وضايقه إستمرار هطول الأمطار الذي حال بينه وبين الرحيل إلى سنيو.

تحسنت حالة زوجتي هذا المساء، وقد سررت عندما سمعتها تمزح مع بعض المرضى الآخرين، ولذلك طلبت من الأنسة كادو أن تتوقف عن حقنها بالترينونون على أن تقوم بمراقبة حالتها بضعة أيام.

4 سبتمبر 1945

طقس غائم ممطر.

أنفقت معظم فترة الصباح في ترتيب أوراقى وتجميع البيانات الإحصائية الضرورية لكتابة تقرير يتضمن ما توصلنا إليه من نتائج، ثم عاد إلى الإرتباك مرة أخرى، وفقدت المثابرة على العمل فأهملته، وإن كنت على ثقة أن ما توصلنا إليه من معلومات نتيجة متابعتنا لأحوال المرضى كفيلا بكتابة تقرير يفوق كل ما كتب عن الظروف التي واجهتها المدينة، فإن الباحثين الذين أتوا من خارج المدينة لم يمكنوا فيها إلا وقتا قصيرا، فلم تتح لهم فرصة الإطلاع على حقيقة الأوضاع ومتابعة حالات المرضى مثلما أتاحت لأولئك الذين أقاموا طوال الوقت في المدينة، غير أني لم أستطع حتى الآن أن أبدأ في كتابة التقرير، فإسترحت قليلا لإرتشاف بعض أكواب الشاي وتدخين الساجير.

وحين عدت بعد تناول طعام الغذاء إلى مكتبي لمتابعة العمل في إعداد التقرير، حضر فجأة ضيف لم أكن أتوقع قدومه ولكني رحبت بمقدمه هو السيد هاشي موتو، وكان الرجل قد تطوع لمساعدتنا بضعة أيام بعد حدوث البيكا، وأسعفتني عندما جئت إلى المستشفى مصابا، كما قام بمساعدة الدكتور كاتسوبي عندما أجرى لى العملية الجراحية.

عندما سقطت القنبلة كان السيد هاشي موتو داخل عربة من عربات الترام التي تعمل على خطوط الضواحي، وكانت تلك العربة قد غادرت للتو محطة أتسوكا أتشي³¹ في الطريق إلى هيروشيما، ولما كان التيار الكهربائي قد قطع فور سقوط القنبلة، فقد إضطر السيد هاشي موتو أن يسير على الأقدام حتى محطة كوئي، ومن هناك وصل إلى هيروشيما متتبعا خط الترام، وما كاد يصل إلى المستشفى حتى تحولت المدينة إلى ألسنة من اللهب، وكلف بمعاونة الدكتور كاتسوبي والمرضات في تنظيف غرفة العمليات، ثم أسندت إليه مهمة جمع الأخشاب لإستخدامها في غلى الماء اللازم لتطهير أدوات الجراحة.

³¹ أتسوكا أتشي قرية تقع في الطريق إلى مياجيما على بعد نحو أربعة أميال إلى الجنوب الغربي من هيروشيما.

وما كدت آراه حتى بادلتها التحية بحرارة وقلت له: "إننى مدين لك بالكثير يا سيد هاشى موتو، فلولا معاونتك لما إستطاع الكثير هنا البقاء على قيد الحياة".

فتقبل كلماتي بتواضع جم، وحاول أن يهون من قيمة ما أداه لنا من خدمات، وعلمت منه أن أحداً لم يكن يتوقع لى النجاه، وأنه يعزى الفضل فى بقائى على قيد الحياة إلى العناية الفائقة التى أولانى إياها الأطباء والمرضات. ويبدو أن هذا الحديث قد أوقع السيد هاشى موتو فى الحرج فحاولت أن أغير الموضوع بسؤاله عن التجربة التى مر بها عندما سقطت القنبلة.

فأجاب بعد أن أطرق ملياً: "لقد كانت تجربة مهولة، كانت عربة الترام قد غادرت لتوها محطة أتسوكا أتشى، وكانت تسير بمحاذاة مستشفى مياكى للجراحة عندما سمعت دويًا هائلاً (دُن)، وتوقفت عربة الترام فجأة، وقفز كل من فيها وعدوا نحو المحطة، فخشيت أن تكون المحطة أكثر تعرضاً للخطر فعدوت نحو الطريق العام، عندئذ رأيت سحابة ضخمة ترتفع فوق هيروشيما، وعلى جانبي تلك السحابة الكئيبة كانت تتناثر ساحابات صغيرة جميلة تبدو وكأنها شاشات ذهبية.

وكانت الساعة العاشرة صباحاً عندما وصلت إلى كوتى، وبلغت بوكوجاوا نحو الظهر، وكان كل شئ قد احترق فيما بين بوكوجاوا وهيروشيما وبدأ يتساقط مطر عزيز، فإحتميت بأحد المنازل التى لم يدركها الحريق حيث كانت هناك سيدة عجوز تصرخ منادية إبننتها التى خرجت من الدار ولم تعد، ويبدو أنها كانت ملتحقة بإحدى فرق العمل، وعندما وصلت إلى جسر ميساسا الذى يعبره الخط الحديدى كانت قوائم الجسر تحترق، وعند نقطة الحراسة الأولى شاهدت رجلاً ميتاً وكثير من الناس يجلسون داخل صهاريج المياه يلتقطون أنفاسهم بصعوبة، ياله من منظر مفرغ! وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما وصلت إلى مبنى المصلحة، وما كدت أصل إلى المصلحة حتى كان حدائى قد بلى نتيجة سخونة الأسفلت وذوبانه.

ولا أكاد أذكر عدد اقبائل التى ألقيت على المدينة، ولكنى أتذكر جيداً أننى شاهدت مظلتان تهبطان من السماء، وكان هناك نحو عشرين أو ثلاثين جندياً يرقبونها معى وهم يصفقون فرحين وقد ظنوا أن الطائرة ب-29 قد أصيبت وأن طيارها يحاولون النجاة.

وإستمر السيد هاشى موتو يقص أطرافاً من تجربته خلال الأيام الأولى التى تلت القصف ثم إستأذن فى الإنصراف. وبعد أن تركنى حاولت أن أتصور فى ذهنى السماء الجميلة التى تزينها السحب الذهبية التى وصفها، فعندما كان يبدى إعجابه بمنظر السماء، كنا نحن نحاول النجاه من الموت تحت أنقاض بيوتنا التى كانت تتداعى. كما كنا نسير على غير هدى فى شوارع المدينة التى لفها الظلام. لقد كانت رؤية الناس للبيكا داخل المدينة تختلف تماماً عن رؤية غيرهم له خارجها، فبدت السماء لمن كانوا داخل المدينة مكسوة بسحاب أسود داكن جعل الناس يتلمسون طريقهم بصعوبة، أما من كانوا خارج المدينة فقد شاهدوا سماء ذهبية اللون جميلة المنظر، وإن كانوا قد سمعوا صوت إنفجار رهيب.

لقد أعجبنى فى رواية السيد هاشى موتو دقة ملاحظته، فقد وصف السحابة بأنها كانت كبيرة سوداء اللون متعددة الطبقات تفتتح مثل نبات عش الغراب، ولكنى لم أسمع من قبل أنه كان يحيط بتلك السحابة سحباً أخرى تختلف عنها فى اللون. لقد سمعت عرضاً من أولئك الذين كانوا يقيمون خارج هيروشيما مثل سكان فوتشو وفورواتشى³² أن السماء كانت جميلة، ولكنى تبينت الآن سر جمال السماء يومذاك، فهذا الجمال الذى بدا لمن راقبوا المشهد من الخارج كان يخفى تحته الدمار للمدينة العظيمة والموت لسكانها.

5 سبتمبر 1945

جو غائم فى بداية اليوم ثم ما لبثت الغيوم أن إنقشعت وأصبح السماء صحواً.

مر اليوم العاشر بعد المائتين الذى يحدد بداية موسم التيفون³³ دون أن يحدث ما يكدر الصفو، ربما كان المطر يعوق هبوب العواصف، ولكن الرياح بدأت تهب بقوة محدثة ضوضاء شديدة، لذلك كان نومي متقطعاً ليلة أمس بسبب زئير الرياح، وحلمت أن شينا ما يطار دنى، ولكن عندما إسقيظت فى الصباح كنت خالى الذهن تماماً.

تناولت طعام الإفطار مع كوب مركز من الماتشا، وسمعت أن بعض الصحف اليومية قد وصلت إلى المصلحة، فذهبت إلى هناك لعلى أقرأ شينا عن الإستسلام، ولكن خاب ظنى عندما علمت أن الصحف لم تصل بعد، كما أن السيد أوشيو لم يسمع شينا سوى أن الإستسلام غير المشروط كان موضع قبول هيئة الأركان ووزير الخارجية، وعلمت أن ما قمنا به من جهود منذ البيكا قد أبلغ إلى وزارة المواصلات فى تقرير شامل، فسعدت لسماع ذلك النبأ وتمنيت أن تكافئ الوزارة العاملين معى على ما بذلوا من جهد.

عدت إلى حجرتى وقضيت بقية فترة الصباح فى كتابة بعض الملاحظات عندما زارنى السيد ماتسوموتو محرر جريدة سان جيوكيزاى (الصناعة والاقتصاد).

³² فوتشو قرية تقع شرق هيروشيما على بعد 5000 متر من مركز التفجير وتختفى خلف التلال، أما فورواتشى فمدينة تقع على بعد ثلاثة أميال شمال هيروشيما.

³³ التيفون إعصار مطر يصيب منقطة الشرق الأقصى فى مطلع فصل الخريف على فترات متقاربة ويحمل كل منه إسماً خاصاً.

رتبت النتائج الإكلينيكية التي توصلنا إليها بنفس الطريقة التي صنف بها الأستاذ الدكتور تسوزوكي أنواع الحالات التي عرض لها في محاضرة الأمس وهي: جروح الانفجار، وحروق بريق الضوء، ومرض الإشعاع، وكانت تنقضى المعلومات عن المرضى الأوائل الذين أدخلوا إلى المستشفى لأننا لم نكن نحتفظ عندئذ بسجلات خاصة، كما أن المرضى الذين كانوا موضع إهتمامى ماتوا جميعاً، غير أنه يتوافر لدينا سجلات لنحو مائتى حالة أدخلت المستشفى فيما بعد. وقمت بترتيب هؤلاء وفقاً للأعراض والشواهد ونتيجة فحص الدم والمسافة بين مواقعهم عند الإصابة ومركز التفجير، وكانت محاضرة الدكتور تسوزوكي والدكتور مياكى ذات قيمة بالغة لأن معاملنا وأدواتنا كانت قد دمرت تماماً، كما فقدنا الإتصال بالعالم الخارجى، فكنا نجهل تماماً المعلومات العلمية والفنية الضرورية لإستخلاص النتائج. وقضيت فترة بعد الظهر فى إعداد جدول كبير على سطح من الورق حصلت عليه من المصلحة، ولم أتوقف عن العمل إلا للحظات ودعت فيها الدكتور ساسادا وتناولت وجبة سريعة. وعند حلول المساء بدأت أدفع ثمن التركيز الشديد والإفراط فى التدخين فإلتهب حلقى وألمتتى معدتى، فتناولت بعض الغرغرة وتجرت قليلاً من بيكرينات الصودا فأخذ حلقى يتحسن، وبعد أن تجشأت عدة مرات أحسست بالراحة فى معدتى وأويت إلى فراشى.

6 سبتمبر 1945

سما صافية ينتشر فيها السحاب أحيانا ثم ما يلبث أن ينفث.

سطعت الشمس اليوم وأصبحت السماء زرقاء صافية والهواء نقياً لأول مرة منذ أسابيع ورأينا الشمس مرة أخرى بعد غياب طويل فوضعنا كل شئ راطب أو مبتل فى الشمس مثل الفرش والملابس حتى الأعلام الملونة التي حصلنا عليها من سلاح المهندسين فأضافت إلى المنظر لمسة من الألوان المتعددة وشيئا من البهجة.

وحاول السيد شيوتا الإستفادة من هذا اليوم المشمس فى الإعداد للرحيل، وقد رحل الدكتور ساسادا بالأمس، وإعتزام السيد شيوتا الرحيل اليوم ملأنى حزناً رغم يقينى أن من مصلحتهما ترك المستشفى.

غادر السيد شيوتا المستشفى بعد الظهر وبرفقته زوجته المخلصة والأنسة ميازاكى فتركوا فراغاً فى مجموعتنا الصغيرة من الصعب أن يملأ من جديد، وبعد رحيلهم بقليل تلقت المستشفى معونة من الجيش تتكون من جوالات السكر التي يزن كل منها ما بين 100 و 150 كيلو جراماً وقد جاءت هذه المعونة فى وقتها فقد طال بنا الشوق إلى الحلوى، وتمنينا لو كان معنا الدكتور ساسادا والسيد شيوتا لينالاً نصيباً منها.

واصلت العمل فى إعداد أوراقى قبيل المساء مستعيناً بخريطة للمدينة رسمت عليها دوائر تقع بعد 500 و 1000 و 1500 و 2000 متراً من مكتب بريد هيروشيما الذى إعتبر مركزاً لمنطقة التفجير، ثم حاولت أن أحدد موقع كل مريض من المرضى الذين تتوافر لدينا سجلات عن حالتهم ساعة الإصابة. كان هذا العمل أصعب مما كنت أتوقع، فمعلوماتنا عن المواقع كانت تقريبية، كما أن خطوط الخريطة كانت غير واضحة لدرجة يصعب معها تحديد الكثير من الأماكن، وراحت عشرات الأفكار تتسابق فى ذهنى أثناء العمل لتحول بينى وبين التركيز على نقطة واحدة لفترة من الوقت، فتوقفت عن العمل يائساً، وتناولت دواء منوماً، وأويت إلى الفراش.

كانت حالة زوجتى اليوم أحسن من ذى قبل، فقد تماثلت للشفاء تقريباً كما أن الأنسة ياما والسيدة سوسوكيدا كانتا فى طريقهما للتحسن، وقبل أن أعط فى النوم شعرت بالقلق عندما تذكرت أن الدكتور ساسادا والسيد شوتا قد رحلا عنا.

7 سبتمبر 1945

جو غائم.

إستيقظت من نوم عميق مرتاح الذهن، وأحسست لأول مرة منذ البيكا بالقدرة على التركيز، ولذلك فحصت نحو عشر حالات قبل تناول الإفطار.

وبعد تناول الإفطار فحصت عشرين حالة أخرى قبل أن يقطع خلوتى قدوم بعض الزائرين، ولكنى واصلت العمل بعد إنصرافهم. وقبل الظهر كنت قد فرغت من دراسة نصف ما لدينا من حالات.

واصلت العمل بحماس ملحوظ بعد تناول الغذاء، وبدأت تتضح معالم الدراسة أمامى بصورة شيقة، فرتبت جداول المسافات بين مواقع الإصابة ومركز التفجير كالتالى: 500 متر فأقل، و 1000-500 متر و 1000-2000 متر و 2000 متر فأكثر. ووجدت سهولة كبيرة فى تحديد مواقع المرضى عند الإصابة، وعندما دعيت لتناول العشاء كنت قد إنتهيت من فحص 170 حالة.

لقد أصبح واضحاً أن هناك علاقة وثيقة بين تناقص كرات الدم البيضاء والقرب من مركز التفجير، وقد بدأت بإعداد هذا الجدول لأنه كان أسهل جزء فى الدراسة، ثم قمت بعد ذلك بمقارنة العلاقة بين الأعراض والمسافة من موقع التفجير، وقسمت الحالات المختلفة إلى مجموعتين: حالات الإصابات الشديدة، وحالات الإصابات البسيطة وإستفدت من هدوء الليل وبردوته فلبثت أعمل حتى الثالثة صباحاً ثم تناولت منوماً وأويت إلى فراشى.

8 سبتمبر 1945

طقس غائم مع سقوط أمطار على فترات متقطعة.

استيقظت حوالي الساعة الثامنة منتعشاً متسعداً لمواصلة العمل، فإتضح لي بصفة عامة أن أقرب المصابين إلى مركز التفجير هم أولئك الذين ظهرت عليهم أكثر الأعراض حدة، أما أولئك الذين أصيبوا على مسافات أبعد فقد كانت إصاباتهم أقل خطورة، كما أن الأعراض التي بدت عليهم كانت أقل منها عند غيرهم وعلى كل حال كانت هناك إستثناءات قليلة، فبعض المرضى الذين كانوا بالقرب من مركز التفجير ظهرت عليهم أعراضاً محدودة، وكانت كرات دمهم البيضاء تكاد تكون طبيعية. وعندما درست تلك الحالات كل على حدة توصلت إلى معرفة السبب، فقد كان هؤلاء المرضى يحتمون داخل مباني خرسانية أو خلف أشجار ضخمة أو غيرها من الحواجز القوية.

تلقيت اليوم بعض الصحف كانت جميعاً تحمل مقالات حول الإصابة بالإشعاع الذري كتب أحدها الدكتور تسوزوكي، فوجدتني موزعاً بين الرغبة في قراءة تلك المقالات والميل إلى الإستمرار في مواصلة دراستي الخاصة، وأخيراً نحييت الصحف جانباً وعدت إلى مواصلة العمل.

وبعد الغذاء حاولت أن ألخص نتائج بحثي في تقرير قصير، ولكنني إكتشفت أن مثل هذا العمل أصعب بكثير من جمع المادة، وبذلت أقصى الجهد غير أني عجزت عن ترجمة أفكارى، وكنت لا أزال أعمل عندما حل المساء، وأخيراً بدأ ذهني يتقد في وقت متأخر من الليل، وأخذ قلبي يتحرك على الورق بثبات، وغدت الكتابة بالنسبة لي أسهل من ذي قبل، فواصلت الكتابة مبهوراً بوضوح الأفكار وسهولة التعبير، وما كاد الليل ينتصف حتى فرغت من إعداد التقرير.

وظننت أن بإستطاعتي النوم بعمق هذه الليلة، ولكن ذهني كان لا يزال نشطاً فلم أستطع النوم دون أن أتناول دواء مهدئاً.

9 سبتمبر 1945

طقس غائم مع إنقشاع السحب أحياناً.

استيقظت في الثامنة صباحاً، وواصلت إعداد التقرير حتى حان موعد الإفطار، ولكن ما بدا لي رصيناً ليلة الأمل عندما كنت منهمكاً في الكتابة وجدته اليوم غثاً هزيلاً. فقد إنطلقت كالصاروخ غير أني سقطت كما تسقط العصا، أو مثلما يقول المثل القديم: "رأس تنين وذيل ثعبان". فتملكني الضيق وأخذت أبذل الجهد لقص رأس التقرير وإطالة ذيله، غير أنه كان بعيداً عن الرصانة، ولكنني إستطعت أن أدخل بعض التعديلات عليه حتى إستقام شكله، وإن ظلت صورته لا تبعث الرضا في نفسي.

وعندما جاء الصحفى السيد متسو موتو بعد الغذاء بقليل لإستلام نص التقرير طلبت منه أن يملهنى يوماً آخر لأرغم صدعه وأصلح من شأنه، فضحك وطلب أن يقرأ التقرير أولاً، وما أن فرغ من قراءته حتى طمأننى بقوله: "يا دكتور، أنه تقرير ممتاز، وسأوليّه عنايتى، ثم أعيده لك بعد النشر". وقبل ان ينصرف إلتقط لي صورة وأنا أحمل التقرير في يدي، ونصه كالتالى:

القنبلة الذرية والإشعاع الذري

ما مدى قوة القنبلة الذرية التي أحرقت هيروشيما وأهلها، ودمرت التلال، وقتلت الأسماك في الأنهار؟ لقد كانت بريقاً أبيض نجم عنه أثر مدمر. اننى واحد ممن بقوا على قيد الحياة من أهل المدينة، وصلت بالكاد إلى المستشفى عقب سقوط القنبلة، وقد غطت جسدى الدماء التي أخذت تنزف من جروح أصبت بها نتيجة تطاير الزجاج. كان منزلى يقع على مسافة تتراوح ما بين 1700 - 1800 متراً من مركز التفجير، بينما كان المستشفى يقع على مسافة 1500 - 1600 متر من ذلك المركز، وظننت أني ميت لا محالة بعدما لحقتني من إصابات، فعقدت العزم على أن أموت في المستشفى. وعندما وصلت إلى المستشفى لم تكن النيران قد إشتعلت بعد، وكان أول سؤال وجهته للناس هناك هو: "هل قتل أحد؟" ثم رحلت في غيبوبة كاملة، ووضعني زملائي على محفة، وأصبحت منذ ذلك الحين عبئاً عليهم، يقولوننى هنا وهناك في محاولة لإنقاذى من ألسنة اللهب التي أخذت تنتشر من حولنا. ولحسن الحظ لم تقتل القنبلة أحداً من العاملين بالمستشفى بسبب بعدها عن مركز التفجير، كما أن البناء كان قوياً متيناً، غير أن العاملين بالمستشفى أصيبوا بجروح، ورغم إصاباتهم ناضلوا ببسالة يجمعهم شعور الأخوة الذى أمدهم بالقدرة على مواجهة الموقف وأدهشنى هدوءهم ورباطة جأشهم رغم أن الموت كان يهددهم في كل لحظة. وأود أن أعبر هنا عن إمتاننى الشديد لهم. وكنت أتمنى خلال اللحظات الحرجة أن أحظى بالهدوء والطمأنينة اللذان رأيتهما على وجوه الممرضات. ومنذ ذلك اليوم حتى الآن أصبحت أعيش في مستشفى جيد التهوية، وكان بمقدورى أن أعبر عن إحساس المريض والطبيب في نفس الوقت، وحاولت أن أدرس التغيرات التي تطرأ على حالات مرضانا أولاً بأول.

لقد كان إنفجار القنبلة حادثاً عرضياً وقع في لحظة محددة، ولكنه غير مجرى حياة مواطنى هيروشيما، فلقى من كانوا بالقرب من مركز التفجير حتفهم، أما أولئك الذين كانوا على مسافة بعيدة عن مركز التفجير فأخذوا

يتمانلون للشفاء. لقد مر شهر على الحادث عالجنا خلاله ودرسنا حالات نحو خمسة آلاف مريض، ولا زلنا نواصل العمل. ويمكننى أن أخلص النتائج التي توصلنا إليها في الوقت الحاضر على النحو التالي:

1- أولئك الذين كانوا على بعد 500 متر من مركز التفجير خارج بيوتهم ماتوا في الحال أو لفظوا أنفاسهم الأخيرة بعد أربعة أو خمسة أيام.

2- بعض من كانوا داخل مبان تقع على بعد نحو 500 متر من مركز التفجير نجو من الموت حرقاً نتيجة إحتماهم بتلك المباني، غير أن الكثيرين منهم ظهرت عليهم أعراض ما يسمى "بمرض الإشعاع الذرى" في فترة ترواحت ما بين يومين إلى خمسة عشر يوماً من تاريخ الحادث، ومالبثوا أن ماتوا. وأعراض هذا المرض هي: الإعياء، والقيء، والبتور، والإسهال الدموى.

3- أولئك الذين أصيبوا في مناطق تقع على بعد 500 – 1000 متر ظهرت عليهم أعراضاً شبيهة بتلك التي ظهرت على من أصيبوا بالإشعاع الذرى في حدود دائرة الـ 500 متر، ولكن أعراض هذا المرض ظهرت عليهم متأخرة وبشكل أقل حدة، غير أن معدل الوفاة بين هذه المجموعة كان عالياً.

4- قمت بدراسة مواقع الإصابة بالنسبة لمرضى القسم الداخلى وعدد كبير من مرضى العيادة الخارجية، فأتضح لى أن معظمهم قد أصيب على مسافة تتراوح ما بين 1000 – 3000 متر من مركز التفجير، وبين هذه المجموعة كانت الأعراض التي ظهرت على من يقتربون من مركز التفجير أكثر حدة من غيرهم، وقد مات بعضهم، غير أن حالة معظمهم تميل إلى الثبات أو التحسن.

5- عانى عدد كبير من المرضى من سقوط الشعر بعد أسبوعين من وقوع الانفجار، وبعض هؤلاء المرضى كانت حالتهم معقولة، أما بعضهم الآخر فكانت أحوالهم سيئة.

6- تمثلت نتائج الفحص الإكلينيكي لمرضى الإشعاع الذرى في تناقص عدد كرات الدم البيضاء، كما أثبت الفحص الباتولوجى وجود تغيرات كبيرة في مكونات الدم وخاصة نخاع العظام، وقد مات كل من أصيب إصابات بالغة خلال الشهر الماضى، أما المرضى الذين يعانون من نقص في كرات الدم البيضاء وظلوا على قيد الحياة حتى الآن، فلم يطرأ تغيير ملحوظ على حالتهم ويميل بعضهم إلى التحسن.

وقد علمنا مؤخراً أن الصحف ومحطات الإذاعة الأمريكية قد تناولت الآثار التي تترتب على القصف الذرى، غير أننا لا نستطيع الوقوف على هذه المعلومات لعدم وجود جهاز راديو لدينا، كما أن الصحف لا تصل إلى هيروشيما. وقد إنزعج الناس في بداية الأمر عندما علموا أن المنطقة التي تصاب بالقنبلة الذرية لا تصلح مكاناً للسكنى لمدة 75 عاماً، وبسبب تلك الإشاعة يتردد الناس المقيمون على أطراف المدينة في دخولها والعيش فيها، ولذلك فإن مبنى المستشفى ومصحة المواصلات يقفان وحدهما وسط الدمار الذي حل بالمدينة، كما أننا نفتقر إلى المعونة الخارجية، وحتى نستطيع مواجهة تلك الإشاعة قمنا عند نهاية شهر أغسطس بإجراء فحوص طبية على الأفراد القلائل الذين قدموا من الضواحي إلى المدينة بعد حادث القنبلة ولم نكتشف وجود ظواهر غير عادية في هذه الحالات، فقد كان عدد كرات دمهم البيضاء في حدود المعدل الطبيعى أى من 5000 – 7000 خلية، كما أننا فحصنا بعض الأفراد الذين كانوا بالقرب من مركز التفجير مثل الأشخاص الذين كانوا في بدروم مكتب التليفونات، والأشخاص الذين كانوا يحتمون داخل مخابئ الوقاية من الغارات الجوية، وكذلك بعض الأفراد الذين كانوا يحتمون داخل أليات حصينة، وكانوا جميعاً يتمتعون بقدر طبيعى من كرات الدم البيضاء وحالتهم الصحية طبيعية، وقد دفعنا هذه النتائج إلى الإعتقاد بأن جو هيروشيما لم يصبح مسموماً أو ملوثاً بعد حادث القنبلة الذرية.

وأعلنا نتاشج هذه الدراسة على جميع العاملين بمصلحة المواصلات لتشجيعهم على العودة إلى أعمالهم دون الخوف من إحتمال الإصابة بأضرار صحية، وقد زار الأستاذ تسوزوكسى ومجموعة من خبراء طوكيو مدينة هيروشيما وبعد أن درسوا الوضع وصلوا إلى نتائج شبيهة بما توصلنا إليه، وإستنكروا الإشاعة التي تقول أن هيروشيما لن تصلح للسكن خلال الخمسة وسبعين عاماً التالية.

كما أن جميع العاملين بالمستشفى دون إستثناء قد لحقهم قدر من الإصابات ورغم ذلك ظلوا بالمدينة وإستمروا في متابعة عملهم بالمستشفى الذى لا يبعد كثيراً عن مركز التفجير، وإنقضى شهر كامل على قيامهم بالعمل، وعدم حدوث مضاعفات لنا دليل على أن هذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة.

ولا يملك المرء سوى أن يعجب لقوة تلك القنبلة التي إستطاعت تدمير مدينة هيروشيما وقتل وإصابة نحو نصف مليون من سكانها، لقد هزمتنا في حرب علمية، ولم نهزم في حرب تعتمد على القوى البشرية، وإذا أمعنا الفكر فى الماضى والمستقبل فسندج مسائل كثيرة فى حاجة إلى إعادة نظر.

ويمكن تنشيط مكونات الدم عن طريق العلاج وتناول العناصر اللازمة للجسم لتحقيق هذه الغاية، وقد أوصى الدكتور تسوزوكي الأستاذ بجامعة طوكيو الإمبراطورية باستخدام فيتامين ج عن طريق الحقن، وتناول الأطعمة الغنية بهذا الفيتامين، وشرائح الكبد الطازج أو المطهو، ونقل الدم والعلاج بالبروتين غير المتجانس، والكي³⁴. ونقوم باستخدام هذا العلاج الذى أوصى به الأستاذ تسوزوكي، وقد إتبعنا المثل الصينى القائل -بأن المريض الذى يتمتع بشهية طيبة لا يمكن أن يموت- فى معالجة عشر حالات، فقدمنا لهؤلاء المرضى الطعام المحتوى على فيتامين ج دون أن نحققهم أو ننقل الدماء إليهم، وأولينا جروحهم وحرقهم عناية خاصة، فبدأت هذه المجموعة فى التحسن بشكل ملحوظ أكثر من أولئك المرضى الذين قدمنا لهم طعاما عاديا وعالجناهم بالحقن ونقل الدم.

وعلى ذلك فإن من كانوا فى هيروشيما عند وقوع حادث القنبلة يجب أن يفحصوا طبيياً باستمرار، فإذا ظهرت على أحدهم أعراض مرض الإشعاع الذرى، مثل تناقص كرات الدم البيضاء، فعليه أن يلزم الراحة التامة، وأن يتناول الكثير من الطعام الجيد. وحتى أولئك الذين لا تبدو عليهم أى أعراض يجب عليهم أن يأكلوا أكثر من ذى قبل. أما المرضى فعليهم أن يكثروا من الأكل بقدر المستطاع وأن إتباع مثل هذا العلاج المنزلى ضمان أكيد للشفاء طالما نعانى من نقص فى الأطباء والمعدات الطبية.

ودعوت من قلبى أن ينجح السيد ماتسوموتو فى تنقيح مقالى فيقطع أرجل التنين دون أن يترتب على ذلك تغيير المعنى. ولا أدري لماذا لم أصر على أن يمهلى يوماً آخر أتولى فيه تنقيح المقال بنفسى، ولكن لا جدوى الآن فعلى أن أترقب نشره وما سيترتب عليه.

10 سبتمبر 1945

طقس غائم وأمطار متقطعة

استغرقت فى نوم عميق ليلة أمس بعدما تخلصت من التوتر الذى لازمنى خلال كتابة المقال، ومر الصباح بهدوء، وأخذت أطوف بأرجاء الحجرة وأشرب الشاي وأتبادل الفكاهات مع السيدة سائيكى العجوز وغيرها ممن رأيتهم.

وبعد الظهر قمت بتفقد أحوال المرضى، ولكن لم يكن لدى ما أفعله وخاصة أن جميع المرضى فيما عدا موظفى المصلحة كانوا تحت رعاية الدكتور ناجاياما والدكتور ايتا أوكا، ورأيت الأنسة فوتاكامى إحدى ممرضاتنا تجلس فوق مقعد أمام حجرة الفراشين وتحملق فى الفضاء، كانت هذه الممرضة صحيحة البدن هادئة تعمل بجد ونشاط منذ إلتحقت بقسم الأسنان بالمستشفى، وكانت تعمل ليل نهار منذ وقوع البيكا دون أن تنال قسطاً من الراحة، ولذلك بدا عليها الضعف والوهن والهزل، وحين إكتشفت أننى أرقبها إجمر وجهها خجلاً وإنصرفت فى الحال. إن نشاط البنات اللائى يعملن بالمستشفى مثل هذه الفتاه هو الذى جعلنا نتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها، ويجب علينا أن نقدر لهن جهودهن فإجتمعت بالسيد سيرا مدير مكتب العمل لننظر فى الوسيلة التى نستطيع بها مكافأة هؤلاء، وقد أيد الفكرة، وأحسست بالارتياح حين وجدته يسجل كل الساعات التى قضاها موظفو المستشفى فى العمل وعلمت منه أنه ينوى تقديم تلك الكشوف إلى وزارة المواصلات.

وفى الطابق العلوى قابلت السيد أويوكوتا أحد أعضاء مجلس المدينة الذى جاء لزيارة بعض المرضى، وحين زارنا فى الشهر الماضى كان يعانى من جراح بالغة فى قدميه، وكان بادرى الإعياء، أما اليوم فقد بدت عليه علامات الصحة. فتجاذبنا معاً الحديث حول أحوال المدينة، وأطلعتة على تطور الحال فى المستشفى، فقلت له: "أن المستشفى فى النهار، يختلف عنه فى الليل فخلال النهار لا يتواجد بالمستشفى سوى المرضى، وعندما يحل المساء يقد إلى المستشفى أفراد عائلات المرضى الذين يقضون اليوم فى العمل، ويتحول المستشفى إلى فندق مجاني لهؤلاء الذين لا يجدون مكاناً يأويهم، ولكننا لا نستطيع أن نتحمل هذا الوضع إلى مالا نهاية، فإذا إستطعنا الحصول على بعض الخيام العسكرية الكبيرة لإستعنا أن نقيم معسكراً يأويهم فى خرائب ثكنات الجيش الجنوبية ونزيع عن كاهلنا عبء إطعامهم وإيوائهم". فراقته الفكرة وطلب منى أن أمله حتى يتدارس الموضوع مع إدارة المدينة.

وعندما عدت إلى حجرة الطعام وجدت فى إنتظارى خمسة عشر خطاباً فوق المنضدة كان من بينها ستة أو سبعة خطابات أرسلها إلى بعض أصدقائى القدامى من أوكاياما أعربوا فيها عن إبتهاجم حين علموا أننى لا زالت على قيد الحياة. ولم أشعر بالسرور لتلقى خطابات الأصدقاء فحسب، بل سررت حين علمت أن مقالى قد نشر بالفعل، وأن الناس قرأوه فى مختلف المدن.

جاءت السيدة سائيكى العجوز إلى حجرتى وقالت لى: "يا دكتور، لقد تلقيت الكثير من الخطابات اليوم ألا تدرى أننا سنحصل على إنارة كهربائية إعتباراً من الليلة أنظر إلى تلك المصابيح التى يركبونها هناك" وأشارت إلى موقع المصابيح التى ستجعل النور يشع مرة أخرى فى أرجاء المستشفى.

³⁴ كان يتم الكي وفق طريقة تقليدية يستخدم فيها كومة مخروطية صغيرة من الأعشاب الجافة توضع فوق أماكن خاصة من الجسم وتحرق للتخلص من الإلتهابات وهذه الطريقة كانت متبعة فى الصين القديمة نقلًا عن مصر الفرعونية، وقد أدخلها رجال الدين البوذيين إلى اليابان.

لقد بدأ تسليم الخطابات، وعادت الكهرباء، وأن الأوان أن نستريح ونهدأ بالآ، وحين حل الليل كان الممر مضيئاً، ورغم أن المصباح كان صغير الحجم فإن نوره كان متألفاً، ولم أقدر يوماً قيمة الكهرباء مثلما قدرتها اليوم. يجب أن نحصل على مصابيح كافية لإنارة المستشفى جميعه. ولما كان السيد ميزوجوتشي قد ذهب إلى قريته سينو ولم أتمكن من العثور على الدكتور تاماجاوا، فقد جلست أتجاذب أطراف الحديث مع السيدة سائيكى العجوز على الضوء الخافت حتى ساعة متأخرة من الليل.

11 سبتمبر 1945

طقس غائم ممطر بين حين وآخر.

فانتنى أن أذكر أن السيد شيوتا كان قد ذهب لإستطلاع أحوال بيته للمرة الأولى منذ سقوط القنبلة وعاد اليوم إلى المستشفى فى الصباح الباكر ولما سألته عن أحوال بيته قال:

"يا دكتور، لقد لحق الدمار ببيتي إذ إتخذة نحو 250 جندياً من أولئك الجنود الذين أرسلوا من طوكيو للمعاونة فى تطهير المدينة مفرأ لهم لمدة أسبوع وضعوا خلالها اللمسات الأخيرة للدمار الذى حل بالبيت، فقاموا بإزالة السقف والأثاث وقرميد السقوف وكل ما وجدوه داخل البيت المنهار، وتركوه قاعاً صفصفاً، فأصبحت تستطيع أن ترى السماء فوق السقف بوضوح وعندما يسقط المطر ينساب الماء داخل البيت عبر فجوات السقف. وقد تأكل حصير الأرضية (النتامى) وأصبح كل شئ فى حالة تدعو إلى الرثاء، وأسوأ من ذلك كله أنهم أتلفوا اللوحة التى تحمل العبارات الصينية الفلسفية (جاكو) المعرفة باسم نوكينا التى أودعتها أمانه لى".

شعرت بالإكتئاب والأسى عندما عملت نياً إتلاف الجاكو التى سبق أن أهديتها إلى السيد شيوتا، فإن هذه الجاكو كانت تحفة نادرة من الفن القديم كتبت على قماش القنب، ورثتها عن أجدادى، وتحمل توقيع (هو) من مدينة أوكاياما بخط زخرفى أنيق، وكتب عليها الحكمة التالية: "حتى تصبح ناجحاً شريكاً متواضعاً عليك أن تكون رجلاً قوى العزيمة وإسلك سبيل السلف". ومنذ نعومة أظفارى كان أبائى يقرءونها لى ويذكروننى بها عندما يؤنبوننى على ما قد ارتكبه من أخطاء، وعندما شيببت عن الطوق كنت أجد متعة فى تأمل جاكو كيكوكو. لقد كانت هذه الحكم المصوغه شعراً تعد دعامة التربية الخلقية فى تلك الأيام، حتى أننى أكاد أرى الجاكو كيكوكو ماثلة أمامى وأنا أكتب هذه اليوميات، وأستطيع أن أكتب بوضوح كل واحدة من تراكيبها الصينية (كانجى) وأذكر الأجزاء التى بهتت منها بفعل الزمن والنقاط الصغيرة التى خلفها الذباب على سطحها.

وهناك جاكو أخرى من أعمال بوكودو اينوكاى أودعتها عند صديق آخر هو السيد بى شيما الذى كان يسكن على مسافة قريبة من منزل السيد شيوتا وسألت نفسى عما يكون قد حدث لها هى الأخرى وهذه الجاكو كنت أعزب بها كثيراً وأعلقها فى حجرة إستنكارى، وأبياتها التى مازلت أذكرها بوضوح تقول: " ان جانش (تلميذ كانفوشيو) الذى لم يتوقف عن دراسة الفضيلة كان فقيراً معدماً لا يملك من حطام الدينا سوى قلة ماء ولكن فقره لم يؤذ أحداً، أما المتكبر الذى يصد عن الفضائل فهو إنسان بالغ السوء حتى لو كان هذا الإنسان هو الملك كى رى كو (أحد ملوك الصين القدامى)، صاحب آلاف الأتباع الذين يقفون رهن إشارته على صهوات جيادهم".

لقد أيقنت الآن كم كانت تلك الأشياء ثمينة، وأننى عندما كنت ممثلاً بالثقة بالنصر ومشغول الذهن بالإمبراطور لم أشعر بتلك القيمة، لقد شعرت بهذا عندما لحق الدمار ببيتنا فى أوكاياما فى يوليو الماضى ودمرت معه الكثير من النفائس التى كانت تقتنيها أسرتى والتى أرسلتها إلى هناك لتكون بأمناً بعيداً عن هيروشيما، وعندما فقدت كل شئ لم أعد أشعر بالجزع، شعرت أننى قد تخلصت من عبء ثقيل فإن فقد الهيكل البوذى الخاص بأسرتى³⁵، لا يجعلنى أشعر بالأسى لأن فقدته يعطينى الحق فى أن أعيش فى أى مكان وأتوجه حيث أشاء، فكل مكان أحل به بعد الآن سيصبح بيتى وموطنى، وهذا الموقف ولده عندى الشعور بواجب التضحية بكل شئ من أجل الوطن، ولا ريب أن أسلافنا وأحفادنا سيلتمسوا لنا العذر.

لقد تغيرت الظروف، فمنذ البيكا أصبحنا جميعاً ممزقين، وقتالنا كان قتال المهزومين. لم يعد هناك معنى لبيتنا أو للنفائس الثمينة الخاصة بعائلتنا، حتى السيد شيوتا الذى لحق الدمار بمنزله لا زال يتمسك بما بقى منه، فالبيت عند اليابانى هو البيت، لذلك أحسست بالوحدة كما لم أحس بها من قبل فقد أصبحت بلا بيت.

إن الأوضاع فى عنابر المستشفى أخذت فى التغير، فقد مات أحد المرضى، وغادر المستشفى بعض المرضى الآخرين، ودخلها مرضى جدد، وتحسنت حال الفتاة الجميلة التى كانت ترقد وسط بركة من القيح، وكانت تبدو عليها السعادة عند ما أخبرتنى بعد ظهر اليوم أنه أصبح بإستطاعتها أن تذهب إلى المرحاض بنفسها دون الإعتداع على أحد، ولعل تحسن حالتها راجع إلى أن حروقها كانت ناجمة عن النار وليس عن الإشعاع الذرى، ولاحظت أن حالة أربعة أو خمسة من المرضى الثلاثين الذين دخلوا المستشفى مؤخراً تختلف بعض الشئ عن المرضى الذين دخلوها من قبل، فهؤلاء المرضى لم تبد عليهم أية أعراض حتى نهاية أغسطس، ثم ظهرت عليهم بعد ذلك أعراض الضعف العام والبثور والصلع وإلتهاب

³⁵ تحتفظ العائلات اليابانية بهيكل بوذى صغير داخل البيت تؤدى له الصلوات، ويمثل المحور الذى يربط أفراد العائلة بالمكان الذى نشأوا فيه وعلى الأجيال المعاقبة -وفق التقاليد اليابانية- المحافظة على هذا الهيكل وعلى موقع البيت الذى تسكنه العائلة ففى المحافظة عليها محافظة على تراث الأسلاف.

الحلق، وعلى الرغم من ذلك فأعراضهم أخف حدة مما كان يعانيه المرضى الذين سبقوهم في الإصابة، وجميع هؤلاء المرضى أصيبوا على بعد يزيد على 1000 متر من مركز التفجير، وكان أحدهم في موقع يبعد 1700 متر من ذلك المركز، فأزعجتني حالته لأن بيتي كان يقع على مسافة تتراوح ما بين 1500 – 1600 متر من مركز التفجير.

عدت إلى حجرتي وقد تملكني شعور بالضيق والإنقباض، فقد يحل دوري بعد حين وتبدأ أعراض الإصابة بمرض الإشعاع الذري في الظهور عندي، وشعرت بالقلق على زوجتي، ولكنني أحسست بالإطمئنان حين وجدتني جالسة في فراشها بادية السعادة لأنها أصبحت الآن تستطيع الذهاب إلى المرحاض بنفسها.

في المساء زارني بعض الأصدقاء وجلسنا نتحدث حتى ساعة متأخرة من الليل.

12 سبتمبر 1945

طقس غائم مع تساقط الأمطار بين حين وآخر.

عاد المطر يتساقط من جديد بعد ان استمتعنا بيوم أو يومين تميزا بالطقس اللطيف، فجلب لنا معه الضيق والضرر، وكنت أستيقظ كل صباح تقريبا لأجد البطانيات مبللة، فتنشرها السيدة سانكي العجوز في الممر حتى تجف. وعلمت منها هذا الصباح أنها ستطلب من السيد ميزوجوتشي أن يسد النوافذ بقطع من الخشب لتقيني شر البرد. وبعد تناول الإفطار جلست أرشفت كوباً من الماتشا مع الجدة سانكي، وكنت أتمنى أن يشاركني الدكتور تاماجاوا تلك الجلسة، ولكنه كان مشغولاً جداً، فقد توفّر لديه عدد من جنث المرضى الذين يتوفرون كل يوم، وكان عليه أن يقضى معظم الوقت في المشرفة، فبدأ وكأنه في صراع مع الموتى يعاونه في هذا العمل الدكتور هياشو الذي سرح من خدمة الجيش مؤخراً، وطالب الطب المتطوع السيد أوجاوا، ورغم ذلك كان ثلاثتهم عاجزين عن تغطية حجم العمل الملقى على عاتقهم، وأضاف المطر المزيد إلى المتاعب التي كانوا يعاونه منها فبدأوا كل يوم مثل الفئران المبتلة.

بعد الظهر أحضر السيد ماتسو موتو الجريدة التي نشرت مقالاً وقد أفردت له صفحة كاملة ونشرت صورتي، وحمل المقال عنواناً يقول: "القنبلة الذرية ومرض الإشعاع الذري". وتحت عنوانين فرعية تقول انه من الممكن أن يعيش الناس حول مركز التفجير، وأن مرض الإشعاع الذري يمكن أن يشفى بالطعام الجيد. وكقدمة للموضوع ذكرت الجريدة أنني أصبت إصابات بالغة واضطرت أن أجرى أبحاثي وأنا مقيد معزول، فبدأت من الصفر دون أن ألقى بالا إلى المعلومات السابقة. وفيما عدا ذلك نشر المقال بنصه الحرفي، وأضيف في نهايته نص الإعلان الذي كنت قد ألصقته على جدران المستشفى حول مرض الإشعاع الذري. وجملة القول أن الجريدة عالجت مقالاً بصور جيدة وإهتمت به إهتماماً يفوق ما يستحق. وقد سررت لرؤية الجريدة، ولكنني إكتشفت أنني نسيت أن اذكر شيئاً عن تناقص صفائح الدم، كما أغفلت استخدام بعض المصطلحات الطبية، وكانت إستنتاجاتي أحياناً أكثر جرأة مما يجب.

قررت أن أستحم اليوم لأتخلص من الأقدار العالقة بجسدي، دون أن ألقى بالا لجرح فخدي، فإنتهزت فرصة توقف المطر نحو الساعة التاسعة مساءً وذهبت إلى المطبخ حيث خلعت ملابسى، وكان الجو بارداً، وإتجهت إلى الحمام عارى القدمين ولكنني وجدت الماء حاراً داخل المغطس، فصببت فيه سطلين أو ثلاثة من الماء البارد ثم إغتسلت، وجلست داخل المغطس على الطريقة اليابانية والدخان يتصاعد من حولي فيسيل دموعى.

لقد كان هذا أول حمام كامل أستمتع به منذ البيكا، فرأيت أن أستمتع به إلى أقصى حد وأرخت جسدي قليلاً داخل المغطس حتى يبلغ الماء ذقتى، ففاض الماء، وأطفأ النار تحت المغطس، وخيم على الحمام ظلام دامس أتاح لى فرصة الإنفراد بالمكان دون أن يزعجنى أحد³⁶.

ذهبت إلى فراشى شاعرا بالدفاء والراحة، ونمت نوما عميقاً، ولم يقطع المطر الغزير متعة النوم لأن النافذة أصبحت مغطاة بملاءة من القماش.

13 سبتمبر 1945

طقس غائم ممطر بين حين وآخر.

زارني هذا الصباح طبيب شاب، أحضر معه مجهراً، وطلب منى أن أسمح له بفحص بعض الحالات الموجودة بالمستشفى، فرحبت به وتمنيت لو كنا قد حصلنا على مثل هذه المعاونة في وقت مبكر، ولو كان بعض كبار الأطباء الذين زاروا هيروشيما قد بقوا معنا لمساعدتنا عند بداية الحوادث عندما كنا نناضل دون أن تتوفر لدينا المعرفة أو المعدات الكافية لخفف ذلك عنا بعض العبء، ولكن المسألة إتضح الآن، ولا أظنه يستطيع أن يستكشف أبعد مما توصلنا إليه، غير أنى لم أبخل عليه بالتشجيع. وعندما أبلغته بموافقتى كان سعيداً غاية السعادة، وكأنه نال كنزاً ثميناً.

³⁶ يلعب الحمام دوراً بارزاً في الحياة اليومية لليابانيين، فارتفاع درجة الرطوبة على مدار السنة، وإنخفاض درجة الحرارة في الشتاء يجعل الحمام الساخن أمراً ضرورياً للأسرة اليابانية ويعد ضمن روتينها اليومي، وكان الحمام في ذلك العصر عبارة عن مغطس مكون من إناء معدني كبير يتسع لشخصين أو أكثر توقد تحته النار، ويغتسل الشخص خارجه، ثم يجلس القرفصاء داخله بضع دقائق يغادر الحمام بعدها لينام مباشرة. وفي البيت الياباني يخضع إستخدامه لتقاليد خاصة، فيستخدمه الأب أو رب الأسرة أولاً، يليه الأولاد الذكور، ثم الأم وبناتها.

بلغتنا إشاعة اليوم مؤداها أن قوات الحلفاء نزلت الأراضي اليابانية، فإزعج الكثير من سكان هيوشيا، وإنعكس هذا اللإنزعاج على المستشفى ففر بعض المرضى. وعندما تفقدت عنابر المستشفى بعد الظهر كانت تكاد تخلو من المرضى، حتى السيدة سوسوكيدا التي لم تشف حروقها بعد غادرت المستشفى دون إذن. وبصفة عامة كانت النساء أكثر خوفاً من الرجال لأن البعض أشاع أن جنود الإحتلال يغتصبون النساء، ولم أعرف الدافع وراء ترويح مثل هذه الإشاعات الآن، فقد شوهد الأمريكيان والإنجليز يتجولون وسط خرائب هيروشيما منذ بداية سبتمبر، ولم أكن أعتقد أن هناك ما يدعو إلى القلق، فالغربيون أناس متحضرين، وليس من طباعهم السلب والنهب والإغتصاب، ولكني رأيت أن من واجبي أن أكتب كلمات بالانجليزية تثبت على حوائط المستشفى عند المدخل تشير إلى نوعية المكان، وأن أرفع علم الصليب الأحمر على الشرفة حتى إذا رآه قَدروا مسئولياتنا وتجنبوا إزعاج المرضى.

ورغم إنشغالي بالمستشفى والمرضى، لم أنس أنني زوج، فبدأت أفكر في زوجتي، كم كنت أتمنى أن أبعدها عن هيروشيما في أقرب وقت ممكن لتلحق بولندا، كما إبتأني القلق على الممرضات اللاتي يعملن بالمستشفى وخشيت أن يلحقهن الأذى. أما زوجتي فكانت تبدي عدم الإكتراث بالأمر، وكلما تعمقت في التفكير كلما إزدادت قلقاً عليهن، ودخنت العديد من الساجير، وقطع على التفكير وصول السيد ياسودا أحد موظفي الشؤون العامة بمصلحة المواصلات وكانت تقع على عاتقه مسئولية حماية صورة الامبراطور في حالة الطوارئ وكان ركباً الترام في الطريق إلى مبنى المصلحة عندما سقطت القنبلة، وتوقف الترام عند محطة هاكوشيما، غير أنه إستطاع الوصول إلى المصلحة فوق أنقاض المنازل وعبير النيران المشتعلة، وما كاد يصل إلى مبنى المصلحة حتى صعد إلى الطابق الرابع حيث كانت صورة الإمبراطور معلقة هناك داخل حجرة محصنة بباب حديدي، فإستعان بثلاثة من زملائه وحمل الصورة إلى مكتب رئيس المصلحة حيث تناقش الجميع حول إيجاد وسيلة لإنقاذ الصورة من التلف، وإستقر رأيهم على حملها إلى قلعة هيروشيما، فحمل السيد ياسودا الصورة فوق ظهره، وتولى السيد كاجي هيرا حراسة المقدمة، وقام السيد أوشيو بحراسة المؤخرة، أما السيد آياوا والسيد أوتشي فقد توليا حراسة الجانبين. وإتجهوا عبر الحديقة الداخلية لمبنى المصلحة وهما يعلنان للناس أنهما يحملان صورة الإمبراطور صائحين: "صورة الإمبراطور ينقلها رئيس الشؤون العامة إلى ساحة التدريب الغربية!" فما كاد الموظفون والمرضى يسمعون ذلك حتى ركعوا إحتراماً للموكب الذي إتجه إلى الباب الخلفي للمبنى. ثم تذكر رئيس الشؤون العامة أنه نسي إحضار علم مصلحة المواصلات ليتقدم موكب صورة الإمبراطور حيث تقضى التقاليد بضرورة وجود العلم عندما تنقل صورة الإمبراطور من مكان إلى آخر، فعاد السيد آويا لإحضار العلم وقيل أن يعود إلى رفاقه أحاطت بهم النيران، فواصلوا السير دونه حتى بلغوا مدخل القلعة، وحين شرحوا للجنود الغرض من مقدمهم نصحوهم بالبحث عن مكان آخر غير ساحة التدريب الغربية لأن المكان مهدد بالنيران، فغيروا طريقهم وإتجهوا صوب حديقة آسانو سنتاي حتى بلغوا ضفاف نهر أوتا.

وخلال الطريق مر الموكب بالكثير من الموتى والجرحى والجنود المصابين، وكان عددهم يتزايد كلما إقتربوا من ضفاف النهر حتى أصبحت الطريق مزدحمة بالناس فتعذر عليهم المرور فأخذوا يصيحون في الناس: "صورة الإمبراطور - صورة الإمبراطور" فأفسح الناس الطريق وأحنى من إستطاع منهم الوقوف هامته إحتراماً للصورة حتى بلغ الموكب ضفة النهر سالماً³⁷.

روى لي سيد ياسودا هذه القصة بزهو شديد، فذكر لي أنهم عندما بلغوا ضفة النهر أنزلوا الصورة بأحد القوارب، وإستل أحد الضباط سيفه مؤدياً التحية العسكرية لها، وأصدر الأوامر لجنوده للإبحار بها بينما إصطف الجنود على ضفة النهر يؤدون التحية العسكرية وأحنى المدنيون هاماتهم إحتراماً وتبجيلاً.

وقلت للسيد ياسودا معقبا على قصته هذه: "لقد فعلت شيئاً عظيماً كنت فيه رمزاً للشعب الياباني"، فاحمر وجهه خجلاً وأبدى أسفه لأن اليابان خسرت الحرب، ولكني أكدت له أنه باشتراكه في إنقاذ صورة الإمبراطور كان جندياً باسلاً، وأنه في رأيي يستحق وساماً ومكافأة على هذا العمل الجليل.

بينما كنا تناول طعام العشاء وصلت إلى أنوفنا رائحة حرق إحدى الجثث وكانت تلك الرائحة تشبه رائحة شئ السردين فذكرتني بالأيام التي أعقبت البيكا، غير أننا تناولنا العشاء دون إكتراث، فقد تعودنا على إستنشاق هذه الرائحة الكريهة، ولم تعد شهيتنا تتأثر برائحة الموت. وبعد العشاء رويت قصة إنقاذ صورة الإمبراطور للسيد ميزوجوتشي والسيدة سانيكي العجوز وزوجتي والأنسة كادو.

14 سبتمبر 1945

طقس غائم وأمطار متفرقة.

كان الدكتور تاماجاوا غائبا في زيارة لأوكاياما عندما ماتت مريضة الأمس الأنسة تاكاتا، ولذلك لم تشرح جثتها، ووفاتها كانت الحالة الوحيدة خلال بضعة أيام مرت دون أن تحدث فيها حالة وفاة، وتطور مرض الأنسة تاكاتا كان مسجلاً على النحو التالي:

³⁷ كان الإمبراطور بعيد في اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية باعتباره إلهاً من سلالة الربية الشمس التي تعد أصل البيت الإمبراطوري، ولذلك لا تعجب إذا رأينا صورة الإمبراطور تعامل بمثل هذا الإجلال والإكبار. وكان من بين التطورات التي أدخلها الأميركيون إلى اليابان بعد الهزيمة إجبار الإمبراطور على إعلان أنه لا ينحدر من سلالة الآلهة وأنه ليس سوى بشر مثل بقية الناس لا يجب أن يعبد. فألغيت عبادة الإمبراطور بصفة نهائية في عام 1946.

تاكاتا، أنثى، العمر 28 عاما.

تاريخ الدخول: 28 أغسطس 1945.

الشكوى العامة: إعياء تام.

تاريخ المرض: غير محدد.

الحالة الحالية: أصيبت عند شركة توزيع الأدوية في هاتشو بوري على بعد 700 متر من مركز التفجير، شعرت بعدها بالضعف والغثيان والقي والإعياء التام والإسهال لمدة يومين، ثم إستعادت صحتها وشهيتها بعد ذلك تدريجا وزاولت أعمالا خفيفة، ولكنها فقدت حاسة الذوق، وكانت تشعر بالتعب لأقل جهد، ورغم فقدانها لحاسة الذوق فانها كانت تأكل جيدا، وبدأت تفقد شعرها بعد الإصابة بثلاثة أيام، ثم تزايد سقوط الشعر إعتبارا من 25 أغسطس وجاءت إلى المستشفى يوم 28 أغسطس لإجراء الفحوص.

تحسنت حالتها ببطء ولكن ضعفت شهيتها للطعام وأصابها وهن شديد وفقدت نحو ثلثي شعر رأسها، النبض طبيعي، والتنفس منتظم، الوجه شاحب تبدو أعراض الأنيميا في عينيها، حالة الفم طبيعية، لا يوجد أى أعراض غير طبيعية في الصدر والبطن، البول طبيعي، نقص شديد في كرات الدم البيضاء.

أول سبتمبر 1945: ظهرت بثور على الصدر تشكو من ضعف شديد.

5 سبتمبر 1945: إزداد حجم البثور كما إزداد عددها وأصبح الكثير منها فى حجم بصمة أصبع الإبهام، درجة الحرارة 40، النبض ضعيف قليلا، تشكو من الوهن وفقدان الشهية، تقضى حاجتها ثلاث مرات يوميا.

9 سبتمبر 1945: النبض ضعيف، إزداد عدد البثور وتحول حجمها من مثل حجم رأس الدبوس إلى مثل حجم الإبهام ولونها ما بين الأرجواني والبنى.

13 سبتمبر 1945: توفيت.

وتمثل حالة هذه المريضة وتطور المرض عندها نموذجا لأعراض وتطورات مرض الإشعاع الذرى.

توجهت بعد الافطار إلى مبنى المصلحة بحثا عن السيد أويشى لأعرف منه بقية قصة إنقاذ صورة الإمبراطور، فبحثت عنه هناك دون جدوى، ولكنى إنتقيت ببعض العاملين بمخزن المصلحة الذين أصيبوا خلال البيكا، وكان يبدو عليهم الإرهاق والتعب واليأس، وأخبرنى أحدهم أنه أصبح من الصعب الحصول على الطعام الكافى لأطعم الموظفين والمرضى وعائلاتهم الذين يبلغ عددهم جميعا نحو الثلاثمائة، إذ يصعب الحصول على الأسماك والخضروات الطازجة بسبب إرتفاع الأسعار، وقد أزعجنى هذا فذهبت إلى السيد إيماتشى رئيس قسم التوريدات بمصلحة المواصلات بهيروشيما، وإتجنا معا إلى غرفة الطعام بالمستشفى حيث روى لى الصعوبات التى تواجه قسم التوريدات لتوفير الأرز والخضروات لعدم توافر المال لدى المصلحة بسبب إحتراق الخزانة الحديدية خلال الحوادث، وذكر لى أن التجار والفلاحين أصبحوا لا يفرطون فى المواد التموينية بسهولة، وأطلعنى على أحد السجلات التى تبين الأسعار التى يشتري بها المواد التموينية، وكانت هذه أول مرة أرى فيها مدى الإرتفاع الجنونى للأسعار. وخلال حديثه معى تعلمت مصطلحا جديدا ذكره لى يجرى على ألسنة الناس فى المدينة هو الحفر فى "مناجم المدينة"، فقد درج الناس على التجول وسط الخرائب بحثا عما قد يقع تحت أيديهم من أشياء نافعة يبادلون بها الطعام، فشعرت بالخجل لذلك، ولكنى إنتسمت العذر للناس.

عاد الدكتور تاماجاوا من أوكاياما فى ساعة متأخرة من الليل، وأحضر معه علبة من الماتشا أعطاها له صديق قديم يدعى نا كامورا، وذكر لى الدكتور تاماجاوا أن أهالى أوكاياما لا يقلون معاناة عن مواطنى هيروشيما، وأن مستشفانا يعد بالمقارنة بغيره جنة مليئة بالخيرات، فلم يستطع الدكتور تاماجاوا أن يجد سيجارة يدخنها خلال اليومين اللذان قضاهما فى أوكاياما. وحين قدمت له علبة كاملة من السجاير لامننى على ذلك بقوله: "إنك تعيش هنا يا هاتشيا عيشة مترفة" وأخذ يدخلونهم شديدا.

15 سبتمبر 1945

جو غائم ممطر بين الحين والآخر.

زارنى بعد الافطار بعض موظفى مكتب بريد كورى، وعلمت منهم للمرة الأولى أن جيش الإحتلال قد نزل هناك. حتى كلمة "جيش الإحتلال" كانت تبدو غريبة بالنسبة لى، وشعرت بالحزن العميق لإحتلال قوات الحلفاء هذه القاعدة البحرية الكبيرة التى تعلمت منذ طفولتى أنها من أهم قواعد الأسطول الإمبراطورى. وعلمت من أصدقائى أن ميناء هيروشيما فى أوجينا سيحتل بدوره، وأن الناس قد بدأوا يقيمون أسوارا حول بيوتهم ويضعون أقفالا على الأبواب والنوافذ لأنهم سمعوا

أن جنود الحلفاء لا يدخلون مكانا تحيطه الأسوار ولا يقتحمون بيتا موصد الأبواب، كما علمت منهم أن جنود الحلفاء مغرمون بالنساء ويتوددون إليهن، وأن جنود الحلفاء يظهرن بين الحين والآخر حول محطة سكك حديد هيروشيما.

بدأ البريد ينتظم فى الوصول منذ أول سبتمبر وتلقيت 24 أو 25 خطاباً دفعة واحدة أرسلت معظمها من أصدقاء قرأوا مقالى فى جريدة سانجيو كيزاى إمتدحوا فيها المقال وهأنوى بالنجاة من الموت، وبعض هذه الخطابات تحمل تواريخ تقع حول العاشر من أغسطس أرسلها بعض الأصدقاء يسألون عن سلامتى.

أخذ تعداد المقيمين فى المستشفى يتناقص فلم يبق فيها إلا غير القادرين على الحركة، أما الآخرين فقد فروا ملتجئين النجاة قبل وصول جنود الإحتلال، ومعظم من بقوا لدينا كانوا أطفالا يتامى لم يغادروا المستشفى لعدم إدار كههم لما يدور حولهم.

بعد الغداء علمت أن قوات الإحتلال موجودة عند محطة هيروشيما وأنه من الممكن مشاهدتهم هناك، فدفعنى الفضول إلى الذهاب إلى المكان لرؤيتهم، وفى الطريق إلى المحطة أدهشنى رؤية بعض الشباب ذوى الشعر المسترسل والرؤوس العارية الذين يسبرون هنا وهناك بزهو وخيلاء وبالقرب من المحطة رأيت الكثير من هؤلاء الشباب ذوى الشعر المسترسل، وحين سألت عن سر هذه الظاهرة قيل لى أنه آخر طراز فى تصفيف الشعر. لقد خسرتنا الحرب وكسبنا طول الشعر! كنا نعاقب أيام التلمذة بحلق رؤوسنا إذا خسرت مدرستنا مباراة لعبتها ضد مدرسة أخرى، وكان الشعر القصير أمراً مألوفاً خلال سننى الحرب، أما الآن فقد أرسل هؤلاء الشباب شعورهم حتى لا يظنهم الحلفاء من الجنود المسرحين فيعتقلونهم.

أما المحطة، أو ما بقى من المحطة، فكان يعج بالناس الذين كانوا يتحركون هنا وهناك على غير هدى، ولكنى لم أشاهد جنوداً، وحول المحطة كانت هناك عشش صغيرة يجاور بعضها بعضها تتبع ألوانا متعددة من الطعام الردىء، ورغم قذارة تلك العشش كان الإقبال على بضاعتها شديداً.

ومعظم الذين رأيتهم كانوا يرتدون بزات عسكرية حتى البنات كن يرتدينها، أما الذين كانوا يرتدون ملابس البحرية فكانوا أفراداً قلائل. وهزنى منظر سيدة عجوز ترتدى كيمونو زفافها وتحمل على ظهرها سلة بها بعض ثمار البطاطا، ويبدو أنها إفتقدت كل ملابسها فلم تجد ما ترتديه سوى هذا الكيمونو التذكارى الذى تمكنت من إنقاذه من الحريق.

أما المحطة فقد أقيم عليها مكتب متواضع لصرف التذاكر وسقيفة صغيرة ينتظر تحتها الركاب، فتوقفت قليلاً أرقب الناس يروحون ويغدون، جنود مسرحون يحملون حقائبهم الكبيرة فوق ظهورهم جنباً إلى جنب مع المدنيين من ضحايا الحرب، وشاهدت طفلاً صغيراً عارى الجسد إلا من سروال فذر يستجدى الطعام ممن يأكلون على الرصيف، ولا يكاد يتحرك إلا إذا قدم له بعضهم فضل من طعامه، وذكرنى منظر هذا الطفل الحزين بالأطفال الذين رأيتهم فى منشوريا وكوريا بعد أن إجتاحتها قواتنا منذ ثمانية عشر عاماً، فقد كان أطفال منشوريا وكوريا عندئذ يستجدون الطعام مناء، ولا شئ يمثّل الهزيمة مثل هؤلاء البؤساء المشردين.

ولم أستطع متابعة المشاهد المؤلمة المحيطة بالمحطة فضلت أن أعود أدرجى إلى المستشفى، وفى طريق العودة مرت بموقع القيادة الغربية لفرق الفرسان وهزنى السكون المطبق المخيم على المكان، وتذكرت أولئك الضباط والجنود الذين كانوا موضع فخارنا، ترى ماذا يخفى المستقبل لهم؟ فقد شاهدت عند المحطة ضابطاً عجوزاً يستجدى الطعام. ومر فى مخيلتى شريط كامل للمأساة: ضحايا الحرب المنهكون، الجنود المسرحون، العجائز الذين يستندون إلى الأعمدة المحترقة، الناس الذين يسبرون بلا هدف، الشحاذون. إن هذه الظواهر التى إبتلينا بها هى التى إنتصرت علينا، وعمقت وقع الهزيمة فى نفوسنا.

بعد تناول العشاء شرد ذهنى إلى المناظر التى رأيتها عند محطة هيروشيما، كم كانت الأناية تسيطر على الناس، ترى أى مجتمع تعس ذلك الذى نعيش فيه؟ كان كرام الناس يستجدون ويرتدون الأسمال، أما الذين بدت على وجوههم سمات الشر وفاضت أسننتهم ببذى القول فكانوا يتردون أحسن الثياب. كان الذين يلبسون بزات الطيارين يبدون مثل رجال العصابات ويطاردون الفتيات البائسات عند المحطة بوقاحة لم نعهدها من قبل، إن البلاد تنحدر إلى الوضاعة والخسة، شعرت بالكرهية لهم، وتألمت عندما قفز إلى ذهنى إحتمال وصول أمثالهم غداً إلى السلطة. كم تغيرت الأحوال؟ ترى ماذا يخفى القدر لذلك الضابط العجوز الذى رأيتَه يستجدى الطعام؟

16 سبتمبر 1945

يوم ممطر ملبد بالغيوم.

زارنى الدكتور آكى ياما على غير عادته وقد إرتسمت على وجهه علامات الفرع ونصحنى بالهرب قبل وصول قوات الحلفاء حتى لا أعراض زوجتى للخطر، مؤكداً أنهم لن يبقوا على شئ، وطلب منى أن أسمح له بنقل زوجتى بعيداً عن المدينة إذا كنت مصراً على البقاء فيها. فتأثرت لموقف الدكتور آكى ياما، فقد سبق له الخدمة فى الصين، وكان يخشى أن يحدث لنا مثلما حدث فى شمال الصين، فشكرته على نصيحته، ووعده بإبلاغ زوجتى وجهة نظره، وطلبت منه أن يمهلىنى حتى أفكر فى الموضوع. وعندما قمت بتفقد المرضى اليوم سمعت إشاعتان جديدتان تقول إحداهما أن من جاءوا

إلى هيروشيما بعد البيكا قد أصابهم مرض الإشعاع الذرى، أما الأخرى فتقول أن من بقوا فى هيروشيما بعد حادث القنبلة سببهم الصرع ويموتوا خلال عام واحد، وكان عدد المرضى لا يزال أخذاً فى التناقص، أما من بقوا بالمستشفى فقد كانت حالتهم تميل إلى الثبات أو التحسن.

وعندما عدت إلى حجرتى وجدت زوجتى تضحك مع السيدة سائيكى العجوز وكانت العمة شيما قد أحضرت لزوجتى هاءورى (بالطو من الصوف بيلس فوق الكيمونو) وكانت زوجتى تربه للسيدة سائيكى، كما تلقيت هدية من المصلحة عبارة عن بدلة ومعطف من الصوف، وبذلك أصبح لدينا ملابس تقينا برد الشتاء. وعندما رأى السيد ميزوجوتشى هذه الملابس الجديدة أيقن أن شحنة جديدة من المعونة فى طريقها إلى المستشفى، وسعى إلى إدارة المدينة للحصول على نصيب منها للمرضى، وأكد لى بعد عودته أنه سيوفر للمرضى وللعاملين ما يكفيهم من الملابس الشتوية.

بعد العشاء تناقشنا فى موضوع التسليم للحلفاء بلا قيد ولا شرط وحل الجيش والبحرية ومصادرة الأسلحة والذخائر، وترددت إشاعة حول إحتلال الجيش الوطنى الصينى لجزيرة شيكوكو، وأن المخازن العسكرية بما فيها من ملابس ستصبح من نصيب جيش الإحتلال الصينى. ورأينا فى هذه الإشاعة تفسيراً لتوفر الملابس التى كان مصدرها مخازن الجيش الموجودة فى الجبال، وكانت القطارات التى تمر بهيروشيما تعج بالمواطنين الذين يحملون الملابس العسكرية المنهوبة من مخازن الجيش بحجة أن دافعى الضرائب اليابانيين أحق بها من جيوش الحلفاء، وإماتت المدينة بالناهيين الذين كان بعضهم يتحلى بصفات أخلاقية فكانوا يسرقون ليعطوا ما يسرقونه للفقراء والمحتاجين، ولكن غالبيتهم كانوا يبيعون حصيلة ما ينهبون ويتحولوا بين عشية وضحاها إلى أثرياء. لم يكن أحد يفكر فى السرقة خلال الحرب، وكانت الممتلكات والبضائع تترك فى العراء دون حاجة إلى حراسة، أما اليوم فلا وجود للأمن بين ربوع البلاد.

وكنا كلما إستغرقتنا فى الحديث كلما إزددنا فلسفة وتفاؤلاً، فقد كنا ندفع نحو 80 % من دخولنا كضرائب للأفناق على الخدمات العسكرية، فهذه الأشياء هى فى نهاية الأمر ملك للشعب الذى اشتراها بأمواله فهو أحق بها من المحتلين الأجانب. وإنتهت المناقشات فى ساعة متأخرة من الليل بالتفاؤل فى مستقبل أحسن فى ظل السلام، وقد أقل من الضرائب، وبعض الحربة فى مجتمع لا توجد فيه شرطة عسكرية تتحكم فىنا.

17 سبتمبر 1945

أمطار غزيرة ثم عاصفة شديدة.

عندما إستقطيت فى الصباح كانت السماء تمطر، وبعد تناول الإفطار تلقيت بريد اليوم الذى تضمن خطاباً من الدكتور مورى يا بداخله بعض الصور التى إلتقطها لنا خلال زيارته للمدينة، فعكفت على دراستها، وأدهشنى أن أرى آثار الجروح قد أضفت على ملامحنا مظهراً بانسأ، وكان بجسدى 150 أثراً للجراح على أقل تقدير، أما وجه الدكتور ساسادا فكان محترقاً، وكانت هناك خمسة عشر ندبة بجسد زوجتى، أما الدكتور كوياما فكان مجروحاً فى رأسه. ورغم أن هذه الندبات لا تكاد تظهر فى الصور فقد تحسست موضع الجراح فى وجهى، وتمنيت أن تتلاشى كما تكاد تتلاشى فى الصور لأن بقائها يجعلنى مثل يوسا المحتال الأسطورى الذى كان يعاقب على ما يفعل بجراح فى وجهه حتى بدا مثل قاطع الطريق. ولم أكن أتصور أن الدكتور ساسادا قد فقد إلى الأبد ملامح البراءة التى كانت تميز وجهه بعد هذه الإصابات، أما وجه زوجتى الذى كان خالياً من الندبات أصبح اليوم مليئاً بها. ترى كيف نستطيع أن نواجه الناس بوجوه مشوهة؟ وكانت الصور توضح الضمادات والأسرة المتهالكة والملاط المتساقط والأسلاك الكهربائية المقطعة إنها تعد سجلاً قيماً لما حدث وأسعدنى الحصول عليها فكتبت للدكتور مورى يا شاكرأ.

شعرت بالآلم فى المعدة، وعندما حان وقت الغذاء لم أستطع تناول الطعام، وإكتفيت بإرتشاف كوب من الماتشا، وبينما كنت أفكر فى محل الشاى الذى يملكه صديقى ناكومورا فى أوكاياما هبت الرياح فجأة، وماهى إلا لحظات حتى إشتدت سرعتها وإرتفعت حرارتها، فخشيت أن يعقبها مطر غزير، وإتجهت إلى غرفتى لأتأكد من تثبيت حاجز النافذة، وحاولت أن أبعد الأسرة عن النوافذ بقدر الإمكان حتى إذا سقط المطر كنا بمنجاة من اللبل إلى حد ما، وأخبرت زوجتى بإستعداد الدكتور أكى ياما المساعدة فى ترحيلها خارج المدينة، ولكنها ضحكت ولم تعلق على كلامى، وإستمرت تعاوننى فى إزاحة الأسرة بهدوء.

ويعد تناول العشاء سكنت الرياح فجأة ثم إنهمر سيل جارف من المطر، لم تكن هذه عاصفة عادية ولكنها كانت تيفونا، وماهى إلا لحظات كانت المياه تملأ الحجرة وتبدو كالأمواف فى عرض البحر، وتمزقت الملاءة التى كانت مثبتة على النافذة المجاورة لسريرى، وأخذت الناموسيات ترفرف كالأعلام، وأصبحنا وكأننا ننام فى عرض الطريق. وعادت الرياح تهب بسرعة شديدة نحو الساعة التاسعة، فإندفع الناس من المدينة إلى المستشفى ومبنى المصلحة يلتمسون ملجأ، وقليل من أولئك الذين إستطاعوا النجاة بأنفسهم قبل أن تنهار فوق رؤوسهم الأكواخ التى يعيشون فيها، وإرتفعت المياه حتى خشينا أن تتحول إلى فيضان، وأصبح كل فرد منا مبتلاً حتى الجلد. وما كاد يحل منتصف الليل حتى أصبح كل شئ فى المستشفى يببو وكأنه متروك فى العراء. وتوقفت الرياح بعد منتصف الليل بقليل، وأعقبها توقف المطر، ولكننا لم ندق للنوم طعاماً، فقد كنا جميعاً مبللين ومتوترين لدرجة جعلت النوم يذابل جفوننا. ولكننا عفونا قليلاً قبيل الصباح.

18 سبتمبر 1945

سما ملبدة بالسحب التي ما لبثت أن إنقشعت.

استيقظت لأجد العاصفة قد مرت، ولكن أكتافي وفخذي كانت تؤلمني، وأصبح أنفي مسدودا بسبب الزكام، وحين خرجت إلى الشرفة وجدت بحيرة كبيرة أصبحت موجودة أمام المستشفى، ولم يعد هناك وجود للأكواخ الصغيرة التي أقيمت حول المستشفى لياوى الناس إليها. أما الخطابات فكانت مبعثرة بين مبنى المصلحة ومبنى المستشفى، فنزلت إلى هناك وحاولت أن أجمع منها ما استطعت جمعه وكانت معظمها خطابات مسجلة.

ذهبت إلى مكتب العمل لأسأل السيد سيرا والسيد كيتاو عن حجم الدمار الذي سببه التيفون، فعلمت منهما أن المستشفى لم يفتقد شيئا سوى بعض البطانيات، ويبدو أن الناس الذين لجأوا إلى المستشفى من الخارج خلال التيفون يلتمسون ملجأ قد أخذونها معهم، ولكني إلتمست لهم العذر، فهم لا شك في حاجة إليها بعدما دمت أكوأخهم.

وكان المرضى يشكون من الإصابة بالبرد ولكن إصاباتهم كانت عادية، أما الفتاة الجميلة التي كانت ترقد وسط بركة من الفيج والقدارة فقد أصبحت الآن قادرة على الحركة دون مساعدة أحد.

مرت فترة الصباح دون وقوع حوادث سوى قدوم رسول من عند صديقي الأستاذ هاتا يطلب مني الذهاب إلى جزيرة مياجىما لأوقع الكشف الطبى على مدير بنك اليابان بهيروشيما، فأجبت بأننى لا أشعر بالقدرة على القيام بمثل هذه الرحلة الآن.

تحسن الجو بعد الظهر فقررت أن أتمشى قليلا، فما أجمل طلوع الشمس بعد إنقضاء المطر! وأخذت أتجول حتى وصلت إلى الخندق الممتلئ بالماء المحيط بقلعة هيروشيما، ودهشت حين رأيت رجلا يصطاد الضفادع بطريقة خاصة ويبيعه للناس، الصغير منها مقابل خمسين ينا والكبير منها مقابل مائتين، فدهشت لإرتفاع الأسعار بصورة خيالية ولكن الناس كانوا يتهافتون على شراء ما يصطاده الرجل أولا بأول.

بعد تناول العشاء أخبرت رفاقي بقصة صياد الضفادع وإندھشوا بدورهم للتغير الكبير في الأحوال، وآويت إلى فراشى منهكا بسبب ما لاقيناه ليلة أمس، وغرقت في ثبات عميق لم يقطعه سوى صراخ سمعته في الليل: "اللس .. اللص" فاستيقظت فزعا ولكنه كان حلما مفرعا أصاب الدكتور تاماجاوا فاعتذر لنا عن إزعاجنا وواصلنا النوم حتى الصباح.

19 سبتمبر 1945

طقس لطيف.

كانت السماء صافية في الصباح، والجو جميل، والشمس ساطعة، ولما كنت قد إستمتعت بنوم عميق ليلة أمس، فقد عقدت العزم على الذهاب إلى مياجىما للكشف على مدير البنك المريض تلبية لطلب الأستاذ هاتا الذي تلقينته بالأمس، فطلبت من السيدة سانكي العجوز أن تعد لي (بننتو) وجبة خفيفة أتناولها أثناء الرحلة، وبدأت السير عن طريق كوى عبر جسر ميساسا وشاهدت رجلا يدفع عربة فوق الجسر تحمل لحم البقر، ولم أكن قد شاهدت اللحم منذ عهد بعيد، وكان منظر اللحم الطازج فيما مضى يثير تقززى، أما اليوم فقد سال لعابى عند رؤية اللحم. وبلغت محطة كوى عند الظهر، وتمكنت من الحصول على مقعد في عربة الترام المزدهمة المتجهمة إلى مرفأ مياجىما. وفي الطريق إلى وجهتي أخذت أرقب المنطقة التي يمر بها الترام، فكانت المنازل فيما بين كوى وتاكوسا عارية السقوف محطمة النوافذ والحوائط تبدو وكأن زلزالا قد أصابها، أما المنطقة الواقعة وراء كوساتسو³⁸ فقد كانت منازلها أحسن حالا أما نوافذها، فكانت محطمة، وكانت علامات الدمار واضحة حتى إيتسو كا اتشى وتختفى آثار الدمار تماما عند هاتسوكا اتشى، وبالقرب من جى جوزن بدأت جزيرة مياجىما تلوح في الأفق، وإلى يمين الطريق ركزت نظراتي على المنازل الصيفية الجميلة المسماة (يسو) التي يقضى فيها الصيف أثرياء الناس.

وقد أدهشنى أن أرى بعض المنازل عند مرفأ مياجىما وقد فقدت نوافذها لأن المنطقة تبعد كثيرا عن هيروشيما. وتوقفت عند محل لصناعة الفخار تربطنى بصاحبه صداقة قديمة حيث تناولت طعام الغداء، ثم ركبت العربة في الطريق إلى مياجىما، وإستغرقت الرحلة البحرية نحو نصف ساعة وصلت بعدها إلى الجزيرة الجميلة. وقصدت هناك فندقا صغيرا أعرفه يديره بعض الأصدقاء لتحيتهم، ثم تابعت السير إلى فندق بانى رنيو الذى يقيم فيه مدير البنك، وكان هذا الفندق يقع فوق قمة تل صغير تحيط به منازل قديمة من مختلف الجهات وتطل نوافذه على منظر الجزيرة كلها وتلوح في الأفق هيروشيما من بعيد. كم تمنيت أن أقيم في هذا المكان الجميل، وإستقبلتنى زوجة المدير، وقادتنى إلى حجرته حيث علمت أنه كان يمارس العمل بالبنك عند ما سقطت القنبلة، ولما كان البنك يقع على مسافة 400-500 متر من مركز التفجير إعتقدت أنه قد أصيب إصابة بالغة، ولكن زوجته ذكرت لي أنه يعاني من الضعف وفقدان الشهية. وبعد أن فحصت الرجل أيقنت أن فرصته في الشفاء كبيرة، فعلى الرغم من أنه كان بالبنك عند وقوع الحادث إلا أن بناء البنك المتين كفل له الحماية من الإصابة بالإشعاع الذرى، وذكرت له أن البنك قد تحول الآن إلى مركز إستعلامات تغطى جدرانه نشرات

³⁸ كوساتسو تقع على بعد 5 كيلومترات من مركز التفجير.

تحمل أسماء المفقودين والموتى والمصابين، وأوصيته بأن يكثر من تناول الطعام الجيد كوسيلة للعلاج وعدت أدراجي إلى الفندق الذي يديره أصدقائي حيث تناولت الطعام عندهم وإسترحت قليلاً ثم ودعتهم بعد أن حملوني بأنواع شتى من الهدايا. ووصلت إلى مرفأ مياجوما نحو الرابعة مساءً، فألقيت التحية على صاحب محل الفخار، وركبت الترام قاصداً هيروشيما. وفي الطريق سمعت حديثاً يدور بين الركاب حول فتاة كانت لأحدهم رأوها تسير مع جنود الإحتلال وتردد على لسان البعض ضرورة إلقائها في البحر عقاباً لها على ذلك.

وبعد أن غادرنا محطة إيتسوكا أتشى بقليل توقفت عربة الترام فجأة، وإتضح أن هناك ثلاثة من السكارى وقفوا على الخط الحديدى فأجبروا السائق على التوقف ودفعوا المحصل جانباً ثم ركبوا الترام، وأخذوا يسبون المحصل والسائق بالألفاظ بذيئة ويعربدون في العربة ويهددون الناس جميعاً وهم يرردون أغنية غرامية كورية ثم يصيحون بين الحين والآخر: "باتراى" (يعيش)، وقيل أن تصل العربة إلى كوى أجبروا السائق على التوقف مرة أخرى وغادروها، ولم يدفع أحدهم الأجرة، ولم يستطع أحد أن يجبرهم على دفعها، فإستأنت لتصرف هؤلاء السكارى وسألت نفسى إلى متى تستمر قيم الحرب؟ لقد كان الناس يلقنون مبدأ يقول "القوة هي العدالة، والعدالة هي القوة"، ويبدو أن هؤلاء السكارى كانوا لا يزالوا متمسكين بقيم ما قبل الهزيمة.

وصلت إلى المستشفى منهكا مكتئباً لما شاهدته في عربة الترام، ورويت ما حدث لأصدقائي بصعوبة بالغة، ثم إستحمت وأويت إلى فراشى دون أن أتناول طعام العشاء.

20 سبتمبر 1945

سما صافية مع ظهور بعض السحب أحياناً.

كانت رحلتى إلى مياجوما فوق طاقتى البدنية، فقد كنت منهكا ليلة أمس، ولم أستطع النوم إلا لماماً، وعندما إستقظت هذا الصباح كانت أرجلى تؤلمنى، ونهضت بصعوبة من فراشى لتناول الإفطار ثم عدت إلى الفراش لأستريح، وعندئذ حضر صديق قديم كان يملك محلاً تجارياً يحمل اسم (إيريين)، وكان مغتما حزينا، وما لبث أن إنفجر بالبكاء قائلاً: "يا دكتور لقد ماتت أويونى ولا أدرى أين أومتى حدث ذلك، فقد غادرت زوجتى المسكينة البيت صباح يوم البيكا لتتضم إلى إحدى فرق العمل، وكانت هذه هي النهاية فلم أسمع وإبنتى عنها شيئاً حتى الآن". فسألته عن إبنته ماساءو فأخبرنى أن ذراعها كسرت عندما دمر التلفزيون البيت. وكان حديثه لا يكاد يسمع وسط النحيب، كما أنه كان جريحاً وكانت رأسه مغطاة بضمادة من القماش المتسخ، وحالته تدعو للثناء، فحاولت أن أهدئ من روعه، ولكنى إنفجرت باكياً وجاءت السيدة ساتيكي لتجندنا على هذه الحال، فأخذت تنقل نظراتها بيننا، وحاولت أن تطيب خاطر الرجل العجوز المسكين، وعرضت عليه أن يحضر هو وإبنته ليقيما معنا فغادر المستشفى وهو يشعر بالإرتياح.

كنت مستلقياً فوق السرير بعد الغذاء أحملق في الفضاء عبر النافذة عندما إندفع السيد سيرا إلى الحجرة متقطع الأنفاس وهمس في أذنى قائلاً: "يا دكتور هناك ضابط أمريكى بالخارج"، وفزعت عند سماعى هذه الكلمات، غير أنى لم أحر جواباً للحظات ثم تملكنى الخوف والغضب، وتغلبت على شعور العدا، وإستجمعت قواى وقلت بصوت مقتضب، "ياسيد سيرا لاتهتم بأمره" فأجاب بإرتياح: "يا دكتور لا تقل مثل هذا الكلام إن الرجل يقف عند مدخل المستشفى الآن، أرجوك أن تقابله". وبدأ شعور العدا عندى يفسح المجال لشعور بالرغبة، إذ كنت أعرف أنه لا خيار أمامى، وأن على أن أقابل هذا الضابط. كان بنطونى متسخاً، ولم يكن قميصى أحسن منه حالاً، غير أنى لم أهتم بمنظرى هذا عندما إتجهت لمقابلة هذا الأجنبى. وبعد لحظات سمعت وقع أقدام الضابط على الدرج، فإذا به رجل مهيب خلفه حارس أسود يتمنطق بمسدس، ويبدو أنه جاء ليلعب دور المترجم بيننا وبين الضابط، فأخبرتهما أنى مدير مستشفى المواصلات بهيروشيما، وبعد أن قمت بتحيتهما، عرضت عليهما أن يتفقا عناير المرضى، وكان الضابط مهتماً بمعرفة الأضرار التى ترتبت على التلفزيون، ولم يكن يلقي بالا لحديثى عن نتائج الإصابة بالقنبلة الذرية، وإكتشفت أن المترجم لا يعرف من اليابانية إلا قليلاً، ولذلك لم أطمئن إلى مقدرته على نقل مادار بينى وبين الضابط من حديث، وبعد أن قمنا بالجولة التفقدية وصلنا عند زوجتى، وسألنى الضابط عما إذا كانت قد أصيبت، فقلت له أنها تشكو من الأنيميا، كما أن بعض الجراح قد أصابتها، وشمردت أكامها لأكتشف له عن آثار تلك الجراح، فهز رأسه قليلاً ثم غادر المكان.

وبعد أن تركنا أخذ قلبى يدق بعنف، وعادت أرجلى تؤلمنى من جديد ونسيت فى غمرة الإنزعاج أن أصبح حتى مدخل المستشفى.

تغير جو الهدوء الذى كان يخيم على المستشفى بمجرد ظهور هذا الضابط الأمريكى، فإبزجج الموظفين، كما أن زوجتى التى لم يبد عليها التبرم حتى الآن ظهرت عليها علامات القلق، وبدأت الأنسة ياما تفكر فى الفرار وتجمع حاجياتها، وشعرت بالقلق بدورى، فإذا كان بإستطاعتى أن أتبادل الحديث مباشرة مع الضابط الأمريكى ربما إستطعت أن أعبر له عن مخاوفنا، ولعله كان بإستطاعته أن يهدئ من روعنا. ولم يكن لدى قاموس أستعين به فى مثل تلك الحالات، فرغم إجادتى للإنجليزية قراءة وكتابة غير أنى لا أحسن التخاطب بها ولا أفهمها حين أسمع حديثاً يدور بها. وعقدت العزم على أن أتفاهم مع الأمريكيين الذين يزوروننا فى المستشفى بالكتابة، فهيات مكاناً وضعت فيه منضدة وبعض المقاعد حتى أتخذة مقراً للحوار الكتابى مع يزورنا من الأمريكيين فى المستقبل وكلفت موظفاً بالبحث عن قاموس يابانى - إنجليزية حتى إذا زارنا ضابط لا يصحبه مترجم إستطعنا التفاهم معه، ولابد أننا سنتعرض لمثل هذه الزيارات طالما أن الجزر اليابانية أصبحت معسكر إعتقال لنا، وعلينا أن نتدرب على التعبير عن أنفسنا باللغة الإنجليزية بعدما أصبحنا تحت رحمة

العدو، طافت بمخلتى صورة صاحب محلات ايرين الذى كان غنيا ميسور الحال بالأمس وأصبح الآن متسولا يضع على رأسه ضمادة من القماش المتسخ، إنه يرمز إلى ماضى اليابان وحاضرها.

21 سبتمبر 1945

طقس غائم وزخات مطر خفيفة.

علمت صباح اليوم أن الملاحه فى خليج هيروشيما ستصبح محظورة إعتباراً من الخامس والعشرين من سبتمبر، أخبرنى بذلك السيد سوميتانى مراسل جريدة جودو الذى فقد زوجته خلال الحوادث وجاء إلى هيروشيما ليحضر إقامة شعائر اليوم التاسع والأربعين الذى يصوم فيه البوذيون إحتراماً لذكرى الموتى، ويحل هذا اليوم فى الثالث والعشرين من سبتمبر هذا العام، فذكرنى بإحياء شعائر هذا اليوم إحتراماً لأرواح أصدقائى من ضحايا هيروشيما.

قررت زوجتى أخيراً أن تذهب إلى بلدتنا بالقرب من أوكاياما وأعدنا لها عدة الرحيل فى الرابع والعشرين من هذا الشهر، أما الأنسة ياما فستغادرننا اليوم عندما تحضر أختها لمرافقتها. وكنت فى بداية الأمر أتردد فى السماح للمرضى بمغادرة المستشفى وخاصة أولئك الذين كانت حالتهم خطيرة، ولكن الخوف نصب شباكه حول الناس جميعاً منذ وصول قوات الإحتلال، ولذلك أصبحت أشعر بالإرتياح عندما يغادرون المستشفى، فكلمنا قل عدد المرضى كلما أصبحت مسؤولياتنا محدودة، وخاصة أننا لا نعرف شيئاً عن نوايا قوات الإحتلال، غير أنى بذلت أقصى الجهد فى تهدئة روع من بقى بالمستشفى من المرضى.

تناولنا فى طعام العشاء طبقاً مكوناً من أرجل الضفادع، فرويت لأصدقائى قصة الرجل الذى شاهدته عند قلعة هيروشيما يصطاد الضفادع ويبيعها للناس.

22 سبتمبر 1945

جو ممطر مصحوب بالبرق والرعد.

إستيقظت اليوم مبكراً على غير العادة، وكانت السيدة سائيكى العجوز تقوم بإعداد طعام الإفطار بالمطبخ، بينما كان السيد ميزوجوتشى لا يزال نائماً، وألقيت نظرة على الأسرة الخالية الموجودة بالغرفة التى كان يشغلها الأصدقاء الذين غادروا المستشفى فشعرت بالشوق إليهم. لقد أصبحت ذكريات هذه الحجرة عزيزة على وهو أمر لم أكن أتوقعه منذ أسابيع مضت.

بعد تناول الإفطار، طلبت من السيدة سائيكى أن تنظف الحجرة وتعيد ترتيبها حتى نستطيع إستخدامها كغرفة اجتماعات إذا عاد جنود العدو لزيارتنا مرة أخرى، فحينما السيوف والأسلحة القديمة التى عثرنا عليها بين الخرائب جانباً، ووضعنا الأسرة فى أحد جوانب الغرفة، ووضعنا منضدة وبعض المقاعد فى وسطها، أما الأريكة التى أعدناها لإستراحة ضيوفنا فكانت عبارة عن لوح خشبى بأربعة أرجل وأصبحت الغرفة بذلك معدة لإجتماع أربعة أو خمسة من الضيوف.

ولما كان عدد المرضى أخذاً فى التناقص حتى أنه لم يبق منهم إلا نفر قليل، وليس لدى ما أفعله، فقد آثرت أن أجلس مترقياً ما قد تسوقه الأقدار، وأصبحت أتمتع لأول مرة بقدر من الهدوء جعلنى أستعيد ذكريات الماضى بشئ من الموضوعية. كانت الشرور التى بدأت تهبط على هيروشيما تثير قلقى، كالجندو السكرارى الذين يعيثون فى الأرض فساداً مثل أولئك الذين رأيتهم أثناء عودتى من مياجيما والذين يمثلون صورة الحاضر الذى نعيشه الآن. لم يعد هناك مكان للحكم الماثورة التى تقول "العدالة هى القوة" و "المرء بخلفه وليس بمولده". وبدا لى أن نظام التعليم كان بالغ الأثر زمن السلم عندما كان هناك قانون ونظام، إن الأخلاق لا يمكن أن يصلحها التعليم فإنها تثبت وجودها فى أحسن صورة عندما لا يكون هناك شرطة تحفظ النظام، وسواء كان الرجل متعلماً أو غير متعلم فإن بإستطاعته أن يبرز خلقه فى وقت الشدة، والنصر دائماً. فى جانب الخلق المتين. لقد إختفت هذه الحكم الغالية وأصبحت القوة هى العدالة، وأصبح المولد أكثر أهمية من الخلق، ولا بد أن تحكم القوة هذا البلد.

23 سبتمبر 1945

طقس غائم فى أول النهار، ثم ما لبث أن أصبح صحواً بعد ذلك.

اليوم هو التاسع والأربعين الذى تكرم فيه أرواح الموتى، وعندما إستيقظت اليوم فكرت فى إقامة صلاة بوذية على أرواح أصدقائى الذين قتلوا خلال البيكا، وبعد تناول الإفطار ذهبت السيدة سائيكى العجوز لتصلنى من أجل أبنائها الثلاثة الذين فقدتهم فى الحرب، وبينما كنت أتأهب للخروج جاءنى صديقان هما السيدة كانيكو وزوجة ولدها، وما كادت ترانى حتى انفجرت باكياً لتقول أن ولدها قد مات وراحت تقص على قصته: "فى اليوم التالى للبيكا عدت وزوجة إبنى إلى المدينة لنبحث عنه بين حطام منزلنا، وبينما كان زوجى يفحص الجثث المسجاة هنا وهناك بالقرب من ساحة التدريب وجد شخصاً ميتاً وهو واقف، وقد واصلت البحث بين حطام البيت غير أنى لم أجد شيئاً، ثم ما لبثت أن وجدت عظام إنسان محترقة لازال الدخان يتصاعد منها غير أنى لم أستطع الجزم بأنها لولدى. وعدت فى اليوم التالى لأجد أنها عظامه فقد تأكدت من وجود بكلة حزامه فوق الهيكل العظمى". ثم إستطردت تقول: "أرجوك أن تحضر لزيارتنا فى فوكاوا، فإن

زوجي المسكين قابع هناك ولا شئ يدخل السرور على قلبه إلا حين يراك. لقد كنت في طريقي إلى المعبد حين خطر لي أن أزورك، سا يونارا (إلى اللقاء)".

فقلت لها: "سابونارا" رداً على تحية الوداع بينما رسمت على شفتي ظلال ابتسامة وأحيت هامتي لهذه السيدة المسكينة وأرملة ولدها، ثم إنطلقت لأصلي على أرواح أصدقائي من الضحايا مبتدئاً بالجيران، فوقفت أمام حطام كل منزل أصلي من أجل سكانه الراحلين مغمض العينين. وكان يخيل لي عند كل صلاة أنهم ماثلون أمامي وعلى وجوههم ابتسامة عريضة، وإستعرت دراجة أخذت أطواف بها أرجاء المدينة أصلي من أجل بقية الأصدقاء، فعبرت جسر ميساسا وجسر يوكوجاوا، وسرت بالدرجة على شاطئ نهر أوتا أفكر في هؤلاء الأصدقاء، ثم عبرت منطقة تيرا ماتشي حتى وصلت إلى حي سورا زاياتشو فبلغت المكان الذي مات فيه الدكتور موري سوجي وزوجته، فصليت هناك من أجلهما، واتجهت بعد ذلك إلى مكان بالقرب من مركز التفجير حيث كانت رائحة البخور تعبق في الجو وجمع غفير من الناس يصلون من أجل أحبائهم، ثم عبرت جسر أيوني مخترباً مركز التفجير فكانت خرائب متحف العلوم والصناعة، تقع على جانب الطريق وأمامها خرائب المباني الأخرى، وعبرت هذه المنطقة حتى بلغت موقع مكتب بريد هيروشيما، وهناك وجدت شاهداً حجرياً كتب عليه "مات جميع العاملين بالمكتب في ساحة الشرف"، وبعد أن صليت من أجل أصدقائي الذين ماتوا هناك، أخذت أفكر في حجم الخسارة التي نزلت بنا، وبعد ذلك عبرت وسط خرائب مستشفى الدكتور شيما حيث ماتت عائلته وسائر العاملين معه وجميع المرضى، أما هو فقد نجا من الموت لوجوده خارج المدينة عندما وقع الحادث، وتذكرت الصديقان: الدكتور كورا كاوا، والدكتور تينا كا اللذان كانا يعملان معه ولقيا مصرعهما في الحادث. وبعد أن تجولت بعض الوقت وزرت الأماكن التي مات فيها أصدقائي الآخرين عدت إلى المستشفى في وقت متأخر متعباً مكتئباً.

وجدت في إنتظارى عشاء من السوكي ياكى³⁹ أعده السيد ميزوجوتشي إحتفالاً بسفر زوجتي، وضمت مائدة العشاء الأنسة كادو والسيدة سائكي والسيد ميزوجوتشي بالإضافة إلى زوجتي، وبعد العشاء لبثنا نتحدث طويلاً، كان هذا هو العشاء الأخير لزوجتي بالمستشفى، تناوله معها أصدقاء اشتركوا معاً في كل الحوادث التي حلت بنا منذ وقع البيكا، وستعاد زوجتي المستشفى غداً فلا غرو أنها تبدو سعيدة كطفل صغير.

24 سبتمبر 1945

جو صحو بصورة عامة تتخلله بعض السحب أحياناً تصحبها أمطار خفيفة.

تحددت الساعة السادسة صباحاً موعداً لرحيل زوجتي، فأعدت السيارة أمام باب المستشفى قبل أن ننتهي من تناول الإفطار، وتولى السيد إيچوتشي قيادة السيارة الحكومية التي كانت تستخدم للمرة الأولى منذ البيكا. واشتركت مجموعة كبيرة من الأصدقاء في توديع زوجتي ساعة الرحيل.

غفوت قليلاً بعد رحيل زوجتي وإستيقظت فجأة على شعور بالمغص ورغبة في التبرز، وإكتشفت أنني أعانى من الإسهال، فظننت أن السبب يرجع إلى وجبة العشاء التي تناولناها بالأمس، ولكن تكرر ذهابي إلى المرحاض عدة مرات. وعندما عدت إلى غرفتي تناولت كوباً من الشاي ولم أعبأ بتناول الغذاء، وطلبت من السيدة سائكي أن تحضر لي دواء قابضاً من الصيدلية، وعندما علم الدكتور هينوي بحالتي جاء إلى مسرعاً وأعطاني دواء السلفا جوانيديين مع دواء للمعدة وألقى على محاضرة حول ضرورة الإهتمام بصحتي مؤكداً أن الكثير من المرضى ماتوا بعد البيكا ممن كانوا يعانون من الإسهال بسبب عدم إتباعهم التعليمات الخاصة بالعلاج.

وأخذ الشك يتسرب إلى نفسي، ترى هل إستنشقت ذلك (الغاز السام) الذي تحدث الناس عنه أثناء تجولي وسط الخرائب بالأمس ولكن مرات ترددي على المرحاض إزدادت عدداً وشعرت بأعراض تشبه الدوزنطاريا، ثم أصبحت عاجزا عن الذهاب إلى المرحاض، فببرت لي السيدة سائكي قصرية فراش وعاونتني على إستخدامها، وإزددت وهنا على وهن، فطلبت منها أن تعد لي كيس من الرمل الساخن لأضعه فوق بطني، فأعدت لي زجاجة من الماء الساخن إستخدمتها لهذا الغرض، وعادني الدكتور كوياما والدكتور كاتسوبي ولكنهما لم يستطيعا أن يفعلا شيئاً لتخفيف الآمي، غير أن زجاجة الماء الساخن جعلتني أشعر ببعض الراحة. ومنعت السيدة سائكي الزوار من دخول الغرفة، وضربت ستاراً حول سريري لنتيح لي قدراً من الحرية. وفي المساء شعرت بالعطش الشديد ورغبت في تناول الماء البارد ولكني خشيت أن تزداد رغبتى في التبرز فضلت تحمل العطش على تناول الماء، وتمكنت السيدة سائكي بعد ذلك من إحضار كيس من الرمل الساخن ووضعته فوق بطني، وإتخذت لنفسها فراشاً بجوارى وأخذت تتحدث معي حتى إستغرقت في النوم غير أنها كانت تستيقظ بمجرد أن تشعر بحركتي حين أشعر بالحاجة لإستخدام القصرية فتذهب لمعاونتي، ولم أستطع النوم إلا لماما طيلة الليل.

25 سبتمبر 1945

جو صحو.

³⁹ السوكي ياكى طبق ياباني مكون من شرائح اللحم وبعض الأعشاب والكرات يضاف إليها صفار البيض الطازج، وتعد من أركي الأكلات عند اليابانيين.

شربت بعض الشاي بالملح، وطلبت بعض بذور الخل لرغبتى فى أن أتناول شيئاً مرأً، وطلبت قليلاً من حساء الأرز، ولكن حالة المرض إستمرت على ما هى عليه بالإضافة إلى الدم والمخاط، ولم أشعر بحياتى بالضعف وقلة الحيلة مثلما شعرت اليوم. وتناولت فى المساء طبق من حساء الأرز مع قليل من الملح ثم تجرعت الدواء، فتناولت جرعة كبيرة من السلفا جواتيديين، غير أن حالتى لم تتحسن.

26 سبتمبر 1945

جو صحو ما لبث أن تلبد بالغيوم وتساقط المطر.

حالتى اليوم لا تزيد عما كانت عليه بالأمس مع إستمرار الإسهال الدموى والألم والضعف العام، وأضيف الكودين إلى الدواء الذى أستخدمه، ولم أذق الطعام طوال اليوم فيما عدا ثلاث أطباق من حساء الأرز، وعند المساء جعلنى الكودين أحس ببعض الراحة فلم أشعر بالحاجة لإستخدام القصرية إلا مرات قليلة خلال الليل.

27 سبتمبر 1945

جو ممطر مبلد بالغيوم.

إستيقظت فى الصباح معانياً من جفاف الحلق، فتناولت كوباً من الماء الساخن بالسكر بالإضافة إلى طبق من حساء الأرز التى أصبحت أمج طعمها، وتحسنت حالتى بعض الشئ ربما كان الفضل يرجع للكودين فتناولت جرعة أكبر منه شعرت بالتحسن بعض الشئ فى المساء ونمت طوال الليل.

28 سبتمبر 1945

طقس متقلب بين الغائم والصحور.

تحسنت شهيتى اليوم، فتناولت فى الصباح طبقان من حساء الأرز بالإضافة إلى كوب من الماء الساخن بالسكر، وأكدت لى السيدة سائيكى أن كل شئ سيصبح على ما يرام، وأن السيد ميزوجوتشى قد عاد بأخبار عن رحلة زوجتى.

لقد نسيت خلال الأيام الأربعة أو الخمسة الماضية كل شئ عن زوجتى وولدى، وبعدما تحسنت حالتى الآن أخذت أفكر فى أمى ومدى سعادتها عندما وصلت زوجتى، ولكنى صرفت التفكير فى هذا الموضوع مفضلاً التركيز على حالتى، فشغائى مهم بالنسبة لهم لأتولى رعايتهم.

بدأت أستقبل بعد الزوار وكان من بينهم السيد ياما شيتا الذى أطلعنى على مذكراته التى كتبها حول حادث البيكا وعجبت لبيانات التفاؤل بالنصر التى وردت فى مذكراته التى تتناقض مع الهزيمة التى وقعت بالفعل. ترى كيف يفكر الناس بالنصر ويرغبون فى تحمل الصعاب من أجل تحقيقه غير مصدقين أن الهزيمة قد حلت بهم بالفعل؟!!

شعرت بالتحسن وبالعاافية تدب فى بدنى، وأصبحت أستطيع النهوض من الفراش والذهاب إلى غرفة الطعام حيث تناولت بعض الأوراق وقلم رصاص وسجلت وقائع الأيام التى مضت من يومياتى حتى لا أنسى شيئاً، وفى العشاء تناولت حساء الأرز والدواء. ورغم تحسن حالتى كان لا يزال بينى وبين الشفاء التام مراحل طويلة، فلم أستطع النوم طوال الليل إلا قليلاً، وإعتقدت أننى أسرع الخطى نحو الموت حين تذكرت الإشاعات التى ترددت حول أولئك الذين لقوا حتفهم بعد أن تجولوا وسط خرائب المدينة.

29 سبتمبر 1945

جو صحو تتخلله السحب أحياناً.

مكثت فى الفراش هذا الصباح، فلم أستطع الذهاب إلى غرفة الطعام، وحاولت إزدراد طبيق من حساء الأرز رغم فقدانى الشهية، ثم ذهبت إلى مروضى المفضل خارج المستشفى، وبعد قضاء الحاجة إكتشفت وجود أكياس فى البراز، فإطمأننت إلى أن ما أعانى منه نزلة معوية وليس مرض الإشعاع الذرى، وعدت مرة أخرى إلى فراشى وأنا أشعر بالراحة وتابعت تناول العلاج.

زارانى ضابطان من جيش الإحتلال بعد ظهر اليوم ورغم أننى لم أكن أشعر بالراحة فقد حاولت أن أكون كريماً معهما فلففت كوفية حول بطنى لأدفى معدتى، وصحبتهم فى جولة داخل عتابر المرضى ولم يستطع كل منا فهم ما يقوله الآخر رغم أننى شعرت بنبرات الصداقة فى حديث الضابطين الشابين، فاستجمعت أطراف شجاعى وقلت لهما باللغة الإنجليزية: " كيف حالكم؟ How are you " فأجابا على تحيتى بمنحى سيجارة قبلتها شاكرأً وأشعلها أحدهما لى، وحاولت خلال الجولة أن أطلعهما على أحوال المستشفى بقدر المستطاع رغم ما أشعر به وهن، وبعد أن إنتهت جولتنا ووصلنا إلى باب المستشفى صافحانى وقال لى باليابانية "كون نى تى وا (كيف حالك)" بدلاً من عبارة "سابونارا (إلى اللقاء)"، فانفجر من كانوا معى فى الضحك، وضحكت بدورى، كما ضحك الضابطان الشبان، وركبا سيارتهما وقد إرتسمت على وجهيهما ابتسامة عريضة، وظلا يلوحان لنا بأيديهما حتى إختفت سيارتهما عن الأنظار، وقد تركت زيارتهما شعوراً بالطمأنينة فى نفوس الجميع، وأصبحت عبارة التحية التى ألقياها علينا قبل انصرافهما موضوعاً لتدربنا.

وضعت اليوم السيدة هي ياما التي كانت تعمل بالمستشفى منذ سقوط القنبلة طفلاً في بيتها بكا كوماتشي، وكانت تؤدي واجبها حتى ليلة أمس، وسعدت حين علمت أن الطفل في حالة طبيعة وأن الأم بصحة جيدة، وكانت هذه هي حالة الولادة الوحيدة بين المقيمين بالمستشفى منذ وقع البيكا.

أويت إلى فراشي مبكراً واستغرقت في نوم عميق.

30 سبتمبر 1945

أمطار غزيرة وغيوم كثيفة.

استيقظت قبل الفجر بقليل، وقد شعرت بتحسن ملحوظ، وأصبحت معدتي أحسن حالاً، وتناولت طبقان من حساء الأرز في وجبة الإفطار، وجاء السيد ميزوجوتشي أثناء تناول الإفطار بنياً وصول زوجتي إلى بلدنا بسلام، وحمل إلى أبناء الرحلة وتعليقات والدتي على ما حدث لنا وللبلاد.

بعد الظهر زارتنا مجموعتان من جنود الإحتلال، أما أفراد المجموعة الأولى فقد تفقدوا الأحوال في المستشفى بمصاحبتي، واهتموا بالوقوف على تفاصيل كل شيء، ويبدو أن أحد أفراد هذه المجموعة كان مدرساً، لأنه كان يحرص على ترميم صدع إنجليزية ويصح لي طريقة النطق، أما المجموعة الثانية فكان معها مترجم أمريكي من أصل ياباني ينحدر من أسرة تقيم في "تنا"، وجلست مع هذه المجموعة في المكان الذي أعدته للاجتماعات، ووقف أحدهم ينظر إلى الخرائب عبر النافذة ثم قال من خلال المترجم: "لا بد أن تكون هناك بعض الجثث بين هذه الخرائب ويخيل لي أنه إذا لم يتم إزاحة تلك الأنقاض فإن هذه الجثث المتعفنة وهذا الدمار سيظل سبباً في سوء العلاقة بين بلدينا، فما رأيك؟".

فأجبت: "إنني موافق على رأيك تمام الموافقة، فقد سمعت أنكم إستخدمتم في كوري آلة جديدة لإزاحة الخرائب تسمونها على ما أظن (البلدوزر) فلماذا لا ترسلون واحدة منها إلى هنا لمعاونتنا على إزالة تلك الأنقاض وإلا فإنني على يقين أن أولئك الذين جرحوا أو فقدوا أقرابهم وأصدقاءهم سيظلوا يذكرون يوم سقوط القنبلة ويحقنون عليكم ويكرهون بلادكم كلما رأوا حال المدينة".

فأجاب الضابط: "إن هذا الموضوع غير قابل للمناقشة، فإن أمريكا لا تستطيع إرسال أي معدات إلى هنا في الوقت الراهن، ولكن ما رأيك في حادث فصف هيروشيما بالقنبلة الذرية؟".

فأجبت بقولي: "إنني رجل بوذي، وقد تعلمت منذ نعومة أظفاري أن ألزم السكنية في مواجهة المصائب، لقد فقدت بيتي وثروتتي وجرحتي، ولكن بغض النظر عن ذلك كله أعد نفسي محظوظاً لأنني نجوت وزوجتي من الموت بينما لم يخل بيت من فقد عزيز أو قريب" فرد الضابط بصلف وكبرياء: "إنني لا أستطيع مشاركتك هذا الشعور فلو كنت مكانك لفاضيت البلاد".

ووقف الضابط مرة أخرى يحملق عبر النافذة ثم رحل مع جماعته. وبعد أن غادروا المستشفى رويت لأصدقائي هذا الحديث، وأخذت أردد بيني وبين نفسي عبارة: "أقاضي البلاد!" ولا أدري كم مرة رددت هذه العبارة وكيف كان وقعها على نفسي، لقد كان الموقف كله أكثر من أن يحتمل.

ملحق: شهادات بعض الضحايا

فوتايا كيتا ياما

زوجة، تبلغ 33 عاماً من عمرها.

أصيبت على بعد 1,7 كيلو متر من مركز التفجير.

كان ذلك في صباح السادس من أغسطس 1945، إنقضت ليلة طويلة مرعبة قمت خلالها بالتردد مراراً على ملجأ الوقاية من الغارات الجوية مدفوعة بصفارات الإنذار التي بدت أصواتها منذرة بالسوء، والتي جعلتني أشعر كأن قلبي تهزه أيدي الشيطان.

كان اليوم شديد الحرارة منذ الصباح وكنت أقيم بحى داي ياشو وكان على أن أتوجه في ذلك اليوم إلى "جمعية الجيرة" لأقوم بنوبتي في التبرع بالعمل في حفر خنادق الوقاية من الغارات الجوية. لم يكن زوجي الذي يعمل موظفاً بجريدة تشوجوك قد عاد إلى البيت منذ هرع في الليلة السابقة إلى مقر الجريدة حين سمع صفارات الإنذار. فقدت شهيتي للطعام غير أنى أرغمت نفسي على تناول إفطار سريع، وإنطلقت بعد أن أعددت وجبة لزوجي الذي قد يعود أثناء غيابي تركتها على المنضدة.

عقدت مجموعتنا اجتماعها في السابعة والنصف صباحاً، كانت غالبيتها من النساء بما في ذلك سيدات تجاوزن سن الستين. كان التحذير من الغارات الجوية مستمراً منذ الصباح غير أنه كان أمراً يومياً تعودنا عليه فلم أكن أشعر بخوف معين وأنا أمضى في الطريق مع جارتى السيدة ياماجوتشى، سمعنا صفارات الإنذار بوضوح طوال الطريق وكانت مهمتنا أن نزيح أنقاض المباني التي تهدمت بمطقة تسورومي تشو لنقيم محلها خنادق الوقاية من الغارات.

بدأ العمل في الثامنة وبصطفنا لعبور جسر تسورومي، لن أنسى ما حييت مجرى الماء الذى كنت أرقبه تحت الجسر مقارنة بالمجتمع البشرى الذى كان يلهث في الصراع الدموى للموت والحياة، ما أجمله من منظر طبيعي هادىء! إننى أتذكر بوضوح مجرى الماء الصافى الذى يجرى في سلام ودعه منذ الأزل.

وبعد أن خطوت نحو ثلاثين متراً فوق الجسر سمعت فجأة وبوضوح صوت محرك طائرة. وكان من الغريب حقاً بعد أن سمعنا إشارة واضحة أن نجد طائرة معادية فوق رؤوسنا ولكنها ظاهرة كانت تحدث مراراً حتى إعتدناها وإستطعت بصعوبة أن أقدر مدى إرتفاع الطائرة، كانت أجنحتها الفضية تتألق بوضوح تحت ضوء الشمس. وبدت الطائرة صغيرة الحجم بالقدر الذى يجعلنى أستطيع حملها بين يدي.

همست إلى السيدة ياما جوتشى قائلة: "ياله من منظر جميل أنها تبدو مثل الصورة!" فأجابتنى قائلة: "لعلك أصبحت شاعرة، كيف تواردت هذه الفكرة إلى ذهنك في مثل هذا الوقت؟" غير أنه كان منظرأً جميلاً حقاً. كانت الطائرة الجميلة تبدو كقطعة زينة فضية تتألق في كبد السماء الزرقاء الصافية تطير ببطء من الشرق إلى الغرب بأزيز خافت فأخذت أنظر إلى السماء بعض الوقت مأخوذة بالمنظر.

وصاحت إحدى السيدات: "تلك مظلة... مظلة تهبط!". فإتجهت ببصرى نحو الجهة التى أشارت إليها، وفي تلك اللحظة بالذات أضاءت السماء، لا أستطيع وصف ذلك الضوء شعرت كأن ناراً أوقدت في عيني.. كان اللون أرجوانياً ذا وميض يفوق الوميض الذى يصدر عن عربة الترام في الليل الدامس ببلايين المرات.

ولا أتذكر أيهما كان الأسبق: الضوء، أم صوت الانفجار الذى زلزل هديره رحمى. على كل فقد سقطت بعد برهة طريحة الأرض، وبدأت الأشياء من حولى تنساقط على الفور حول رأسى وكواهل. ولم أعد أرى شيئاً فقد صارت الدنيا حائلة الظلام، فظننت أن لحظة المصير النهائى قد حانت.

ثم فجأة رأيت في المنام بوضوح أطفالى الثلاثة الذين كانوا قد هجروا إلى الريف، وحاولت النهوض بغتة موقنة بدافع غريزى أنه ليس من الحكمة أن أظل راقدة هناك، غير أننى لم أستطع التحرك بسبب الانقراض الخشبية وقرميد السقوف التى لم تتوقف عن السقوط على جسدى. وقلت لنفسى: "لا يمكن أن أموت هنا، ليس ثمة من يرعى أولادى إذا مت فربما يكون زوجى قد مات. لا بد أن أحاول النجاة بقدر المستطاع". وبعدما تخلصت من حالة الإرتباك التى ألمت بى إستطعت أن أزحف من تحت الأنقاض.

وما لبثت أن أدركت أن رائحة الهواء أصبحت كريهة فتناولت منديلنى من الحزام لأحك أنفى وفمى بقوة ظناً منى أن ما ألقى علينا قد يكون قنابل الفسفور الأصفر الحارقة، ولكنى صدمت حين وجدت جلد وجهى قد تساقط على المنديل، أه.. لقد

حدث نفس الشيء ليدي وأرجلي أيضا وتدلّى جلد يدي اليمنى من المرفق إلى أطراف الأصابع ببشاعة، وكذلك كان الحال بالنسبة ليدي اليسرى وأصابعها الخمسة.

وتأوهت قائلة: "يا للعة.. لقد حرقت!" وظننت أن وجهي قد أصبح مثل يدي رغم أنني لم أتمكن من رؤيته، لا بد أن أكون قد ألحقت الضرر بوجهي ويدي أثناء محاولتي إزاحة الأنقاض عنى بعصبية، وشملتني الحيرة، فجلست هناك، وما لبثت أن إكتشفت أن ليس ثمة أحد من حولي، ترى ماذا حدث لجبراني؟ أين السيدة ياماجوتشي؟ ونهضت بتملكني رعب دفعني إلى الأمام حيث أخذت أجرى بعصبية ولكن إلى أين؟ أين أجد الطريق؟ لقد إكتست الأرض بأحشاش الأنقاض وقرميد السقوف، ولم أعد أتبين معالم الطريق.

ماذا حدث للسماء التي كانت زرقاء صافية منذ قليل؟ إنها الآن مظلمة وكأنما قد حل الغسق. كان كل شيء من حولي غامضاً غائماً وكان الضباب قد خيم على عيني، وظننت أنني قد فقدت حاسة البصر، وأمعنت النظر من حولي لأتبين ما حدث، فرأيت على الجسر ما يبدو كأنسان يعدو. أجل إنه جسر تسورومي لا بد أن أسرع بعبوره وإلا فلن أجد سبيلاً للفرار. وجريت كالمجنونة نحو الجسر وأنا أقفز كالمجنونة فوق الأنقاض.

وما رأيت خلف الجسر صدمني فقد كان المئات من البشر يتلون في مجرى النهر، ولم أستطع أن أتبين ما إذا كانوا رجالاً أم نساء فقد كانوا جميعاً متشابهين: وجوههم متورمة رمادية اللون، شعرهم منتصب، وكان الناس يندفعون إلى النهر رافعين أيديهم إلى أعلى يئنون من الألم، وأحسست بنفس الرغبة مدفوعة بالألم الذي إستشري في جسدي بعد تعرضه لإشعاع حراري على درجة من القوة كانت كافية لحرق سراويلي وكنت على وشك القفز إلى النهر لولا أنني تذكرت أنني لا أستطيع العموم.

عدت أدرجى إلى الجسر، وهناك رأيت تلميذات يمشين شبه نائمات يتجلون هنا وهناك في حالة ذهول، فشجعتهم على عبور الجسر قائلة: "أسرع أسرع"، وماكن يعبرن النهر حتى نظرت ورائي فوجدت منطقة تاكيا تشو— ها تشو بوري قد شبت فيها النيران فجأة. كنت أظن أن القنبلة قد أصابت المنطقة التي كنت فيها إصابة مباشرة.

وبينما كنت أجرى ناديت أطفالي بأسمائهم قائلة: "لن أموت يا أعزائي سأشفي"، وفي الحقيقة إنما كنت أشجع نفسي بمثل هذا الكلام. وحاولت تكرار ذلك ولكني لم أستطع تكرار النداء، وبينما كنت أجرى كان بصري يقع على كثير من المناظر التي تدعو إلى الإشفاق أثناء الطريق، ولاتزال هذه المناظر ماثلة أمام عيني حتى الآن.

رأيت أما وقد تلتخ وجهها بالدماء حتى كتفها تصرخ: "إبنى حبيبي"، تندفع بجنون نحو بيت يحترق بينما كان رجل يمسك بها يمنعها بالقوة من دخول البيت ولكنها ظلت تصيح بجنون: "دعني أذهب، دعني أذهب إبنى سيموت حرقاً" وكانت تبدو كالجفن في ثورة الغضب وكان ذلك المنظر تنفطر له القلوب ويبدو أنني سلكت طريق ماثوباً أثناء فراري وهو طريق يؤدي إلى شرق ساحة العرض العسكري فأذكر أنني سلكت طريقاً يقع فيه خط الترام.

وعندما عبرت جسر كوجن لم أستطع التعرف عليه فقد كان سوره المقام من الحديد المسلح لا وجود له وأصبح الجسر أيلاً للسقوط غير مأمون الإجتياز، وكانت تطفو تحته الكثير من الجثث التي تبدو كأنها جيف كلاب أو قطط عارية تماماً من الثياب إلا من بعض الحرق البالية، وكان ثمة جثة امرأة ترقد في المياة الضحلة القريبة من الشاطئ وجهها للسماء، وقد تمزق ثدياها وإنبثق منها الدماء. يا له من منظر مريع! كيف يحدث مثل هذا الشيء الفظيع في العالم؟ إن الحكايات الخيالية المفزعة التي كانت تقصها على جدتي بدت متواضعة بجانب ما أراه ماثلاً أمام عيني في دنيا الواقع.

ووجدتني أجلس القرفصاء وسط ساحة العرض العسكري، ولا بد أنني قد إستغرقت ساعتين للخروج من منطقة تسورومي — تشو حتى بلغت شرق ساحة العرض العسكري ولست أدري كم ظللت أحوم حول المكان، فقد بدأ الظلام الذي إكتست به السماء ينقشع قليلاً، ولكن الشمس كانت لا تزال محتجبة خلف السحب الكثيفة فأضفت على الجو لوناً من الكآبة.

وبدأت جروحي تؤلمني، ولكن الألم كان يختلف كثيراً عن الألم الذي ينتج من الجروح العادية، كان ألماً فظيماً يفوق الإحتمال، وأخذت يداي تنضح بإفراز أصفر وتصورت أن وجهي لا بد أن يكون قد أصبح في حالة يرثى لها، وإلى جانبي كان هناك الكثير من تلاميذ المرحلة الإعدائية من الأولاد والبنات الذين كانوا يشكلون فرق المتطوعين يئنون في حالة إحتضار ويصرخون بلاوعي "أماه! أماه!" كانت حروفهم بالغة ودماءهم تنزف حتى أن المرء لا يطيق النظر إليهم وما كدت أرى هذا المشهد الفظيع حتى وجدنتي أتساءل: لماذا يحدث كل هذا لهؤلاء الأطفال الأبرياء؟، ولكن لم أكن أدري إلى من أتوجه بهذا السؤال. لم أستطع أن أفعل شيئاً من أجلهم سوى أن أرقبهم وهم يموتون الواحد تلو الآخر يبحثون عبثاً عن أمهاتهم.

وواصلت السير من جديد أتبع الناس المتجهين نحو سفح التل وكان على أن اشجع جسدي وروحي على متابعة السير، فقد كنت أحس كأنهما يهويان إلى الأرض. وقدرت أن الساعة كانت الثالثة بعد الظهر إذ يبدو أنني مكثت بساحة العرض العسكري وقتاً طويلاً في حالة ذهول تام ويقدر ما إستطاعت قوة إبصارى التي أخذت تتداعي أن تمكنني من الرؤية تبينت أن محطة سكك حديد هيروشيما وكذلك منطقة أتاجو-تشو تحترقان. أه كيف إستطعت أن أقطع كل هذه المسافة الطويلة.

وأخذ وجهي يصبح جامداً وتحسست خدودي بيدي بحرص شديد لأتبين ما صار إليه الحال فبدا وجهي متورماً حتى أصبح حجمه مضاعفاً، وأصبحت قوة إبصارى الآن تقل شيئاً فشيئاً يا للخسارة! لن أستطيع أن أرى بعد حين هل سيكون مصيرى الموت بعد كل هذا العناء؟ وتابعت المشى بجوار سفح التل حتى بلغت قرية هيساكا وطوال الطريق رأيت الكثير من الضحايا ينقلون على المحفات، ومررت بجانبى الكثير من العربات والشاحنات المحملة بالجنث وبالجرحي المشوهين ، وعلى جانبى الطريق كان هناك الكثير من الناس يمشون على غير هدى وكأنهم نيام.

وفكرت في البحث عن ملجأ يعصمنى من الشاحنات التي تقطع الطريق بسرعة بالغة قبل أن أفقد البصر تماماً، وفي مثل هذا الملجأ أستطيع أن أنتظر مصيرى المحتوم بهدوء. وكنت أتلفت هنا وهناك ببصرى المكثوب وفجأة وقعت عيناى على أختى التي كانت تجلس القرفصاء بالقرب منى فحسنت:

"النجدة يا أختاه".

وإنفدعت نحوها فحملت في وجهي في بداية الأمر مندهشة ثم ما لبثت أن عرفتني - "أه، أنت فوتابا باللهول!".

ونهضت ثم إحتضنتنى.

"يا أختاه، إنى أكاد أن أعجز عن الرؤية أرجو أن تأخذينى إلى أطفالى".

فقالته وقد انفجرت باكياً:

"- لن أتركك تموتين أعدك بأن آخذك إليهم".

وفحصت جروحي ثم قالت:

"يا لك من مسكينة لقد أصبح شكلك يبعث على الرثاء".

وإستمرت في البكاء ومددت جسدى فوق الحشائش ولم أحس يوماً ما بقوة حب الأسرة مثلما أحسست تلك الساعة فلو لم أقابل أختى لكنت هالكة لا محالة. وكانت أختى تعاني من بعض الجراح البسيطة برأسها وقدميها ولكن جراحها كانت طفيفة، وعندما كنت نائمة على الأرض بجوار أختى أحسست بالراحة لأننى فقدت القدرة على الرؤية تماماً، كما لم يعد بإستطاعتى أن أفهم على قدمى ويبدو أن الظلام كان قد حل، فقد شعرت بقشعريرة إذ لم يكن يكسو جسدى سوى سراويل محرقة ممزقة.

وعثرت أختى على عربة لنقل الخضروات متروكة في مكان ما وقالت لى أنها تستطيع نقلى بهذه العربة إلى مركز الإسعاف بمدرسة "ياجرام مار" التي تقع على بعد أربعة كيلومترات. وأخذ الوهن يذب في جسدى ولكنى تمنيت من أعماق قلبى أن أعيش "إنى لا أريد أن أموت هنا لا أريد أن أموت قبل أن أرى أطفالى" وبلغنا مدرسة ياجا فى الليل كما علمت بعد ذلك لأننى فقدت الذاكرة عندئذ فلم أعد أعى شيئاً. وفى مركز الإسعاف كان هناك العديد من الجرحى وجثث الموتى، ويبدو أنه كان على أختى أن تنتظر ليلتين معى فى طايور طويل أمام المركز، وقالت لى أختى فيما بعد أننى كنت فاقدة الوعي ورغم ذلك كنت أصبح طول الوقت "خزوني إلى أطفالى بسرعة".

ورغم إعتراض الأطباء فقد أيقنت أختى أنه إذا كنت سأموت فيجب أن أموت بين أطفالى وتوسلت إلى الطبيب أن يوافق على خروجى من المركز ونقلتنى بواسطة إحدى المحفات بالقطار إلى أقاربنا بقرية "كامى سوجى" فى الثامن من أغسطس وبعدما فحصنى طبيب القرية أكد أن حالتى ميؤوس منها أما أطفالى الذين كانوا قد تم إجلاءهم عن المدينة وظلوا عند أقاربنا فى مكان يبعد ثمانى كيلو مترات فقد حضروا إلى فى تلك الليلة، وعندما سمعتهم ينادونى "أماه" شعرت أن روحى قد عادت من الجحيم السحيق.

"أننى بخير يا أعزائى، جروحي طفيفة".

كنت فقط أشم رائحة أطفالى الأعزاء الذين كانوا يحيطون بى باكين، ومنذ تلك الليلة لم تتركنى إبنتى الكبرى التي كان عمرها عندئذ أربعة عشر عاماً وظلت قابضة بجوارى وكنت نائمة بصفة مستديمة وقد أحيط وجهى وبداى بالضمادات.

وفى 11 أغسطس بعد نقلى إلى هناك بثلاثة أيام حضر زوجى وتعلق به الأولاد وهم يطلقون صيحات الإبتهاج وكانت حالتى عندئذ بالغة السوء، وشعرت نحوه بالعرفان "أه شكراً للسماء، إن لهم الآن على الأقل أباً إذا ما قدر لى أن أموت!".

ولم تعمر سعادتنا طويلاً على أية حال، فإن زوجى الذى كان لا يكاد يبدو مصاباً أمضى الأيام الثلاثة التالية يتقيماً دماً ، ورحل عنا تاركاً زوجاً على شفا الموت وثلاثة من الأطفال الأحباء. لقد إنقضت ستة عشر عاماً على زواجنا ولكنى لم أستطع حتى أن أرتب وسادته عند الموت، أننى أحس بالأسى عندما أشعر أننى لم أستطع ذلك. لقد أحب عمله وكان يبدو وكأنه جاء إلى هذه الدنيا ليعمل، ولكنه مات تاركاً الكثير مما يجب عمله. وجاء إبنتى وجلس بجانب فراشى باكياً "أماه" يالها من مأساة جعلتنى أشعر بالتمزق حتى الآن.

"آه بأطفالي المساكين أننى الآن لا أستطيع أن أموت، لا أستطيع أن أترككم لليتم".

وأخذت أصلى على روح زوجى، وظلت حالتى ميئوس من شفائها ولكنى عشت أخيراً بمعجزة، عادت إلى قوة الإبصار خلال عشرين يوماً، فأصبحت قادرة على رؤية وجوه أطفالى كخيالات باهتة، ولكن حروق وجهى ويدي لم تبرا، إنقضى الصيف وجاء الخريف ولكن الجروح كانت لا تزال تبدو كثمرة الطماطم المتعفنة. وفى أوائل أكتوبر إستطعت أن أجلس فى الفراش قليلاً ولم أستطع أن أمشى بعض الشيء قبل ديسمبر وبعد يناير إستطعت أخيراً أن أتخلص من الضمادات لأكتشف أن وجهى ويدي لن يعودا إلى طبيعتهما مرة أخرى.

لقد تقلص صوان أذنى اليسرى إلى نصف حجمه، وكان هناك تشوه فى بشرتى يقع فيما بين ذقنى وحنجرتى، كما كانت يدي اليمنى تعانى نفس الشيء، والتصقت أصابع يدي اليسرى ببعضها البعض عند الكف، وأصبحت عاجزة (غير متوقعة)، ترى كيف أستطيع أن أعيش وأولادى الأطفال الثلاثة وخاصة أن الحياة أصبحت لا تطاق مع ارتفاع أسعار السلع التى صاحبت التضخم بعد الحرب؟. وفى أبريل 1947 بينما كنا قد أوشكنا على التسول مدت جريدة تشوجوك شيمبون التى كان يعمل بها زوجى يدها إلينا وأنقذتنا، فمحتتنى عملاً بها. ولن أنسى ما حبيت الفرحة التى غمرتنى ساعتئذ، وقد مرت حتى الآن خمس سنوات وما زالت أعمل وأعانى من الخجل بسبب عجزى وتشوه جسدى، أعمل فقط من أجل أطفالى المساكين.

هاكوزو أياموتو

سائق، كان عمره عندئذ 46 عاماً.

أصيب على بعد كيلو متر واحد من مركز التفجير.

مات فى 1964.

بدأت التطوع فى العمل بالمجهود الحربى فى مكان عملى فى أغسطس، وكان على أن أستمتر فى خدمة المجهود الحربى منذ ذلك الحين، فكلفت فى الثانى من أغسطس بالاشتراك فى إزالة أنقاض البيوت بمنطقة كوك تاى جى تشو التى كانت تقع جنوب دار البلدية لإفساح الطريق أمام سيارات الإطفاء.

وفى صباح 6 أغسطس لم نكن قد بدأنا العمل وكنا ننتظر تحت السقيفة، وأعلن الراديو القريب منا أن كل شئ على مايرام، ولذلك لم نعد نخشى من الغارات الجوية فإستغرقت فى التدخين ثم حدث بعد الساعة الثامنة والرابع صباحاً أن سقط عمود من النار الكهربائية يبلغ عرضه قدمان وطوله نحو ثلاثة أقدام فى موقع يقع على بعد ثلاثة أقدام على يسار أشجار الحديقة، وكان هذا العمود النارى فظيلاً ينبعث منه وميض غريب، وهالنى أن أرى ناره التى تشبه البرق، فوجدتنى أجلس فجأة وسط حجرة لا أدى هل قفزت إليها متعمداً، أم أن قوة الانفجار قذفت بى إليها، وبعد دوى إنفجار قوى أعتقد أننى سمعته تحطم سور الشرفة، وتهافت أرض الغرفة تحت قدمائى، ووجدتنى أهوى على الأرض، ووقع جانب من السور على أم رأسى مباشرة وكان وقعه عنيفاً حتى ظننت أننى قد هلكت.

ورفعت رأسى بطريقة آلية دون أن أنبس بكلمة من هول ما حدث، ولبثت مكانى نحو خمس دقائق، وحين فتحت عينائى كان هناك شئ يشبه العرق يغرقها ويسبب لى ألماً فمسحتها بيدي كما أفعل عندما أغسل وجهى، وحاولت أن أنهض وأنا مغمض العينين، وإكتشفت أن بإستطاعتى النهوض، ثم إستعدت الوعى فأحسست أننى لا زلت حياً. فتحت عينائى لأكتشف أننى لا أستطيع الرؤية بوضوح فقد كان هناك ضباب أسود أو بنى اللون يحيط بالمكان وكان ثمة من يصيح: "لقد فعلوها" فصرخت: "لقد أصبت" وشعرت بألم حاد فى رأسى ثم هبت نسمة إنقشع على أثرها الضباب شيئاً فشيئاً.

وشعرت أن هذه النسمة نجدة من السماء، فبدأت الزحف إلى الخارج ورأيت شخصاً يستنجد وقد سقط عليه أحد أعمدة السقف وهناك بعض موظفى البلدية الذين لم يلحقهم الأذى يقفون حولنا، فطلبت منهم أن ينفذوا الرجل، وجلست القرفصاء ماسكا رأسى بيدي. وقام الرجال برفع الأعمدة الواحدة تلو الأخر فعثروا على زميل لهم على عمق نحو قدمين من سطح الركام، وكان الرجل مصاباً فى جميع أجزاء جسده ولكنه لا يزال متماسكاً. كانت رأسى تؤلمنى فنزعت المنديل من حول رقبتى وربطت به رأسى وإكتشفت أن ما ظننته عرقاً كان دماً، وأن وجهى جميعه كان مكسواً بالدم الذى ينزف من رأسى. عندئذ تبينت أن ما ظننته ضباباً كان تراباً نتج عن سقوط ملاط الحائط الذى تحطم تماماً وكان التراب يختلط بالدم على وجهى ثم مالبت هذا الطين الأحمر أن جف فوق وجهى بصورة جعلتنى أحس بالضيق ووجدت قميصى قد أصبح ملطخاً بالدماء وممزقاً فخلعته لأصبح نصف عار.

وإتجهت نحو منزلى، وبعد أن قطعت بضع مئات الأمتار فوق أسقف العديد من المنازل المنهارة، وصلت إلى محطة ترام تاكانوباشى، ورايت الكثير من الناس يصرخون طلباً للنجدة داخل منزل منهار، فتلفت حولى بحثاً عن أناس غير مصابين ليساعدوهم ولكن الجميع كانوا قد وقعوا فى الفخ فلم أستطع نجدتهم لأن الدعائم التى سقطت فوقهم كانت أثقل من أن

يرفعها ستة رجال، فطلبت من الضحايا أن ينتظروا حتى أحضر لهم فرقة من عمال الإنقاذ، ووقفت على طريق تاكانوباشى ونظرت حولى لأجد جميع المنازل التى تقع على مدى كيلو مترين إلى الشرق والغرب وكيلو متر ونصف إلى الشمال والجنوب قد تحطمت جميعاً وأصبحت ركاما فوق الأرض فيما عاد المباني الخرسانية، وأحسست أن العدو قد إستخدم سلاحا جديدا، كان المنظر فظيماً لدرجة لا تصدق.

وكانت جموع القادمين من منطقة البلدية كالأشباح، أصبحت وجوههم المحترقة سوداء، وملابسهم ممزقة، وشعرهم منتصباً، وإكتست أجسادهم بالطين الملطخ بالدماء، وحاولت العودة إلى المنزل عبر ميدان البلدية، وفى الطريق إلى منزلى وجدت الشارع الذى كان يمر منه الترام قد إكتسى بأعمدة التيار الكهربائى والأسلاك المتداعية حتى أصبح يبدو مثل بيت العنكبوت، سلكت طريقي قفزا فوق هذه الغابة من الحطام حتى بلغت ميدان البلدية، وهناك كان العديد من الناس يرقدون على الطريق المرصوف بالأحجار قرب حديقة البلدية وقد إحتزقت وجوههم وملابسهم يعانسون سكرات الموت، والدم يتدفق من أفواههم، ياله من منظر لا يستطيع المرؤ أن يواجهه! إتجهت غرباً حتى بلغت مدخل أوه تى ماتشى حيث كان يقع منزلى، ولكنى رأيت على البعد أن منزلى قد تحطم تماما ولم أستطع الوصول إليه لأن الطريق كان مكسوا بأنقاض البيوت المنهارة، ونظرت حولى لأجد النار وقد اشتعلت فى المدينة المحطمة، وأيقنت أننى إذا خاطرت بمحاولة الوصول إلى بيتى ساموت حرقا لا محالة، فعدلت عن المحاولة ملتصقا الفرار عبر ساحة كبيرة نتجت عن إنهيار قاعة الاجتماعات العامة التى تقع شمال دار البلدية. وفى الطريق تبعنى صبي يبلغ نحو العاشرة من عمره وقد إحترق وجهه وتعرى جسده تماما إلا من الدماء المتجمدة يصرخ فى: "النجدة ياسيدى.. النجدة!" ولكنى كنت أعجز من أن أنجده، وبينما كنت أتجول حول المكان إختفى عن ناظرى لعله مات هنا أو هناك، وإزدادت النار إشتعالا حتى بدت المدينة كلها كتلة من الحريق، وإحتزقت مدرسة أوه تى ماتشى الإبتدائية التى كانت على الجانب الأخر من دار البلدية، ثم إمتدت النار إلى بعض الشاحنات التى كانت واقفة أمام دار البلدية، وإفجرت صهاريج البنزين التى كانت تحملها تلك الشاحنات، ثم إفجرت إطاراتها مخلفة أصواتا فظيعة، وحول الميدان تراكمت كتل الخشب والألواح التى كانت من قبل تشكل مبنى قاعة الاجتماعات العامة فوق بعضها البعض، ثم ما لبثت أن إندلعت فيها النار، ولم أستطع المكوث هناك لأن الحرارة كانت فوق كل إحتمال، ثم إلى الجنوب من هذا الموقع بدأت النار تندلع فى مبنى البلدية من الداخل، وإرتفعت ألسنة اللهب من النوافذ بالطوابق الثلاثة، وإزدادت النار إستعارا، ثم سقط مطر أسود اللون ولكنه ما لبث أن توقف، وظننت أننى قد مت حرقا، ولكن لحسن الحظ وجدت بركة ماء خلف موقع حديقة الاجتماعات العامة فقفزت إليها مع نحو خمسين أو ستين شخصا وكان عمق هذه البركة نحو نصف متر تبدو مثل حقل الأرز الممتلئ بالطين مياهاها راكدة ويطفو على سطحها الحشائش المائية.

ثم هبت ريح شمالية فجأة فحولت ألسنة اللهب إلى زوبعة من النيران أخذت تصول هنا وهناك تحرق أوراق الأشجار عند حافة البركة، وتلتهم الأشجار الصغيرة وتنتزع بعضها وتذف به من السماء ثم تعود تلك الأشجار إلى السقوط فى البركة.

وكانت زوبعة النيران هذه تبلغ المتر إتساعا والسنة أمتار إرتفاعا وإتجهت نحوى مزمجرة ولكنها كانت على بعد مترين منى فأغلقت عيناي فزعا. وشعرت بدنو أجلى، فإستغرقت فى الصلاة مرات عديدة، وسألتنى بعض السيدات اللاتي كن بجوارى "هل تعتقد أننا سننجو؟ هل بإستطاعتنا أن نظل أحياء؟" ثم أخذن يتلون الصلوات، وأحسست أن زوبعة اللهب تكاد تقتلع رأسى وتذف به فى الهواء.

إحترق جميع الناس فى البركة وتمزقت أشلاءهم، وكانت زوبعة النار تهبط فوق البحيرة تلتهمهم فيعلوا صراخهم، لقد كان جحيما فوق الأرض ولحسن الخط خمدت زوبعة النيران بعد خمسة عشر أو عشرين دقيقة ولكن النار كانت تطوق الساحة وتلبد السماء فوق المدينة بسحب داكنة من الدخان، ولما لم تكن معى ساعة فقد عجزت عن تحديد الزمن ولعلى مكثت داخل البركة نحو ساعة ثم أخذت النيران تخبو فخرجت من البركة وإستعدت رباطة جأشى.

لقد نجوت وجلست لأستريح قليلا، وكانت هناك منطقة جافة تحت الجسر المقوس فوق البركة، فإسترحت هناك قليلا وشعرت بالجوع، وقدرت أن الساعة تبلغ نحو الثانية بعد الظهر، وكانت النيران قد خمدت بعد أن قضت على كل المنطقة المحيطة بدار البلدية، فأخذت أجوب الشارع المتجه إلى دار البلدية بحثا عن ماء وكان صنوبر إطفاء الحرائق الذى يقع أمام المبنى محطماً وتندفع المياه منه فشربت منه بيدي، وكانت هناك جثة شرطى فى ملابس الرسمية بالقرب من صنوبر إطفاء الحريق وقد إحترق وجهه تماما، فبحثت فى حقيبته عن طعام وعثرت على صندوق غذائه المصنوع من الألمنيوم، ورغم أن الصندوق كان قد إحترق إلا أننى وجدته ممتلئا بالأرز ويقطع صغيرة من السمك، وكان سطح الطعام جافاً ولكنى تناولته وأنا جالس على درج قاعة الاجتماعات العامة، وبعد أن شبعت إتجهت إلى مدخل الموقع الذى كان فيه منزلى، ولكن الدخان الأبيض كان يكسو المنطقة التى كانت لا تزال تحترق، وبينما كنت أرقبها بلا حيلة إتجه إلى شخص من غير المصابين قائلا: "إنه شئ فظيع أليس كذلك؟ إننى أعمل فى بوجينا حيث ترسانة بناء السفن، وأمى وزوجتى يعيشان فى هذا الموقع من أوه تى ماتشى، وقد جئت إلى هنا سيرا على الأقدام لأبحث عنهما، ولكن ما أراه أمامى يدعو إلى اليأس، أعتقد أن هذا الدخان سام، ولذلك سأعود إلى بوجينا، ألا ترغب فى المجيء معى، إن برأسك جرح بالغ فاذا ذهبت معى إلى مدرسة كوربو الإعدادية ببوجينا فإن وحدة الإسعاف التابعة للجيش هناك قد تضمد جرحك". ولما كانت رأسى تؤلمنى فقد تبتعته، وما كدت أصل إلى المدرسة حتى عالجت وحدة الإسعاف العسكرية رأسى، ومكثت ساعة فى حجرة الإستقبال، ثم أخذت أفكر فيما أفعله بعد ذلك، ولكنى وجدت نفسى مرة أخرى أمام مدخل أوه تى ماتشى حيث كنت أسكن."

كانت النار لاتزال مشتعلة هنا وهناك، وشعرت أن حذائي المصنوع من المطاط يكاد يشتعل، ولكنى تحملت حرارته وتوغلت داخل أوه تى ماتشى متجهاً إلى الشمال.

رأيت هناك جثة محترقة تماماً لشخص يجلس في الشارع وكفاه ملتصقتان تحت ذقنه في وضع الصلاة، وفتاه محترقة تماماً ترقد جثتها أمام مدخل الشارع، كما رأيت رجلاً وقد احترق تماماً فوق كرسي الحلاق حتى أنى حين لمستته أخذ جسده يتفتت بين يدي، وإسطعت أن أتعرف على أصحاب الجثث الثلاث فقد كانوا جميعاً جيرانى، ووصلت إلى موقع بيتى فوجت إحدى العربات محترقة أمامه، وقد سقط الحصان ميتاً بعد أن احترقت بطنه وإنفجرت أششاؤه تاركة حفرة كبيرة بالمكان. ووجدت زوجتى ملقاه في الطريق متقطعة الأنفاس، وقالت لى بصعوبة بالغة أن مفصل فخذاها قد كسر حين تهدم المنزل فوقها، وأنها لم تستطع أن تمشى على قدميها فزحفت عبر حفرة مملوءة بالمياه بجوار بيتنا ومكثت هناك حتى احترق البيت تماماً، وكان عمق الحفرة نحو نصف متر وقد إملاّت بمياه الأمطار وترسب في قاعها بعض قطع من الزجاج المحطم والأنية المكسورة، ولما كان لهيب النيران قويا، فقد تعمدت زوجتى أن تعطس في قاع الحفرة فتمزق ظهرها، وكانت رأسها محترقة، وعاجزة تماماً عن السير، وإستطاعت أن تترك الحفرة بعناء شديد قبل وصولى بقليل، وكانت عارية من الثياب تماماً.

أعطيتها سراويلي وشجعته على ما كانت عليه من سوء الحال، ثم حملتها فوق ظهري وتلفت حولي على مدى البصر فلم أجد شيئاً سوى الدمار اللانهائى في جميع أنحاء المنطقة، وأيقنت أنى الشخص الوحيد الذى بقى على قيد الحياة ولا زال يسير في الطريق وجعلنى ذلك أحس بالإرتياح، ولكنى كنت كمن يعيش فى جبانة، لقد شملنى إحساس شديد بالوحدة. وألقيت نظرة على مستودع المياه لأجد ست جثث محترقة تطفو على سطحه، فإستجمعت قواى وواصلت السير حاملاً زوجتى فوق ظهري وهى تبدو كالميتة، وإتجهت بها نحو مبنى قاعة الاجتماعات العامة القديم واضطرتت أن أستريح فى الطريق ثلاث مرات رغم أننى قطعت مسافة لاتزيد على 300 متر وكانت زوجتى تطلب منى ماء طوال الوقت وعثرت على كوب مكسور فى الشارع فملأته ماء من طلمبة الحريق وسقيتها، وأخيراً وصلت إلى درج قاعة الاجتماعات فمددت جسد زوجتى على الدرج، وبينما كنا نستريح هناك أحضر أحد موظفى البلدية خبزاً جافاً داخل سطل وأعطانا حفنة منه فالتهمناها.

ورغم أن إصابة زوجتى كانت بالغة فقد تم إنقاذها، وبدأت منذ الآن الإهتمام بموضوع ابنى شيرو غير أنى أرجأت مهمة البحث عنه إلى اليوم التالى فقد كان الظلام قد حل، وبحثت عن مكان ننام فيه فوجدت مأوى بالقرب من دار البلدية كانت أرض المكان ترشح مياه غير أنها كانت مغطاة بطبقات من الألواح الخشبية، فحملت زوجتى إليه لتنام، ولحق بنا نحو ست أو سبع اشخاص، ولما كان المأوى مليئاً بالبعوض فقد فضلنا أن أقضى الليل على السطح. وحول المأوى كان هناك أربعة أو خمسة من الضحايا يبحثون عبثاً عن الماء ولفظوا أنفاسهم صباح اليوم التالى. وقبل طلوع الفجر بدا أن شركات البترول فى منطقة يوكوجاوا قد بدأت تحترق فكانت صفائح البترول تنفجر من حين لآخر وترتفع ألسنة اللهب إلى عنان السماء، حضر بعض الجنود فى حوالى التاسعة من صباح اليوم التالى لنقل المصابين إلى المستشفى على الأبواب التى أخذت من بين الأنقاض، فطلبت منهم أن يعتنوا بزوجتى التى نقلت على لوح من الخشب إلى مستشفى الصليب الأحمر القريب من المكان، ورغم أن المستشفى نجا من الحريق إلا أن حوائطه كانت متهدمة، وكان الطين يكسو أرضية الحجرات فبدت وكأنها قد أصابها زلزال، وقد رقدت زوجتى هناك فوق حصير من القش وبطانية ولم يكن هناك طبيب إذ يبدو أن جميع الأطباء قد لقوا حتفهم.

وكان يفحص المرضى معاون صحى شاب فى العقد الثالث من عمره بمساعدة بعض الممرضات وقد شمل زوجتى برعايته فوضع المراهم على حروقها، وأحسست ببعض الراحة فأخبرت زوجتى أنى ذاهب للبحث عن إبنا، كنت متأكداً تماماً أنه لايد أن يكون قد مات حرقاً، ولكن على أية حال فهو صبنى فى السابعة من عمره لذلك واصلت البحث عن جثة أو هيكل عظمى يشبه ولدى، وبجوار سور معبد كومبرا وجدت طفلان ميتان يبلغ كل منهما نحو السادسة أو السابعة من العمر وكانا قد احترقا فوق دراجتيهما، ورغم أنه كان من الصعب التعرف عليهما، فقد كانت ملامح أحدهما تشبه إبنى فأمسكت برأسه وتفحصتها جيداً ولكنى وجدت أنه من العبث أن أحمل عظام طفل قد لا يكون إبنى، ولذلك تركت الجثة مكانها، وعدت إلى المستشفى حيث أخبرت زوجتى بالحادث، وبعد نصف ساعة عاودنى التفكير فى البحث عن عظام إبنى فاستأنفت البحث من جديد.

وعندما إقتربت من منزلى إلتقيت بتلميذ فى المدرسة الإعداية من أبناء جيراننا ذكر لى أن ولدى شيرو قد نجا، ولم أستطع تصديقه غير أنه ذكر لى أن شيرو كان فى بيت محترق بالقرب من شن باشى، فذهبت إلى هناك لأجد إبنى جالساً وقد تعرى جسده تماماً يتطلع حوله وكانت هناك سيده ترعاه ذكرت لى أن أحد الرجال أحضر ولدى إلى نهر موتويسو قبل أن تنتشر النيران فى كل مكان، وأنه بقى معهم فى النهر، ولذلك نجا، ولم تكن حروقه بالغة، وفحصته فوجدت أن يده اليسرى قد احترقت من الكوع حتى أطراف الأصابع وكذلك الجانب الأيسر من رأسه حتى أنفه ولكنى أيقنت أنه سيشفى قريباً، فشكرت السيدة وحملت ولدى على ظهري إلى المستشفى وكان ذلك حوالى السادسة من مساء يوم 7 أغسطس.

كانت حال زوجتى سيئة للغاية فلم تكن تستطيع أن تزدد أى شئ حتى حساء الأرز كان من الصعب عليها إبتلاعه، فأيقنت أن حالتها تبعث على اليأس وشعرت بالجوع لأننى لم أذق طعاماً سوى طبق من الأرز قدمته لى المستشفى فى ذلك اليوم، فذهبت إلى مكان عملى وطلبت من وكيل الادارة بعض الطعام فأعطانى قدحا من الأرز والميسو وعدت أدرجى إلى مستشفى الصليب الأحمر حيث أشعلت ناراً وظهرت الأرز. وفى اليوم التالى نقلت زوجتى وإبنى إلى مأوى بجوار

المستشفى ولم تقدم المستشفى لإبنى سوى المرهم علاجاً لجروحه، وأصابته الحمى صباح التاسع من أغسطس فطلبت من الممرضة أن تعطيه دواء مضاداً للحمى، ولكنها قالت لى أن الدواء قد نفذ، فلم يكن باستطاعتى أن أصنع شيئاً سوى النظر إليه. وكان معنا فى نفس المأوى عشرون من الجنود الجرحى الذين كانوا يعالجون بمستشفى الصليب الأحمر، وحوالى الرابعة بعد الظهر تقياً شيرو شيئاً جافاً بنياً داكن اللون بضع مرات ثم أسلم الروح خلال دقيقتين.

وبعد وفاة إبنى بساعة واحدة أيقنت أنه ليس من الصواب الإحتفاظ بجثته فى المأوى وسط رفاقنا الجرحى، وكانت هناك عند باب المستشفى فرقة من الجنود تتولى حرق الجثث، فلففت جسد إبنى فى ثوب (كيمونو) ملوث بالدماء كان بعض الناس قد ألقى به بالقرب من باب المستشفى، وطلبت من الضابط الذى كان يشرف على حرق الجثث أن يحرق جثة إبنى. سجل الضابط إسم ولدى وعمره ومحل إقامتنا ثم أصدر أوامره إلى الجنود بحرق الجثة فقام جندى بصب بعض البترول على بطن ولدى ثم قذف جنديان بالجثة إلى النار يا له من أمر يمزق نياط القلوب!

وفى اليوم التالى جمعت بعض الرماد من المكان الذى حرق فيه جثمان ولدى وعدت إلى المستشفى، فأمنت مكاناً لزوجتى فى أحد أركان غرفة كبيرة، وكانت ممرات المستشفى مملوءة بأشخاص يعانون من حروق بالغة كانوا يتصايحون فى المساء "نريد ماء... نريد ماء" فلم أذق للنوم طعماً بسبب صياحهم وملاً الضحايا الأرض المحيطة بالمستشفى وكانوا يلفظون الأنفاس جماعات جماعات كل يوم.

وفى صباح 14 أغسطس ذهبت إلى منزلنا المحترق لأبحث عما تبقى فيه من مواد تموينية كنا نحتفظ بها فى إحدى الغرف التى خصصناها لذلك، وفكرت فى أن أحفر الحطام المحترق بحثاً عن هذا المكان، ولكنى وجدت جميع المواد التموينية التى إختزناها قد إحتترقت لأن المكان الذى خصصناه لها كانت به فتحة ساعدت على إمتداد النار إليه فعدت إلى المستشفى بخفى حنين لأجد زوجتى قد لفظت آخر أنفاسها.

توشى فوجينو

زوجة كان عمرها عندئذ 41 عاماً

أصيبت على بعد 1,3 كيلو متر من مركز التفجير.

إرتفعت الأعلام الوطنية الجديدة على أبواب المنازل بمناسبة عيد البالغين فى 15 يناير هذا العام (1954)، وذهب الشباب من جيراننا لحضور الإحتفال الذى يقام بهذه المناسبة كل عام مؤذناً ببلوغهم مرحلة جديدة من العمر، فأخذت أقدر عمر ولدى المفقود منذ حدثت مأساة هيروشيما. فإذا كان فقيدى لا يزال حياً لأصبح الآن طالباً بالجامعة، ترى هل كان يدخن التبغ؟ لعله كان قد وقع فى حب فتاة جميلة! ومع مثل هذه الأفكار قضيت معظم النهار مع الذكريات. وحين أعود إلى رشدى أعتقد أنى ربما أصبت بإزدواج فى الشخصية وإلا لما حدث لى ذلك، فقد كان على أن أقتنع بالواقع وأتعايش معه عندئذ تخفى هذه الأفكار، وقبل أن أنهض من فراشى كل صباح أفكر فى ولدى قليلاً وأغسل وجهى بالدموع، وأحياناً أنسى أن أغسل وجهى كبقية الناس، وكثيراً ما سألت نفسى ألسنت أشعر بالسعادة عندما أعيش مع الذكريات.

لقد كان ولدى هيروهيسا منذ نعومة أظفاره يختلف عن الأطفال الآخرين كان ممتعاً حقاً، وعندما بلغت قامته إرتفاع المنضدة، كان باستطاعته أن يدرك أن الملعقة التى توضع فى كوب الماء تبدو مكسورة، ويتعجب لتلك الظاهرة، وكان يثير ضحكنا عندما يقول إن الدجاجة تحملق فى وجهه رغم أنه لم يصنع لها شيئاً.

كان عمره يقرب من عمر أختيه ولذلك كانوا يتعاركون مع بعضهم البعض، وحينما كانت أخته الكبرى تعمله الرياضيات واللغة الإنجليزية كان يمثل لها ويطيعها، ولكن عراكا حدث ذات مرة عندما أثار هيروهيسا ملاحظة ذكية فقد طلبت منه أخته الكبرى أن يعيد إليها كل ماعلمته له فى اليوم السابق وثار بينهما شجار حول هذا الموضوع، ولكن حتى تلك الحوادث أصبحت مجرد ذكريات يعاودنا إليها الحنين.

وصادف اليوم يوم أحد تماماً كالיום السابق على يوم الحادث المشؤم كان ثلاثتهم يقضون العطلة معاً، ولقرب من منزلنا كان هناك نهر يدعى كيوباشى جابياً صافى الماء واسع المجرى سبج فيه ثلاثتهم وقضوا وقتاً طيباً. ولما كنا قد عشنا خمس سنوات فى أوكاياما حيث يقع شاطئ فيزونوكى الوعر تدرج أولادنا على السباحة بمهارة، ولذلك كانوا يختفون إلى النهر يستمتعون بقضاء يوم عطلتهم فى السباحة. وفى ذلك اليوم، اليوم السابق على الحادث المشؤم عادوا من النهر جميعاً وذهبت البناتان إلى الحمام العام وتركتنا هيروهيسا معى بالمنزل.

وبينما كنت أقلى بعض الحبوب تحدث معى هيروهيسا فى أشياء شتى، وفجأة وجدته يقول: "أماه إننى أحس أننا جميعاً سوف نموت". فقلت له: "ربما كنت على حق فأنت تعلم أن فى مثل هذه الظروف التى نعيشها لا نعرف على وجه التحديد متى سنرحل عن هذا العالم، ترى هل نعرف حقاً؟ فلنكن إذن أقوياء". فقال: "ما دمنا نزداد شعوراً بالجوع يوماً بعد يوم، ونعانى من متاعب العمل، فإن من الخير لنا أن نموت بسرعة أليس كذلك؟". فأجبت قائلة: "يجب ألا نقول مثل هذه الأشياء

السمجة نحن لا نتصور إلى أى مدى يعانى الجنود الذين لا يجدون ما يأكلونه سوى جذور الأشجار وجذور الحشائش ليتابعوا القتال وأنه لمن العار علينا ألا نتحمل بعض الجوع بينما نتمتع بالحياة داخل منازلنا، ونعيش أحراراً.

صحيح أن الناس ما دموا قد ولدوا فإنهم لا بد سيموتون ولكن لماذا يحدث ذلك؟ لأن لنا حياة محدودة فأملك مثلاً تريد أن تعمل عملاً نافعاً من أجل الناس الذين يعيشون فى هذا العالم قبل أن تموت". عندئذ قال هيروهيما: "هذا صحيح... هذا صحيح". ووافقتى من أعماق قلبه على ما قلت.

وبعد قليل عادت إبنتاى وكذلك عاد زوجى وجلسنا حول المائدة نتناول طعامنا البسيط على الضوء الخافت الذى تفرضه علينا التعليمات الخاصة بالإظلام، وبينما كنت أتحرك هنا وهناك أرفع الأطباق من على المائدة سمعته ينادى من الطابق العلوى "أماه، تعال هنا لحظة" فقلت وأنا فى طريقى إلى الطابق العلوى: "كم تعلم هيروهيما لهجة هيروشيما بسرعة". وعندما سألتها عن مكانه قال: "هنا على السطح، إحترسى حتى لا تنزلق قدمك وتقعين"، وعبرت سقف المطبخ زحفاً على أربع فقال لى: "لقد أحضرت لك وسادة يا أماه لتجلسين عليها" فأجبتته شاكرة وقلت له: "شكراً، شكراً لك إن السماء تبدو وكأنها صندوق يحوى لآلئاً تقدر بثمن باهظ يالها من سماء متألقة بالنجوم إنها تبدو جميلة وكأن البلاد لا تعاني حرباً ضروساً فقال: "لهذا دعوتك يا أماه". وسألته: "يا هيرو أتعرف أين يقع النجم القطبى؟" فأجابنى: "أجل أعرف، وأشار بإصبعه إلى موقع النجم فنظرت تجاه الموضع فاذا بطائرتين تنبعث منهما إشارات ضوئية حمراء تطيران على إرتفاع شاهق متجهتين صوب الجنوب ربما كان هدفهما أو كيناوا.

شعرت عندئذ أن وجه ولدى الأكبر يواتشيرو الذى كان على وشك التخرج من كلية ضباط الطيران يطل علينا من بين النجوم، عندئذ إعتقدت أن ولدى سيموت وشيكا فإمتلأت نفسى بالحزن، ويبدو أن هيروهيما كان يشاركنى نفس الشعور فقد تنهد فجأة وقال: "أماه، أن أخى الأكبر سيموت بعد حين أليس كذلك؟ أننى أشعر بالحزن" ثم أخذ يبكى. وبعد قليل قال: "أماه يجب أن أصبح طبيباً حتى إذا عاد أخى إلينا مصاباً عاجزاً إستطعت علاجه حتى يشفى لأننا يجب أن نجعله يحس بالسعادة بقية حياته أليس كذلك؟" يا له من طفل رقيق القلب، وشعرت بإرتياح لذلك فقلت له: "نعم بكل تأكيد أن أخاك محظوظ حقاً أن يكون له أخ رقيق القلب مثلك". وإستطرد هيروهيما: "إننى أعجب لماذا تشتعل نيران الحرب، كم أتمنى أن تتوقف تلك الحرب، ألا يمكن أن تحصل اليابان على السلع التى تحتاجها من أمريكا، وتحصل الفلبين على ما تحتاجه من اليابان، ويعيش العالم فى وئام. عندئذ يتحول العالم إلى أمة واحدة ونصبح نحن سكان قسم أويناىا بقرية هيروشيما محافظة اليابان بدولة آسيا المنضوية تحت لواء العالم". ولم تتوقف ثرثته فقلت له: "ياهيرو يجب أن تكون يقظاً عندما تكتب موضوعات الإنشاء فى المدرسة فاذا كتبت مثل هذه الأشياء سيحضر البوليس الحربى لإلقاء القبض عليك ألا تفهم ذلك".

وكانت مدينة كورى تقصف كل ليلة قبل ذلك بأيام، ويتناهى إلينا على البعد صوت القنابل، وكانت السماء فوق هذه المدينة ملئية بالسنة اللهب التى أحالت الليل إلى نهار. وكان من الغريب حقيقة أن تظل هيروشيما بمنأى عن القصف ثم ذهبتا لننم ونحن ندعو من أجل ليلة سالمة، فقد وضعنا حاجياتنا بجوار الوسائد وصففنا أذنيننا فوق أوراق الصحف ولكن طوال الليل كانت صفارات الإنذار تنطلق حتى كدنا لا نستطيع النوم.

وطلع فجر 6 أغسطس لينبئ بيوم صافى معتدل الجو، فناديت أطفالى قائلة: "إنتهبوا جميعاً صفارات الإنذار لا زالت واضحة، عليكم بالنهوض والخروج من المنزل" فنادانى هيروهيما: "أماه تعال لحظة" فتركت طعام إفطارى وذهبت إليه فقال: "إنظرى يا أماه إننى أصبحت الآن أجيد لف القمط حول ساقى"، وكان يقول ذلك بينما يضع قدمه على عتبة الباب ويلف القمط على ساقه أمامى فشجعتة قائلة: "إنك بارع لا شك ولكنك تبدو كما لو كنت تلف قطعة قماش حول دبوس رفيع". فاجاب: "إننا لا نحصل على قدر كاف من الطعام كما تعرفين"، ومضى إلى حال سبيله. كان يبدو وسيماً فى ملابس الميدان بغطاء الرأس وقمط الأرجل فقلت لزوجى: "أنه يبدو ببشرته البيضاء كأمر صغير".

كانت ابنتى الكبرى كى كو طالبة بالصف الرابع بالمدرسة الثانوية للبنات وتعمل بأحد المصانع ضمن برنامج التعبئة العامة، ولما كانت قد سبحت كثيراً فى اليوم السابق فإنها كانت تعاني من إرتفاع فى درجة الحرارة. لذلك قررت أن أبقها فى المنزل ذلك اليوم. أما ابنتى الثانية سوزوكو فقد خرجت مع ولدى. وكان زوجى يعمل موظفاً فى إدارة التموين بمصلحة المواصلات، ولكن أسند إليه عمل الموظف الفنى بالإضافة إلى عمله الأسمى، ولما كان مشغولاً دائماً فقد غادر البيت بعد الساعة السابعة بقليل، وما أن ودعتهم جميعاً حتى طلبت من ابنتى كى كو أن تدبر أمور المنزل حتى أذهب إلى محطة هيروشيما لأرسل بعض الأشياء إلى أمى التى كانت قد هاجرت إلى كيوشو. وما كدت أضع حقيبتي تحت إبطى وأهم بالخروج حتى وقع نظرى على جريدة الصباح داخل صندوق الخطابات فقلت لنفسى لقد خرج زوجى دون أن يلقى نظرة على الجريدة ثم مضيت فى طريقى عبر الحديقة. كانت شمس أغسطس حارة ونظرت إلى السماء فإذا بطائرة من طراز ب-29 وكان ثمة بريق لم أستطع معه أن أرى الطائرة بوضوح، قلت لنفسى: "حسناً لا شىء يهم مادامت الغارة الجوية قد إنتهت". وما كدت أمضى حتى حدث برق شديد وإصفر الجو فجاء وإرتعشت كتنفى اليمنى كما لو كان قد أصابها ماس كهربائى، ولم أدر ماذا أفعل عندما سمعت صوتاً يشبه الرعد يتردد بشكل مفرع وكان السماء قد إنطبقت على الأرض ثم فقدت الوعى فلم أعد أدرك ما يدور من حولى.

وحيثما أفقت على ألم حاد فى أنفى وجدت نفسى مدفونة بين تراب الحوائط المهذمة، لا أكاد أستطيع أن أحتفظ بعينى مفتوحة بسبب التراب، وزحفت نحو النور، لقد نجوت.. ونظرت حولى لأرى منزلى وقد لحق التدمير نحو نصفه فتقوض

الطابق الثاني وتحطمت أعمدته فتذكرت إبنتي واستجمعت كل قواي منادية عليها فسمعتها تجيب بصوت خافت، فصفتت من الفرح أنها لا زالت تعيش، وجاءت إبنتي على صوت التصفيق، وكانت تبدو كامرأة عجوز إشتعل رأسها شيئا، وصحنا ونحن نحضن بعضنا البعض أننا محظوظتان لقد نجونا. ورأيت الدم ينزف من ركية كي كو وظلت تتقيأ ماء أصفر وتبينت أن قدمي قد أصيبت إصابة بالغة، وأحسست بالألم الشديد فقلت لإبنتي: "هيا بنا نذهب إلى مركز الإسعاف للعلاج جروحنا". وعاونت إبنتي التي خارت قواها على السير حتى بلغنا الربوة التي تقع في حديقتنا ولكننا لم نتمكن من أن ندرك مركز الإسعاف، فعلى مدى البصر كانت مباني مدينة هيروشيما جميعا قد تهدمت وأصبحت حطاما وإرتفع التراب الأحمر أربعة أقدام فوق سطح الأرض، ياله من حادث فظيع! ترى ماذا حدث لزوجي وإبنتي سوزكو وولدي هيروهيما؟ كيف إستطاعوا الهروب من هذا الجحيم؟ وأحسست بقلبي يسقط بين ضلوعي.

ولأول مرة في حياتي صليت بإخلاص من أجل بوذا، وناداني جاري قائلا: "هل أنت بخير يا سيدتي؟" فأجبت: "أجل نحن بخير جميعا وأنتم أيضا" فقال إنني سأبعد عن هذا المكان، وأنصحك البعد عنه بسرعة فإن النيران بدأت تشتعل في المنطقة حولنا وإذا لم تسرع في الهرب ستموتين حرقا. وما كاد ينتهي من كلامه حتى أخذ يعدو هاربا، وأخذت بيد إبنتي، وهممت بالهرب ولكنني تذكرت أنه ليس من الحكمة أن أترك بيتي المهتمم يحترق، فعدت أراجي ووضعت كميات من الماء حوله من مستودع مياه الأمطار ثم هرعت إلى ملجأ الوفاية من الغارات الجوية، وأحضرت بطانية بلنتها بماء المستودع ولففتها حولنا، وعاونت ابنتي على الزحف فوق أنقاض المنازل المتهدمة حتى وصلنا أخيراً إلى جسر ساكاي، ولاحظت أن النيران قد إشتعلت حول المحطة وأن ألسنة الهب تعلوا إلى عنان السماء، فأيقنت أنه من الأسلم أن نتخذ من مجرى النهر ملجأ حتى نتحاشى النيران فأخذت إبنتي ونزلنا إلى مجرى النهر.

كان هناك عدد من الناس في مجرى النهر يبلغ نحو المائة، ولمحت بينهم خادمة تعمل عند بعض جيراننا وقد تغير وجهها تماما، وكان بين الناس من سلخت جلودهم من أكتافهم حتى ظهورهم، فعجبت لهذا وتساءلت ترى ماذا حدث لهم؟ وإزداد لهيب النيران، وأخذت تهب رياح حارة ثقيلة كريهة الرائحة على مجرى النهر ثم تحولت إلى زوبعة بلغت من القوة حدا جعلها تقذف بالرمال وبمياه النهر إلى إرتفاع مئات الأقدام في السماء ثم تعود المياه والرمال إلى السقوط مرة أخرى لتعيد الكرة من جديد. فغطينا أنفسنا بالبطانية وعدونا لنتفادى الزوبعة، وبمرور الوقت غطت ألسنة اللهب السماء، وبدأت المنازل التي تقع على جانبي النهر في السقوط في مجراه بعدما إشتعلت فيها النيران، وإرتفع الماء حتى بلغ خصرنا وقلت وقد ملأني الفزع: "لقد نجونا حتى الآن كيف نستطيع الهرب من هذا الجحيم ترى ماذا حدث لزوجي وأطفالي؟ إذا متنا جميعا فإن ولدي الأكبر يواتشيرو المسكين سيصبح يتيما". وحين دارت تلك الأفكار في رأسي إنهالت الدموع من عيني دون توقف، فقالت إبنتي: "أماه، إنني محظوظة حقا أنني لا أشعر بالخوف لأنك معي". وعندئذ صاح أحد الأشخاص: "أيها الناس الكثير من الأخشاب يطفو هنا" فنظرت فإذا بالألواح والأعمدة الخشبية تتجه على صفحة الماء نحونا فتعلقت بإحداها قائلة إذا إزدادت الأحوال سوء فانا سنهبط إلى قاع النهر مع هذه الكتلة الخشبية، ثم سمعنا صوتا يقول: "ها هم الجنود قد جاءوا، لقد جاءوا بالقوارب". فنظرت إلى بعيد فإذا بالجنود يتحركون بالقوارب نحونا وتوقف القارب الأول أمام ابنتي فشرعنا بالفرح، وقال الجنود: "إصعدوا كل أربعة أشخاص في قارب واحد، لا تنزعجوا". ثم حملنا الزورق إلى الشاطئ الآخر حيث كانت النيران قد خمدت، ولهجت ألسنتنا بعبارات الشكر، وفكرت في أن أعطي الجنود شيئا، ولكنهم لم يمنحونا الفرصة، فقد تركونا على الشاطئ وعادوا أدرجهم بالقارب ليتابعوا أداء واجبهم.

أخذت أرقب القوارب وقلبي يصلني من أجل نجاة هؤلاء النساء، وقد وضعت في قدمي قيقاب خشبي لطفل وجدته في النهر، لذلك كنت أسير على أطراف اصابعي حتى بلغنا ساحة العرض العسكري، وشاهدنا في الطريق الكثير من الجنود وقد سقطوا على الأرض، كما رأينا ضابطا وقد تشبثت يده بسيفه بينما كان لا يكاد يلتقط أنفاسه يرسم بسمة على شفثيه ولكنها لا تعكس حقيقة شعوره، وبدت الخيول شديدة الإحمرار بسبب ما نالها من حروق، وكانت عيونها تنزف دماء، بينما كان العديد من البشر يتلون من آلام الحروق.

وقبعنا في مكان آمن حيث إفتشنا جميعا الأرض وإستمرت إبنتي تتقيأ السائل الأصفر بلا توقف، ولكنني كنت في حالة لا بأس بها، هادئة تماما. وكان الناس من حولي جميعا ينادونني: "يا سيدتي إعطنا ماء، يا سيدتي نريد أن نشرب!" وعترت على اناء صغيرة أخذت أملاه وأسقى به الناس مرات ومرات. إن ما حدث لنا لا بد أن يكون جحيما نزل إلى الأرض، وعندما تذكرت زوجي وأولادي أصبحت لا أكاد أستطيع التنفس. وكانت هيروشيما تبدو من فوق التل في المساء مثل عمود اللهب الذي يرتفع صوب القمر وأمضينا ليلتنا فوق الحشائش وما كاد يطلع الصباح حتى سكتت أصوات أولئك الذين كانوا يئنون حولنا فقد أسلموا الروح جميعا. وبدأت أشعر بالقلق على بيتنا عندما تذكرت أن زوجي وأولادي ربما عادوا إلى المنزل بعد رحيلنا وقد يسلموا الروح هناك، ولذلك لم أستطع أن أمكث طويلا فوق التل فتركت إبنتي هناك وهبطت بمفردي صوب المدينة، كانت البيوت التي إنهارت قد إحتقرت تماما وإمتلأت الشوارع بأسلاك الكهرياء والتليفونات، وكان ثمة دخان أبيض يتصاعد من الحطام، والناس مبعثرون هنا وهناك.

أخذت أجز قدمي الجريحة التي لففتها بقطعة حصير وجدتها فوق التل وحين وصلت إلى منزلي كان قد إحترق تماما فيما عدا الأساس الخرساني وغرفة الحمام وكانت الحصر (التتامي) المثبتة بالأرض لا تزال مشتعلة، فوجدتني أدخل ملجأ الوفاية من الغارات الجوية المجاور لمنزلي والغريب أن النيران لم تصل إليه، وكان يبدو بارداً من الداخل، فإفتشرت حصيراً داخل الملجأ، وكان كل ما حدث بالأمس مجرد حلم مفزع. وخارت قواي تماما لأنني لم أكن قد ذقت الطعام منذ تناولت إفطاري في اليوم السابق.

اتجهت إلى الحديقة وقطفت ثمرة قثاء فوجدتها شديدة الإصفرار من الداخل يتصاعد منها البخار فأكلتها ووجدتها لذيدة الطعم مثل القسطل المشوى، وكان هناك نحو ست أو سبع أشخاص راقدين بالحديقة دون أن يستطيعوا الحركة، فحملتهم إلى الملجأ والدموع تغسل وجهي، ترى كيف نعيش هنا الآن؟ وكيف سنتلقى أمي المسكية نأياً هذا الحادث المفجع عندما تسمع به؟ وبدلاً من أن أزورها بملابسي الحريرية المطرزة كيف أذهب إليها بأسمال بالية؟ لا إنني لن أجعل مثل هذا الإحساس التعس يجد طريقه إلى والدتي. وبينما كانت هذه الأفكار تدور في رأسي سمعت وقع أقدام متجهة نحوي تتوقف أمام الملجأ، فنهضت لأرى من القادم، فإذا به زوجي ينظر داخل الملجأ: "أه، إنك لا تزالين على قيد الحياة، ماذا جرى لكي كو؟" وبدت رنة الصدمة في صوت زوجي وهو يخاطبني، ولم أحر جواباً للحظات، ثم قلت له: "أنها على قيد الحياة، تركتها فوق التل، ما أسعدني أن أراك حياً، ثلاثتنا لا زلنا أحياء، شكراً للسماء!" وجلسنا معاً فأعطاني حفنة من البقسماط كانت في جيبه وإستطرد قائلاً: لقد كنت أصعب الماء على جسدي طوال ليلة أمس من مستودعات المياه الخاصة بالأمطار وإتجهت إلى هنا، ولكني وجدت البيت يحترق فظننت أنكما قضيتمنا بحكما، وصلبت من أجلكما، وغادرت المكان" ثم انفجر باكياً. كانت قدمي قد تورمت بسبب الماء الذي تشبع به الجرح فقلت لزوجي أريد ماء ساخناً فيبحث بين حطام المنزل حتى وجد إناء، ثم أشعل ناراً وأعد لي الماء الساخن وتناهي إلى أسماعنا من بعيد صوت ينادي: "يا أبتاه! يا أبتاه!" فصاح زوجي: "إنها سوزوكو! فملائتني السعادة حتى أنني لم أعد أستطيع السيطرة على نفسي وهرعت خارج الملجأ حيث كانت سوزوكو تبكي وقد فتحت ذراعاها وجرت نحوي، شكراً للسماء! لم يحدث أي سوء ببشرتها، فشعرت بالإرتياح وجلست منهكة، فقال زوجي: "ما دمنا نحن الأربعة أحياء فكل شئ يهون إن ولدنا سريع الجري، ولعله إلتجأ إلى مكان بعيد ومن المؤكد أنه غدا صحيحاً معافى". وعندئذ إستجمعت قواي وذهبت إلى التل وأحضرت إبنتي، وقضينا تلك الليلة جميعاً معاً داخل الملجأ، وحين حل يوم الثامن من أغسطس كان الصباح مشمساً، وذهب زوجي ليبحث عن هيروهيسا، وبدأ جيراننا يعودون الواحد تلو الآخر، وكان الناس يقابلون بعضهم بعضاً بالدموع مهئين أنفسهم بالنجاة. كان المشهد يبدو مثل الروايات وهم يتبادلون الأخبار: "فلان وفلان لم يعودا، وفلان وفلان هربا، فلان وفلان ماتا، وفلان وفلان قضيا نحبهما خلال الحريق". وبدأوا رفع الرماد من موضع الحريق فعثروا على أربع جثث لبعض الجيران الذين بقوا داخل المنازل، أما أنا فقد تملكني الذهول.

وعاد زوجي بعد وقت طويل ليقول يبدو أنه لا أمل، لعل هيروهيسا كان عند مركز الانفجار، وظلت نظرات ولدى البرينة تلوح في مخيلتي وأحسست أنه في مكان ما يبحث عني، إنه لا بد أن يكون حياً، فتوكأت على عصا حتى أستطيع السير بقدمي الجريحة التي أخذت تؤلمني متجهة إلى موقع المدرسة الإعدادية.

كم كانت المنطقة التي تقع بين كامي ياتشو ومعبد شيرا كاني تبدو مقفرة! موحشة! حتى رائحة الفل أصبحت كريهة، وإتجهت نحو موقع المدرسة الإعدادية وقد تملكني الخوف، وسألت كل من رأيتهم عن تلاميذ الصف الأول، ولكن أحداً لم يكن يعرف عنهم شيئاً. وكنت على يقين أنني سأجد من يهدينني إليهم، ولكن منظر الجثث التي تملأ المكان جعلني أشعر بالإنقباض، غير أنها كانت لصيبة أكبر سناً من ولدي أو لأطفال صغار. وقلت لنفسي إن هيروهيسا وزملاءه يتمتعون بصحة جيدة، ولعلمهم فروا من المكان قبل وقوع الكارثة. وإتجهت صوب البركة التي تجاور موقع المدرسة، فشاهدت جثة صبي تفتش الأرض، وتفصحت وجهها فوجدت إسم الصبي مطرزاً فوق قميصه، إنه جوهارا زميل ولدى الذي كان معه في مدرسة واكاياما، يا لتعاسة والديه! لعلمهم يبحثون عنه مثلما أبحث عن ولدي. وتركت المكان وقد إنفجرت باكياً وتذكرت أن هيروهيسا قال لي يوماً: "عندما وقعت غارة جوية، عدونا نحو جبل هيجي حيث كنا نتدرب على الجري هناك في اليوم السابق على الغارة تدريباً عنيفاً". حينما تذكرت قوله هذا ذهبت نحو الجسر، ولكن قدمي لم تساعدني على السير، فجلست القرفصاء وقد تبعثرت حولي الجثث هنا وهناك، ولكن عددها كان قليلاً، وظننت أنه لا بد أن يكون قد عبر الجسر في الطريق إلى الجبل، فنهضت متحاملة على نفسي لأتابع السير إلى هناك حيث وجدت امرأة في منتصف العقد الرابع من عمرها واقفة في المكان، وحين سألتها عما تبحثين قالت: "لقد رأيت الناس يجرون في هذا الإتجاه يوم السادس من أغسطس، وكان منظرنا فظيلاً!" فذكرت لها أن ولدي طالب بالمدرسة الإعدادية وأنه لم يعد حتى الآن، ولذلك أبحث عنه، فنصحتني بأن أكف عن البحث، فقد رأيت المئات والآلاف من تلاميذ وتلميذات المدرسة الإعدادية وقد تمزقت قمصانهم كما تمزقت سراويل الأولاد فأصبحوا شبه عراة، وسلخت جلودهم وتشابكت في بعضها البعض وتورمت وجوههم، وأخذوا يقفزون في النهر فتساقطوا فوق بعضهم البعض، وكان من بين الأطفال من ينادي: "يحيا الإمبراطور!" ثم يسقط صريعاً، بينما آخر يترنم بنشيد عسكري، وطفل ثالث يضحك ضحكات هستيرية، وآخر يصبح بكلام يشبه ما يقال عند القيام بالتمارين الرياضية، بينما يصبح البعض: "أماه... يا أياه!" وإستطردت قائلة: "إن هذا المنظر لا زال في مخيلتي حتى أنني أصبحت عاجزة عن تناول أي طعام". وعند هذا الحد من الحديث أصابني الجنون، وقلت لنفسي لا بد أن يكون ذلك الطفل الذي كان ينادي أمه هو ولدي. وعدت أدرجني وأنا أبكي، وفي الطريق كان هناك أناس إصطفوا من أجل الحصول على كمية من الأرز فوقفت في الصف، ولم يكن معي شيئاً أضع فيه الأرز فإستخدمت خوذة الوقاية من الغازات الجوية كوعاء حصلت فيه على قدر من الأرز ثم عدت إلى الملجأ، فأكلنا جميعاً ولكننا لم نتناول لمحا منذ السادس من أغسطس وكان من حسن الخط أن قدم لنا جيراننا بعض المخلات.

وفي اليوم التالي جاء أحد أقاربنا من أوكاياما لإستطلاع جلية الأمر، وكانت سعادته بالغة حين وجدنا أحياء فأخذ البنتان معه وعاد. وبعد رحيل البنيتين إزدددت زوجي حزناً، وعند المساء أخذت أتناقش مع زوجي بحدة فقد كان من رأبي أن يهاجر هيروهيسا إلى الريف حتى تنتهي الحرب، ولكن زوجي رفض الفكرة وقال إنه ليس من المستحسن أن يبقى الطفل على قيد الحياة إذا قدر لأبويه وإخوته أن يموتوا. تذكرت هذا فأخذت أقول لزوجي ونحن في الملجأ: "أنت السبب لكل ما حدث لولدي، لقد قتلته، أنت الذي قتلته". فرد على زوجي قائلاً: "إنه القدر". فأجبت بغضب: "لقد صنعت أنت هذا القدر،

وصنعتة بنفسك، هيات له هذا القدر! " كنت فاقدة العقل تقريباً، ولكنه ظل يحاورني قائلاً: "لقد مات أحد الأمراء، كما مات مديرنا في المصلحة التي أعمل بها أيضاً، حتى مدير المواصلات الشاب قضى نحبه، وولدنا لا يقاس بهؤلاء، إن فقده ليس خسارة كبيرة". فإزداد جنوني وقلت: "لا يهمنى كم من المديرين قد مات، كل ما يهمنى أن يظل ولدى حياً"، وإنفجرت في البكاء.

وأثناء الليل شعرت بقشعريرة فتحسست وجهي فاذا بصفدة فوق جبهتي، فقذفت بها بعيداً، وقلت لنفسي إنها مجرد صفدة ولا زالت تعيش، وأصغيت السمع فإذا بصوت بكاء شديد، ونظرت حولي فلم أجد زوجي داخل المجأ، فاتجهت إلى الخارج بهدوء لأجد زوجي قد ركع على ركبتيه أمام جانب من حطام البيت كان يوماً ما غرفة أطفالنا يتمتم ببعض الكلمات ويبكى بحرارة، يبدو أنه كان يسأل روح ولدنا الغفران. وشعرت بالندم من أعماق قلبي لأن كلماتي الطائشة هي التي سببت له كل هذا العناء، ولكني فضلت أن أتركه يبكي حتى يشعر ببعض الراحة من الحزن العميق الذي يعانيه، وعدت أدراجي إلى الملجأ فإنخرطت في البكاء، وتبينت أن الحزن لم يكن نصيبنا وحدنا، فهناك عشرات الألوف من الناس لم يعثروا على آبائهم ولا أطفالهم، ومثلهم أيضاً من فقدوا إخوانهم وأخواتهم، وقد إتجهت عيونهم جميعاً إلى السماء بقلوب مفعمة بالحزن. وكان أنين الناس الذين لا يربطهم بالحياة سوى خيط رفيع يملأ المكان، فتذكرت كلمات ولدى هيروهيسا التي كان يتمنى بها إنتهاء الحرب بل وإختفاء الحروب من الأرض، إن مثل هذه الكلمات لم تكن كلمات طفل في الرابعة عشر من عمره، إنها كلمات الله، تلك كانت قناعتي.

ومنذ ذلك الحين وأنا لا أكف عن النظر إلى السماء الممتلئة بالنجوم، يخيل لى أن روح هيروهيسا وأصدقائه من تلاميذ المدرسة الإعدادية الذين ماتوا معه، وأرواح شعب هيروشيما الذي قضى نحبه في ذلك اليوم، قد صعدت إلى السماء، وتحولت إلى نجوم تتألق كل مساء تشع نوراً على الأرض، وكأنها تحميها من تكرار تلك المأساة.